وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى / كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

صورة المثقف
في روايات فؤاد التكرلي

رسالة تقدمت بها الطالبة
آلاء قحطان عبد الرحمن العنبكَي
إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية ــ
جامعة ديالى ، وهي جزء من متطلبات نيل
شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

بإشراف :
أ.م.د. علي متعب جاسم

١٤٣٥هـ ٢٠١٤م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ

وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾

صدق الله العلي العظيم
النساء : آية ١١٣

إقرار المشرف

أشهدُ أنَّ إعداد هذهِ الرسالة الموسومة بـ (صورة المثقف في روايات فؤاد التكرلي) والتي قدّمتها الطالبة (آلاء قحطان عبد الرحمن) جرى تحت إشرافي في كلية التربية للعلوم الإنسانية – جامعة ديالى، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة

العربية وآدابها .

التوقيع
اسم المشرف :
أ.م. د. علي متعب
التـــــاريخ : / / ٢٠١٤

- توصية رئيس قسم اللغة العربية :
بناءً على التوصيات المتوافرة ، أُرشح هذهِ الرسالة للمناقشة .

التوقيع :
م.د.
رئيس قسم اللغة العربية
التـــــــــــاريخ : / /٢٠١٤م

إقرار المقوم العلمي

أشهد أن هذهِ الرسالة الموسومة بـ (صورة المثقف في روايات فؤاد التكرلي) . قد تمت مراجعتها من الناحية العلمية تحت أشرافي، ولأجله وقعت .

التوقيع :

اسم المقوم :
المرتبة العلمية :
التاريخ : / / ٢٠١٤

الإهـــــداء

إلى القمرين اللذين كانا سبباً لي في الوجود .....

إلى رفيق دربي الطويل الذي كان لي عوناً وسنداً .. ليث...

إلى كنز الصداقة وعنوان الوفاء صديقتي نهى .....

إلى ابتسامتيَّ في الحياة .. داليا وعلي .....

الباحثة

Ministry of Higher Education
and Scientific Research
Diyala University
llege of Education For Humanities
Department of Arabic Language

The Image Of The Intellectual In The Novels Of Fuad Al-Tkrli

Submitted A thesis

To the Council of College of Education for Human Sciences , University of Diyala , in Partial Fulfilment of the Requirements For the degree of master of Arts in Arabic Literature

By :

Alaa Qahtan Abdel-Rahman AL-Anbaky

Supervised:
Assist. Prof . Dr :
Ali Miti'b Jasim

2014 A.D 1435A.H

Abstract

إقرار لجنة المناقشة

نحن أعضاء لجنة المناقشة نشهدُ أننا اطلعنا على هذه الرسالة الموسومة بـ(صورة المثقف في روايات فؤاد التكرلي) التي تقدّمت بها الطالبة (آلاء قحطان عبد الرحمن) ، وقد ناقشنا الطالبة في محتوياتها ، وفي ما له علاقة بها ، ونرى أنها جديرة بالقبول لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بتقدير ( ) .

رئيساً

الاسم : أ.د. فاضل عبود التميمي

التاريخ : / / ٢٠١٤ م

عضواً

الاسم : أ.م.د. علي كاطع خلف

التاريخ : / / ٢٠١٤ م

عضواً

الاسم : أ.م.د. غنام محمد خضر

التاريخ : / / ٢٠١٤ م

عضواً ومشرفاً

الاسم : أ.م.د. علي متعب جاسم

التاريخ : / / ٢٠١٤ م

صدقت الرسالة من مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية – جامعة ديالى .

الأستاذ المساعد الدكتور

نصيف جاسم الخفاجيّ

عميد كلية التربية للعلوم الإنسانية

جامعة ديالى

التاريخ : / / **٢٠١٤ م**

المحتويات

المحتويات

الموضوع	الصفحة
– المقدمة .	أ – خ
– التمهيد :	١ – ٢٣
– الثقافة : أصول المصطلح وتطور المفهوم .	١ – ١٦
– أفكار الكاتب وأفكار الشخصية .	١٦ – ٢٣
الباب الأول : الاتجاهات والمهيمنات الفكرية :	**٢٤ – ١١٧**
– مدخل .	٢٤ – ٢٦
الفصل الأول : الواقعية ومؤثراتها في المثقف :	٢٧ – ٥٠
– مدخل .	٢٧ – ٣٢
– سينوغرافيا الغلاف ودلالة العنونة .	٣٢ – ٣٨
– المثقف الواقعي .	٣٨ – ٥٠
الفصل الثاني : الوجودية ومؤثراتها في المثقف :	٥١ – ٨٨
– مدخل .	٥١ – ٥٤
– سينوغرافيا الغلاف ودلالة العنونة .	٥٥ – ٥٧
– المثقف الوجودي .	٥٧ – ٨٨
الجانب الأول : الحرية من العادات والتقاليد واتخاذ القرار .	٥٨ – ٧١
الجانب الثاني : ظاهرة الموت واليأس والانهزام (الجانب التشاؤمي) .	٧١ – ٨٨
الفصل الثالث : الفرويدية ومؤثراتها في المثقف :	٨٩ – ١١٧

. . . المحتويات . . .

الموضوع	الصفحة
– مدخل .	٨٩ – ٩٤
– دلالة العنونة .	٩٤ – ٩٥
– المثقف والزنا بالمحارم .	٩٥ – ١١٧
الباب الثاني : المثقف والموقف :	**١١٨ – ٢٢٦**
– مدخل .	١١٨ – ١١٩
الفصل الأول : المثقف والموقف من التراث :	١٢٠ – ١٥٧
– مدخل .	١٢٠ – ١٢٥
– سينوغرافيا الغلاف ودلالة العنونة .	١٢٥ – ١٣٠
– المثقف والموقف من التراث .	١٣٠ – ١٥٧
المستوى الأول : التراث العربي .	١٣٠ – ١٤٤
المستوى الثاني : التراث الشعبي .	١٤٤ – ١٥٧
الفصل الثاني : المثقف والموقف من السلطة السياسية:	١٥٨ – ١٩٧
– مدخل .	١٥٨ – ١٦١
– سينوغرافيا الغلاف ودلالة العنونة .	١٦٢ – ١٦٥
– المثقف والموقف من السلطة السياسية .	١٦٦ – ١٩٧
١– الطريقة المباشرة وموقف المثقف منها .	١٦٦ – ١٨٤
٢– الطريقة غير المباشرة وموقف المثقف منها .	١٨٥ – ١٩٧
الفصل الثالث : المثقف والموقف من المرأة :	١٩٨ – ٢٢٦

. . . المحتويات . . .

الموضوع	الصفحة
– مدخل .	١٩٨ – ١٩٩
– سينوغرافيا الغلاف ودلالة العنونة .	١٩٩ – ٢٠٢
– المثقف والموقف من المرأة .	٢٠٢ – ٢٢٦
المستوى الأول : النظرة السلفية الرجعية .	٢٠٢ – ٢١٢
المستوى الثاني : النظرة الليبرالية .	٢١٢ – ٢١٧
المستوى الثالث : النظرة التقدمية للمرأة .	٢١٧ – ٢٢٦
– الملحق : أغلفة الروايات .	٢٢٧ – ٢٣٨
– الخاتمة .	٢٣٩ – ٢٤٥
– المصادر والمراجع .	٢٤٦ – ٢٦٠
– ملخص باللغة الانكليزية .	A

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد ..

قد يؤشر خطاب المقدمة فاتحة تتأسس عليها قراءة الرسالة وربما قراءات الرسالة ليس لما تمثله من خطوات تطمح الباحثة إلى تحقيقها في المتن وحسب ، وإنما لأنّ خطاب المقدمة يعد متناً منهجياً نظرياً يؤشر للقارئ علامات مهمة في القراءة – وأقصد بالعلامات إيجابياتها وسلبياتها – . وأول تلك العلامات قناعة الباحثة بالموضوع متناً ورؤية ، فالمتن اشتغال على تحليل روايات كاتب عراقي وضع وجهاً أول من وجوه القصة الفنية ، بمعنى أنه الأهم من بين مجايليه الخمسينيين ، من حوّل القصة من مناخها التقليدي إلى عالمها الفني مؤسساً ومكتشفاً، أما المثقف فقد دُرِسَ أكثر من دراسة أكاديمية ، ومن أهم تلك الدراسات (شخصية المثقف في الرواية العربية الحديثة "١٨٨٢–١٩٥٢") للدكتور عبد السلام محمد الشاذلي ، إذ ركّز الباحث على ثلاثة أنماط للمثقف ، تناول في الباب الأول شخصية المثقف في الرواية العلمية في مصر ١٨٣٤–١٩١٨ ، أمّا الباب الثاني فقد درس فيه شخصية المثقف في الرواية الرومانسية ١٩١٤–١٩٥٢ ، فيما عُقد الباب الثالث لشخصية المثقف في الرواية الواقعية ١٩١٩–١٩٥٢ .

أمّا الدراسة الثانية فكانت عن شخصية المثقف في الرواية العراقية ١٩٢٨–١٩٨٠ للباحثة فاتن إسماعيل الراوي سنة ١٩٩٤ وبإشراف الأستاذ الدكتور جميل نصيف التكريتي ، وقد تألفت الرسالة من ثلاثة فصول : الأول منها تناول دراسة المحتوى الداخلي لشخصية المثقف ، أمّا الفصل الثاني فقد تناول مواقف المثقف من

القضايا المطروحة ، في حين كان الفصل الثالث معقوداً على دراسة البناء الفني لشخصية المثقف ، أمّا الدراسة الثالثة فكانت لمحمد رياض الوتار ، شخصية المثقف في الرواية العربية السورية عام ١٩٩٩ ، إذ قسّم المثقفين على : (١) النخبة المثقفة (٢) أشباه المثقفين (٣) المثقفون الوسط ، ولقد أشّر الباحث في دراسته ثلاثة أنماط للمثقفين هي : (١) المثقف التراثي (٢) المثقف الثوري (٣) المثقف اللامنتمي .

وجاءت الدراسة الرابعة بعنوان تمثيلات المثقف في السرد العربي الحديث (الرواية الليبية أنموذجاً) ٢٠١٠ للدكتور محمود محمد أملودة ، إذ تناول الباحث في الفصل الأول تأطير مفهوم المثقف ، أمّا الفصل الثاني فقد كان بعنوان المثقف منظوراً إليه ، في حين كان الفصل الثالث معقوداً للمثقف فاعلاً ، أمّا الفصل الرابع فقد كان بعنوان البعد الدلالي السردي "المثقف منفعلاً" .

أمّا الدراسة الخامسة فكانت (صورة المثقف في الرواية الجديدة) لمؤلفها هويدا صالح ، فقد احتوت ثمانية فصول ، فالأول منها اشتمل على مفهوم المثقف في الدراسات الغربية ، والثاني منها شمل رؤية المفكرين العرب للمثقف ووظيفة المثقف العربي والانتلجنسي ، والثالث تناول أنماط المثقف وتمثيلاته في السرد ، والرابع منها تناول تعدد الأصوات وكرنفالية السرد وتنوع طرائقه ، والخامس تناول الميتاسرد والشكل السير الذاتي ، أمّا السادس تناول التشظي في السرد وطبقه في رواية ، أمّا السابع فقد بيّن حضور مؤلفه داخل النص ومناقشة الخطابات النقدية والثقافية ، أمّا الثامن قد تناول السير الذاتية وتنوع الضمائر ومن خلالها يسرب للقارئ معلومات عن المؤلف ليوهم القارئ بأنه سير ذاتية ، وبغض النظر عما تشكلت من تصورات لنا على تلك الدراسات ، وعما قدمته ، فاننا أفدنا منها وأسسنا عليها نافذين إلى عالم (التكرلي) الروائي حصراً ومن وجهة نظر مغايرة .

ودراسة الباحثة عن المثقف في روايات فؤاد التكري (ت٢٠٠٨م) ، حاولتُ فيها تتبع الصراع الداخلي للشخصية المثقفة ، وتأثيرها في المجتمع وتبين اتجاهاتها الفكرية .

لقد جعل التكرلي (مثقفه) ينطلق في عوالم فسيحة ومرونة عالية لِبَثِّ أفكاره وتطلعاته ، ولقد حاول الروائي أن يبين حقيقة صراع المثقف مع نفسه أولاً ثمَّ مع مجتمعه ثانياً ، لذا عمدت الباحثة إلى استقراء وتحليل معمق لروايات فؤاد التكرلي لبيان مستوى الصراع وتنامي هذا الصراع ، كذلك بيان وسيلة المثقف لنشر ثقافته في المجتمع وطريقة تعامله مع الشخوص الآخرين .

أما اختيار الباحثة لـ(فؤاد) روائياً فكان لسبب فني منهجي بحت ، ذاك إن الباحثة رأت إن تطور الشخصية وعمقها وقدرتها على التحول والتفاعل تظهر في الرواية أكثر من القصة والمسرح ، ولأن الباحثة لم تُرِدْ خلط الرؤى وكذلك تجنباً لما تستدعيه قصصه ومسرحياته من وقت لا تستطيع الباحثة تجاوزه ، قررت الوقوف على الروايات فقط .

أمّا دراستنا لصورة المثقف فلأنه يمثل حجر الزاوية في بناء المجتمع ، وما يملكه من فكر ثاقب ورؤية متجددة وبحث دائم عن الأفضل في سبيل دفع عجلة التطور إلى الأمام ؛ ولأنَّ المثقفين يختلفون في الرؤى والأفكار ؛ إلا إنهم غالباً يلتقون في نهاية المطاف لهدف واحد هو (ترويض) المجتمع لما فيه صلاحه وخيره، من هذا المنطلق جاءت فكرة دراسة المثقف في الرواية العراقية وتحديداً عند أحد أعمدة الرواية العربية فؤاد التكرلي .

ووجهة نظر الباحثة في دراسة (فؤاد) قد انطلقت من دراسة ترتيب الشخصية بأبعادها ومكوناتها الفكرية ، وقد حرصت الباحثة على ذلك لظنها إن دراسة الشخصية ضمن بنياتها الأسلوبية ، وطرائق تقديمها لا ينفذ إلى عالم روائي مهم ومثقف مثل

(التكرلي) ، وقد استدعى الباحثة إلى ذلك طبيعة أفكاره التي طرحها ضمناً أو ظاهراً في رواياته ، ثمَّ استقرت الباحثة على دراسة المثقف وتقديم صورته، التي عكس الروائي أفكاره من خلالها .

وقد قرَّ في ذهني هذا الموضوع منذ السنة التحضيرية بحافز وتوجيه من الأُستاذ المشرف ، وكانت القناعةُ فيه أمراً صعباً استغرقت أياماً طويلة من المناقشة والاستدلال والاستشارة ، وكان فضل أساتذتي الأفاضل في اللجنة العلمية وجدتهم ومسعاهم – كما هو معروف عنهم وموافقتهم على إقراره حافزاً مهماً لي لتحمل المسؤولية في البحث ، وهكذا ابتدأ المشروع بمقدمة وتمهيد وبابين وفصول غير متساوية الحجم ؛ بسبب التفاوت في المادة المدروسة وخاتمة عرضتُ أهم ما توصلت إليه الرسالة .

وقد انتهجت الباحثة في هذا البحث (منهجاً تحليلياً) ومن خلالها كشفَتْ الباحثة عن ذات المثقف وأفكاره واتجاهاته ، وبذلك حاولت أن أرصد السمات الأساسية للمثقف الذي ضمنه (التكرلي) في رواياته ، وجعله الشخصية الرئيسة فيها في أغلب الأحيان .

وقد كان التمهيد متضمناً دراسة الثقافة وهي المادة التي تسلح بها الفرد ؛ ليكون مثقفاً وقمت بعرض تعريفات عدة للمثقف ومناقشتها بدءًا من الغربيين وانتهاء بالشرقيين، على وفق التسلسل التاريخي ، وجَعَلتُ مفصلاً أخيراً بينتُ فيه أفكار الكاتب وأفكار الشخصية .

أما الباب الأول فقد خصصته للمهيمنات والاتجاهات الفكرية من خلال عرض مواقف المثقف في الحياة ومعرفة أفكاره الفلسفية المؤثرة على أفعاله ، وقد قُسِمَ الباب على ثلاثة فصول حاولت الباحثة عن طريقها الوقوف على أبرز الأفكار المؤثرة في مواقفه ، أمّا الفصل الأول : فقد اختصَّ بالمثقف والفلسفة الواقعية والذي تضمن أفكارهُ تجاه ما يحيطه من الواقع وما يحمله من أفكار واقعية يدفعه إلى التعامل مع ما يحيطه

ضمن فلسفة خاصّة ومنها الثورة على العادات والتقاليد ، وفي الفصل الثاني قمت بدراسة المثقف والفكر الوجودي ، واقفةً على الأفكار الأساسية للوجودية التي تقوم على حرّية الفرد بأفعاله وأفكاره ، وقد اختصَّ الفصل الثالث بالمثقف والنظرية الفرويدية والزنا بالمحارم ، وحاولت من خلالها الكشف عن الدوافع الجنسية لدى مثقفي (التكرلي) والصراع الداخلي بين (الهو والانا) ، وكان الباب الثاني معنياً بدراسة المثقف والموقف ضاماً ثلاثة فصول : الأول منها اختصَّ بدراسة المثقف والموقف من التراث ، فقد كان موقفه بين رافضٍ للتراث وبين متمسكٍ به ، واحتوى الفصل على مفصلين : الأول المثقف والموقف من التراث العربي الذي يشمل التراث الديني وكتب الأدب ، أما المفصل الثاني فقد احتوى على التراث الشعبي وما يشملهُ من عاداتٍ وتقاليد ، وقد عُنيَّ الفصل الثاني بالمثقف والموقف من السلطة السياسية واحتوى على مفصلين أيضاً الأول المثقف والموقف المباشر من السلطة السياسية الذي تمثل بالقمع والتعذيب والقتل ، أمّا المفصل الثاني فشمل المثقف والموقف غير المباشر من السلطة السياسية المتمثل بموقف السلطة الذي يقوم على سلب المواطنين حقوقهم، لاسيّما المثقفين وعدم توفير وسائل العيش الملائمة للمواطن ، أمّا الفصل الثالث فقد حمل عنوان المثقف والموقف من المرأة ، بوصفها النصف الثاني للمجتمع وموقف المثقف ونظرته إليها تمثل مدى ثقافته وثقافة المجتمع من حوله ، وقد احتوى على ثلاثة مفاصل الأول يشمل النظرة الرجعية للمرأة التي تقوم على عدم إعطائها حقوقها بعدِّها تابعة للرجل ، اما الثاني فقد شمل النظرة الليبرالية التي تقوم على إعطاء المرأة جزءًا من حقوقها ، وقد عُني المستوى الثالث بنظرة التقدميين للمرأة التي تقوم على إعطائها حرّيتها كاملة وتقوم على مساواتها بالرجل.

علماً ان كلّ فصل من فصول الرسالة احتوى في بدايته فصلاً لتحليل سينوغرافيا الغلاف وبنية العنونة ، عدا الفصل الثالث من الباب الأول لم يحتوِ على سينوغرافيا الغلاف ؛ ذلك لعدم وجود ما يشير إليه بحسب ظن الباحثة .

وانتهيت إلى خاتمة أجملت ما توصلت إليه الرسالة ، وقائمة بالمصادر والمراجع التي أفدتُ منها ، وكان في مقدمتها بعد النصوص الروائية ، الثقافة والامبريالية والمثقف والسلطة لمؤلفهما (ادوارد سعيد) و(فكر غرامشي السياسي) لمؤلفه (جان مارك بيوتي) و(المثقفون في الحضارة العربية محنة ابن حمبل ونكبة ابن رشد) لـ(محمد عابد الجابري) ، فضلاً عن مصادر أخرى تخص الاتجاهات الفكرية لدى (التكرلي) ، وملخص باللغة الانكليزية .

لا شك أن البحث لباحثة تلتمس خطواتها الأولى أكثر من صعب ، والصعوبة التي حاولت تجاوزها ما استطعت ، لم تتأت من قلة مصادر البحث والحصول عليها وما شاكل ذلك ، إنما من تعدد وجهة البحث ، أهمها البحث في الأصول الثقافية التي كونت (التكرلي) وانعكست في شخصياته ، وهو ما استدعى الباحثة لقراءات تضمنت علم النفس والفلسفة والتاريخ وغيرها ، وقد فتحت للباحثة تلك القراءات ما استطاعت فتحه من عوالم التكرلي الغامضة في أحيان كثيرة ، وعلى الرغم من محاولة الباحثة في عدم التداخل بالموضوعات ، إلاَّ إنه حدثت بعض التداخلات ؛ لأن التكرلي وإن تعددت مصادر ثقافته إلا إنها تحمل الفكر نفسه وتعود لبؤرة واحدة.

غير أن الباحثة تدرك أن فاتها الكثير ، وحسبها لم تقتنع إلا بما بذلته من جهد تأمل أن يفتح أفقاً لدراسةٍ قادمة أو يسد ثغرة في الثقافة .

وقبل أن انتهي من المقدمة ، فإن الفضلَّ السابق لأساتذتي في لجنة المناقشة يدعوني أن أنحني لهم تقديراً واحتراماً واعتزازاً لِمَا سيرفدون البحث به من قيّم ما يبدوه من ملحوظات أتشرف بقبولها ، وأتقدم بالشكر والتقدير إلى من حسبته عيناً من عيون

العلم أستاذي المشرف الدكتور (علي متعب جاسم) ، ومن باب الوفاء أتقدم بشكري واحترامي لأستاذي الدكتور (فاضل عبود التميمي) لِمَا قدّمه ليّ من تشجيع على الموضوع ورفدني به من مصادر ، ومن ثم لأساتذتي في قسم اللغة العربية ابتداء من الدكتور (محمد عبد الرسول سلمان) رئيس القسم وانتهاءً بمن أناروني بفيض علمهم وخلقهم ، وعسى أن يهديني ربي لأقرب من هذا رشدا .

الباحثة

التمهيد

- الثقافة : أصول المصطلح وتطور المفهوم :

تحيل لفظة المثقف على دلالات متعددة ومتشعبة ، إذ إن تعريفه مرتبط بتطور المواقف ، ومختلف من عالم إلى آخر وذلك بحسب أفكاره وبيئته وزمانه تجاه المعرفة والمجتمع ، وبتغير الرؤية تجاه الواقع بشكل عام ؛ ولِذا لا يمكن تحديد تعريف واحد ثابت للمثقف عبر الزمن .

ويفترض بنا قبل أن نعرض لكلمة مثقف التي شغلت عدداً كبيراً من العلماء والمفكرين والفلاسفة ، والتي نراها متداولة بين الأفراد في المجتمع ، أن نتعرّف على أصول المصطلح ، إذ لم تكن معروفة بالمعنى الذي نتداوله حالياً ، فهي مرتبطة بكلمة ثقافة وتحيل لفظة ثقافة لغةً على : ((ثَقِفَ – ثَقَفَ الشيء ثَقْفاً وثِقافاً وثُقُوفَةً : حَذَقَهُ . ورجُلٌ ثَقفُ وثَقِفٌ وثَقُفٌ : حاذقٌ فَهِمٌ ، واتبعوه فقالوا ثَقْفٌ لَقْفٌ ، وقال ابن زياد (ت٢٠٧هـ) : رَجلٌ ثَقِفٌ لَقْفٌ رامٍ راوٍ . اللحياني : رَجلٌ ثَقْفٌ لَقْفٌ، وثَقِفٌ لَقِفٌ، وثقيفٌ لَقيفٌ بين الثقافة واللقافَة ، وابن السُكيت (ت٢٤٤هـ) : رَجلٌ ثَقَفٌ لَقْفٌ إذا كان ضابطاً لما يحيو به قائماً بهِ ، ويُقال ثَقِفَ الشيء وهو على سرعة التَّعلُّم ، وقال ابن دُريد (ت٣٢١هـ) : ثَقِفْتُ الشيء حَذَقْتُه ، وثَقِفْتُه إذا ظَفِرْتَ بِهِ ، قال الله تعالى : ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ ﴾ (سورة الأنفال : الآية ٥٧) ، وَثَقُفَ الرَجُلُ ثَقافَةً ، أي صار حاذِقاً خفيفاً ، مثل ضَخُمَ فهو ضَخمٌ ومنهِ المثاقَفَةُ ، ثَقِفَ أيضاً ثَقَفاً ، مثل تَعَبَ تعباً ، أي صار حاذقاً فطِناً ، فهو ثَقِفٌ مثل حذِرٍ وحَذُر ونَدسَ ونَدُس ، ففي حديث الهجرة ، وهو غلامٌ لقِفٌ ثَقِفٌ ، أي ذو فطنةٍ وذكاءٍ ، والمراد أنه ثابت المعرفة بما يحتاج إليهِ ، وفي حديث أم حكيم بنت عبد المطلب : "إني حصانٌ فما أُكَلَّم وثقافٌ فما أعَلَّمُ")) [1] ، وأما ما ذكر في المعجم الوسيط : ((ثقِف ، أدبه وهذبه وعلمه (تثاقفوا) ثاقف بعضهم

---

(١) لسان العرب ، للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري (٦٣٠-٧١١هـ) ، دار صادر ، بيروت ، د.ط ، ١٩٥٦م ، مادة (ثقف).

بعضاً (تَثَقَّف) مطاوع ثقفه ويقال تثقف على فلان وفي مدرسة كذا الثقافة العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق فيها)) [١] .

وخلاصة القول إن دلالة الكلمة تظهر في التعبير عن الفهم ، والذكاء ، والعلم، والمعرفة .

وفي الحديث عن أصول هذه الكلمة عند الغرب تشير السيدة رياض الجابري[*] ((إن كلمة ثقافة (Culture) تعود إلى اللاتينية ، كانت تعني حرث الأرض وتنميتها ، ولعل شيشرون[**] هو أول من استخدمها بمعناها المجازي الذي شاع فيما بعد عندما أطلق على الفلسفة اسم (Mentis Culture) أي زراعة العقل وتنميته))[٢] ، ومن هنا نفهم ارتباطهُ بكل ما يتعلق بأمور الفهم والمعرفة، أي زراعة العقل بالمعلومات النافعة، ولا يبتعد عباس النوري[***] في طرحه لمفهوم الثقافة عما ذكرناه، سوى إنه يضيف إنها ((التهذيب ويعطونها أحياناً معنى الحضارة، وهذه الكلمة جذرها (Cult) ومعناها عبادة وديـن ومـن مشـتقاتها (Cultivation) ومعناهـا حراثـة تعهـد تهـذيب رعايـة و(Cultural) معناها ثقافي))[٣] ، وما يقصده عباس النوري أن الثقافة هي التهذيب

---

(١) المعجم الوسيط ، مادة (ثقف) ، مجمع اللغة العربية ، مكتبة الشروق الدولية ، جمهورية مصر العربية ، ط٤ ، ٢٠٠٤م ؛ وينظر : لسان العرب والمعجم الوسيط ، د. صلاح الدين الهواري ، مادة (ثقف) ، دار هلال ، بيروت ، (د.ط) ، (د.ت) : ٢٠٠ .

(*) السيدة رياض الجابري هي ((علم من أعلام الثقافة والتربية والإبداع في القطر السوري)) . الثقافة المعاصرة وهموم الشباب ، د. رياض الجابري ، دار المعارف ، حمص – سوريا ، ط١ ، ١٩٩٥م : ٦-٧ .

(**) شيشرون هو ماركوس توليوس كيكرور كاتب روماني ولد عام (١٠٦) يُعد خطيب روما المميز . من وكيبديا الموسوعة الحرة : ar . wikipedia . org / wik

(٢) الثقافة المعاصرة وهموم الشباب : ٢٢ .

(***) هو ((حسام احمد سبع ١٩٦١ عضو اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، له دواوين منها (إلى الشمس ترنو))) : www.abbas.Kyani.net

(٣) تعريف المثقف والثقافة ، عباس النوري ، الحوار المتمدن ، ع٢١٠٧ ، ٢٠٠٧/١١/٢٢ . mhtml : file : //c : \ User , Desktop

أي تحسين السلوك ، وكذلك تعني مظاهر التحضر والعراقة ويربطونها بالدين ؛ لأن الثقافة معنوية وتتعلق بأمور روحية وتتبع من أصالة دينية، إذ إن الدين هو المنبع الروحي ، وهي بهذا تتفق مع تعريف الثقافة عند العرب .

حين نتابع مفهوم الثقافة بوصفه مصطلحاً متداولاً ، فإنَّ البداية مع المفاهيم الغربية ، إذ تناولها كثرة من المفكرين وعلماء الاجتماع منهم : إدوار تايلور(*) في كتابه (الثقافة البدائية) ، إذ يقول : ((هي ذلك المركب الكلي الذي يشتمل على المعرفة والمعتقد والفن والأدب والأخلاق والقانون والعرف والقدرات والعادات الأُخرى ، التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في المجتمع)) (١) .

أي أنها خليطٌ متنوعٌ من المعارف مرتبطٌ بالجانب الأخلاقي والعقائدي الذي يحصل عليه الإنسان ، وتشمل كل ما يكتسبه الفرد أو ترسخ في ذهنه من خلال قراءاته المتنوعة أو عن طريق ممارسة نشاطاته في حياته اليومية فيكتسبها بالخبرة فكلاهما يؤدي إلى زيادة المعرفة ومن ثمَّ توسع ثقافته ، وهو بذلك من أوائل من حدّد الثقافة بوصفها سلوكاً جماعياً مكتسباً .

أمّا جماعة الانكلو ساكسوني(**) فقد عرفوا الثقافة بأنها ((عملية تطوير المهارات الذهنية والمعنوية بواسطة التربية والتعليم [...] وهي أيضاً المعرفة المتعلقة

(*) ادوارد بيرنت تايلور ((ولد سنة ١٨٣٢ ، وتوفي عام ١٩١٧ وهو انكليزي الجنسية واشتهر بالتطور الثقافي ، ومن أهم كتبه الثقافة البدائية)) ، الموسوعة الحرة ويكيبديا :ar.wikipedia . org / wik

(١) الثقافة المعاصرة وهموم الشباب : ٢٢ ؛ وينظر : نظرية الثقافة ، مجموعة من الكتاب ، ترجمة : د. علي سيد الصاوي ، مراجعة : أ.د. الفاروق زكي يونس ، سلسلة كتب ثقافية شهرية، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، يوليو ، ١٩٩٧ : ٩ .

(**) الانكلو ساكسوني : ((يقصد بهذا المصطلح طبقة من الأمريكيين البيض ذوي الأصول الانجليزية أو الايرلندية (الجزر البريطانية) والمنتمين للديانة البروتستانتية المسيحية ، خصوصاً المنتمين إلى الكنائس الاسقفية والمشيخية أو الكلفانية والأيرشانيون ، إذ ينتمي غالبية الواسب إلى هذه الكنائس ، وظهر هذا المصطلح لأول مرة عام ١٩٥٧م من قبل آندروهاكر وراج المصطلح منذ الثمانينات ليشار به أحياناً إلى الفرد الأمريكي الناجح المتعلم)) . ويكيبديا الموسوعة الحرة .

بالفنون والآداب وكل ما يرتبط بالمهارات التقنية)) [١] ، وهي وفقاً لهذا الفهم كل ما يزرع في ذهن الآخر من خلال ما يتلقونه من تعليم أو ما يزاولونه من أعمال حرفية ، لكنهم لم يذكروا علاقة الثقافة بالمجتمع البشري، وذلك كل بحسب زمانه ومكانه أي بيئته التي يعيش فيها ، بمعنى أنهم عزلوها عن مناخها الاجتماعي .

أمّا مالينو فسكي[*] فقد عرفها بأنها ((جهاز فعال يمكّن الإنسان من الانتقال إلى وضع أفضل يواكب المشاكل التي تواجه الإنسان في بيئته)) [٢] .

وعلى الرغم من أنَّ هذا التعريف يبرِّز أثر الثقافة في أفراد المجتمع ، وتثبت أفكاره وتقوده نحو الأفضل ، ومحاولته للاصلاح الاجتماعي وهي تُبين دور الشخص الحامل لها وهو المثقف ، إلا أنه لم يعطِ تصوّراً واضحاً عن مكونات ذلك [الجهاز] وأبعادهِ المعرفية ، ومن ثمَّ لا يقدّم مفهوماً واضحاً .

ولا يبتعد المفكرون العرب المعاصرون كثيراً عن فهم الغربيين فإدوارد سعيد[**] يعرفها ((هي عنصر مُرقي ودافع إلى السمو وهي مخزون كل مجتمع من أفضل ما تحققت المعرفة به والتفكير به ، وهي مسرح تشتبك فيه قضايا سياسية وعقائدية متعددة

---

(١) عن الثقافة والمثقفين ، سعود المولى ، مجلة النبأ ، العدد ٦٣ ، تشرين الثاني ، ٢٠٠١ ، file : mhtml .

(*) برونيسلاف مالينوفسكي (((١٨٨٤-١٩٤٢) : أستاذ فقه اللغة ، جامعة جاغيلونيان ، كراكاو، وهو مثقف للغاية ولغوي جداً)) . (مالينو فسكي الانتروبولوجيا البريطانية) : http // in fosnap . org / sp 1034285 .

(٢) عن الثقافة والمثقفين ، مجلة النبأ .

(**) ادوارد سعيد : مفكر فلسطيني (١٩٣٥-٢٠٠٣) تناول مفهوم المثقف في كتابه المثقف والسلطة وصورة المثقف . ينظر : مثقف السلطة السورية ، ياسين عبد اللطيف ، الانتفاضة الشعبية، سوريا ، صفحات سوريا : Syria . al safahat . net

متباينة)) [١] ، ونلحظُ أنَّه لم يركز على أثر الثقافة في تقدم المجتمع وتطوره ، وهي المخزون العلمي والمعرفي الذي حصل عليه الأفراد ، وقد ذكر أن الثقافة ترتبط بالأمور السياسية والأمور التراثية ، أي الأمور الاجتماعية ودور الأفراد في المجتمع من خلال هذه الثقافة ، ويقترب عادل عبد الله[*] من فهم سعيد الذي يرى إن الثقافة ((مجموعة الحلول النظرية والعملية والفكرية والإبداعية والسياسية التي يمكن أن يتقدم بها المثقفون من أبناء المجتمع)) [٢] ، أي الثقافة وسيلة للتقدم ، إذ تبين من خلال ما تقدم أثر المثقف من خلال الثقافة التي حصل عليها في معالجة مشاكل المجتمع ، وقد تبين أن الثقافة هي الحل أي المعرفة للمجتمعات ، وهي الطريق إلى النور ، غير أن من المناسب الإشارة إلى أن العصر الحالي شهد تطوّراً ملموساً في تداول هذا المصطلح ، يظهر ذلك من خلال تلك (التجزيئية) التي يتم التعامل بها معهُ ، إذ ظهرت مصطلحات الثقافة السياسية وثقافة الصورة وثقافة المهنة وغيرها من الثقافات[٣] ، وهو أمر خارج عن تصوّرات البحث وميدانه، ومن الجدير بالذكر أننا عرضنا لعدد من مفاهيم الثقافة ، من أجل وضع تصوّر أولي ينطلق منهُ البحث الذي يتبنى هذا المصطلح بوصفهِ المنظومة القيميّة والمعرفية التي يتبناها الفرد كونهُ كائناً اجتماعيّاً ، وهي وفقاً لهذا الفهم تميل إلى امتزاج حيوي وفاعل مع المثقف إذ لا يمكن فصلهما عن بعضهما ؛ لأن أحدهما يكمل الآخر ، فالمثقف هو القلم الكاتب للأفكار الموجودة في

---

(١) الثقافة والامبريالية ، إدوارد سعيد ، ترجمة : كمال أبو ديب ، دار الآداب ، بيروت ، ط٣ ، ٢٠٠٤م: ٥٨، ٥٩؛ وينظر: شخصية المثقف في الرواية العربية السورية ، (دراسة) ، محمد رياض الوتار ، اتحاد الكتاب العرب ، ١٩٩٩م : ١٢٦.

(*) عادل عبد الله شاعر وناقد ومعني بالدراسات الثقافية ، له مجموعات شعرية وبحوث ودراسات نقدية فكرية . ينظر : المثقف السياسي بين تصفية السلطة وحاجة الواقع ، عادل عبد الله ، دار فارابي ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٨م .

(٢) المصدر نفسه : ٣٩ .

(٣) ينظر: مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، دنيس كوش ، المنظمة العربية للترجمة (د.ط) ، (د.ت) : ١٧٢.

الذهن ، فهو الممثل للثقافة على أرض الواقع . وحين نتابع مصطلح (المثقف) في معاجم علم الاجتماع نجدهُ يميل إلى تسميات عدِّة .

وإنَّ أصل هذه اللفظة غربي ((وحسب أغلب المؤرخين إنها استعملت أولاً بالفرنسية ، بشكل عادي اعتباراً من قضية (دريفوس) [*] ، وقد أطلقت على من هم أرجح عقلاً وعلماً وتعلماً من المعدل الوسطي لمواطنيهم ، كانوا يسمون في القرون الوسطى (اكليريكيون) (clerc) وفي عصر الأنوار فلاسفة)) [١] ، أي إنها تخصُّ أصحاب العلم والمعرفة وأكثر الآراء أشارت إلى أنَّ أصل هذا المصطلح فرنسيٌ لِمَا يتطابق فيه آراء أكثر العلماء ، ونجد أيضاً من يؤكد هذا الشيء إذ يرى الدكتور محمد عابد الجابري[**] ، ((أن هذا المصطلح يعود إلى الكلمة الفرنسية (Intellectual) التي لا يرجع تاريخ استعمالها كإسم إلى أزيد من قرن)) [٢] ، وهذا ما يشير إلى أصلها الغربي ، وفي روسيا في منتصف القرن التاسع عشر كانت تطلق ((على الصفوة

(*) دريفوس : ضابط فرنسي (يهودي) أُتُهِم بالتجسس لصالح ألمانيا وحُكِمَ عليه بالسجن لكن هذه القضية لم تقف إنما أجج نارها بعض الأدباء والمفكرين منهم (أميل زولا) وأصبحت قضية رأي عام ، إذ إنهم نشروا خطاباً بعنوان (إني أتهم) وأثرت ثورة هؤلاء الأدباء في إعادة المحاكمة وبراءة (دريفوس) هذا يدل على إن الأدباء في تلك الحقبة كانوا أصحاب رأي وهذا الرأي مؤثرٌ في مجتمعهم وأصروا على التغيير وهذا هو عمل المثقف الذي انطلقت شرارته من هذه الحادثة . ينظر : الموسوعة العالمية المجانية – زهلول (Formzuhlool) ١٣/يوليو/٢٠٠٦ .

(١) المعجم النقدي لعلم الاجتماع ، بودون وف – يوريكو ، ترجمة : د. سليم حداد ، ط٢ ، ٢٠٠٧م : ٤٨٦ .

(**) محمد الجابري ((هو كاتب مفكر مغربي معاصر، ولد بالمغرب عام (١٩٣٦) هو أستاذ الفلسفة والفكر العربي الإسلامي بجامعة محمد الخامس بالرباط)) . الموقع لجينات : http//lojainiat.com/main/coutent .

(٢) المثقفون في الحضارة العربية ، محمد عابد الجابري ، محنة ابن حنبل ونكبة ابن رشد ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠٠ : ٢١ .

المتعلمة التي تلقت تعليمها في الجامعات الأوربية الغربية والروسية الحديثة، وبعد ذلك شملت من أسموهم (زبدة الصفوة) هم النقاد والأدبيون وأساتذة الجامعات)) [١] .

إنَّ هذه الفئة المثقفة لا تنتمي للطبقة الراقية فقط ، بل هي تنتمي إلى الطبقات الاجتماعية المختلفة ؛ لأن كل فرد من أفراد الفئة المثقفة لا يمكن أن ينسلخ عن بيئته، فهي المصدر الأساس والأول في تكوينه الفكري فهو بعد امتلاكه الثقافة يحاول الإصلاح في طبقته الاجتماعية ، فقد ينتمي إلى الطبقة الوسطى أو البرجوازية ، أما ما يخص هذا المصطلح عند العرب فقد وردت كلمة المثقف ، وكذلك الثقاف في أشعار العرب ، وذلك بأنهم كانوا يعدّون الشعراء هم المثقفين العضويين لما لهم من أثر عظيم بالمجتمع من خلال أشعارهم . ومن الشواهد على كلمة المثقف كما ورد في شعر عمرو بن كلثوم (ت٣٩ق.هـ/٥٨٤م) إذ يقول[٢] : [الوافر]

إذا عَضَّ الثِّقافُ بها اشمأزَّت ووَلَّته عَشَوزنةً زَبُونا

عشوزنةً إذا انقلبت أرنَّت تَشقُّ قَفَا المُثقَّفِ والجبينا

وكلمة (المثقف) تعني الشخص الذي يستخدم الثقاف أو الحدائد التي يثقف بها الأشياء لغرض معين أي أنّ المثقف هو صانع متخصص له مهنة تثقيف الآت الحرب والحرث وأعمال أُخرى .

---

(١) معجم العلوم الاجتماعية ، إعداد وتقديم : نخبة من الأساتذة المصريين والعرب المتخصصين ، مراجعة : د. إبراهيم مدكور ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥: ٣٦٩٩ .

(٢) ينظر : شرح المعلقات السبع ، للإمام الأديب القاضي المحقق أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن حسين الزوزني ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، د.ط ، ٢٠٠٩م : ١١٨ ، ١١٩. وقد ذكر د. علي متعب جاسم – قريباً من هذا المفهوم في محاضرته ((الشعر العربي والفكر الثوري))، إذ يرى أن هناك نمطاً من الأداء الشعري ، يحاول إيجاد انساق اجتماعية تثويرية، وأخذ مثالاً على ذلك قصيدة الشنفرى الازدي (لامية العرب) . ينظر : الشعر والفكر الثوري، د. علي متعب جاسم ، محاضرة ألقيت في منتدى بهرز الثقافي ، آب ٢٠١٠م .

أمّا في القرآن الكريم فقد ورد الفعل ثقف واشتقاقاته في ست آيات قرآنية ، وكل منهما تحمل معنىً ، ومنها قوله تعالى : ﴿ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾[١] .

قال : (أن يثقفوكم) ما معناه أنْ يظفروا بكم ويمكنوا منكم ، وكلا العمليتين الظفر بهم والتمكن منهم لا تجريان بالضرورة إلا في مكان وفي زمان ، لكنهما يشيران نوعاً ما إلى القدرة الذهنية البشرية على الاستعداد والتشخيص المفكر فيه بغية السيطرة عليهم ، أي يتعلّق بأمور العقل والذكاء ، وأنَّ القرآن الكريم دلَّ على المثقفين فهم العالمون والراسخون في العلم والطائفة المتفقهة والعلماء ، وكذلك بذل الرسول محمد ﴿ ﷺ ﴾ جهداً لبناء نخب معلمة ومتعلمة في آن واحد ، وذلك لبناء مجتمع إسلامي جديد سيفه العلم والمعرفة إيماناً منه بأن الفتوحات العسكرية ستكون مرحلية لا أكثر في حين سيف العلم سيبقى لا يمكن الاستغناء عنه لإقتران الإيمان بالمعرفة بحسب المنظور الإسلامي ، ويظهر ذلك من خلال خطب الرسول محمد ﷺ ذات يوم فأثنى على طوائف من المسلمين خيراً ثم قال : ((ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم ولا يعلمونهم ، ولا يعظونهم ولا يأمرونهم ولا ينهونهم ؟ وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقهون ولا يتفطنون ، والله ليعلمن أقوام جيرانهم ويفطنونهم ويفقهونهم ويأمرونهم وينهونهم ويتعلمن قوم من جيرانهم)) [٢] .

هذا يدلُّ على عناية الرسول الكريم محمد ﷺ بالثقافة وضرورة التعلم من الآخرين وإن رسولنا الكريم ﷺ خير دليل على المثقفين ، وهو أفضل قدوة لهم[٣] .

---

(١) سورة الممتحنة : الآية ٢ .

(٢) ضعيف الترغيب والترهيب ، محمد ناصر الدين الألباني ، باب العلم ، مكتبة المعارف ، الرياض ، (د.ط) ، (د.ت) : ٢٤/١ .

(٣) ينظر : صورة المثقف في التراث العربي ، د. رسول محمد رسول ، سلسلة دراسات دار الشؤون الثقافية العامة ، ط١ ، ٢٠١١م : ٩ ، ٤٢ .

ونلحظ أن القرآن الكريم يشكل الأساس الأدَل لبنية الثقافة العربية ، إذ إن المسلمين وبالذات العرب منهم عدّوه أساساً منهجياً للحياة ، ومن ثمَّ كان مقياساً معرفياً وسلوكياً ولكلّ المستحدثات .

وترى الباحثة إن الجذر اللغوي للثقافة عند الغرب والعرب ، يلتقي في دلالة الحذق والممارسة والفطنة ، وهذا دليل على ارتباط مفهوم الثقافة عند الغرب والعرب في دلالة تكاد أن تكون قريبة عند جميعهم .

- أقسام المثقف :

يمكن أن نلمح أول تقسيم للمثقف في كتابات انطونيو غرامشي(*) ، فقد قسم المثقفين على فئتين بحسب المكانة الوظيفية التي يشغلونها داخل البنية الاجتماعية ، فهم إمّا عضويون أو تقليديون ، فالمثقف العضوي : هو المثقف الفاعل في المجتمع الذي له قدرة واضحة على إدارة الصراع وممثلوه (النقابيّون) و(المحامون) ، والعضويون لا يقاسون بمدى معرفتهم وثقافتهم فقط وإنَّما من خلال علاقاتهم مع أفراد المجتمع ، أما المثقف التقليدي : هو الذي لا قدرة له على إدارة الصراع في المجتمع وممثلوه (رجال الدين) و(رجال التربية والتعليم) ، والتقليديون هم الذين يبقون على موقفهم نفسه في المجتمع موقفاً ثابتاً ولا يحاولون الإصلاح فيه بل يبقون على أفكارهم التاريخية القديمة ، أو إنهم ينتمون إلى طبقة اجتماعية زائلة أو على وشك أن تزول(١) .

يقول غرامشي : ((إنَّ المثقفينَ بما هم مثقفون لا يشكلون طبقة مستقلة بل إن كل مجموعة اجتماعية لها جماعة من المثقفين خاصة بها ، أو هي تعمل على

(*) غرامشي ((هو مفكر إيطالي (١٨٩١-١٩٣٧) له دفاتر السجن الذي ميز بين نوعين من المثقفين وهما التقليدي والعضوي)) . مثقف السلطة السورية ، ياسين عبد اللطيف . الانتفاضة الشعبية سوريا، صفحات سوريا : Syria-al safahat . net

(١) ينظر : فكر غرامشي السياسي، جان مارك بيوتي، ترجمة: جورج طرابيشي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٥م : ١٣ ،

خلقها)) [١] ، أي أن كلَّ طبقة في المجتمع عندما تظهر زيادة في الإنتاج لابُدَّ من ظهور طبقة من المثقفين معها وتقوم على تحسين العلاقات وإصلاح الأوضاع وتقوم ببلورة مطامع الطبقة التي ينتمي إليها ويحقق أهدافها .

ويشير الدكتور محمد عابد الجابري إلى أن ((وجهة نظر غرامشي جديرة بالاعتبار ، فهي آراء تجديدية في النسق الماركسي نفسه ، وأهمَّ من ذلك إنها مهمّة، ولكنَّها مع ذلك محكومة بالنسقِ الذي تنتمي إليه)) [٢] ، وفي الحقبة نفسها يظهر تعريف للمثقف يقابل تعريف غرامشي وهو للعالم الاجتماعي وليان باندا[*] إذ يقول: ((إنَّ المثقفينَ باعتبارهم عصبة ضئيلة من الملوك الفلاسفة من ذوي المواهب الفائقة والأخلاق الرفيعة الذين يشكلون ضمير البشرية وإنَّ المثقفين الحقيقيين هم الذين لا يتمثل جوهر نشاطهم في محاولة تحقيق أهداف عملية ، وهم أقرب ما يكونون إلى الصدق مع أنفسهم حينما تدفعهم مشاعرهم الجياشة ومبادئ الحق والعدل لفضح الفساد والدفاع عن الضعفاء)) [٣] ، وهو هنا يشير إلى أنَّ المثقفين هم عدد قليل جداً، وخُصَّ بهم الملوك والفلاسفة ، وممّن يمتلك القدرة الفائقة ، وبذلك لا نجد المثقفين إلاَّ الأقلية أو لا نجدهم ، يعدُّ وليان باندا موقف المثقف هو الموقف المثالي الذي يكون ولاؤه للحقيقة والعدالة ولا يكون للأُمة أو آيديولوجية معينة ويقول كلمة الحق مهما كانت

---

(١) المثقفون في الحضارة العربية : ٢٠ .

(٢) المصدر نفسه : ٢٠ .

(*) وليان باندا : ((كاتب فرنسي (١٨٦٧-١٩٥٦) [...] كتابه الشهير خيانة الاكليروس أو خيانة المثقفين المنشور عام (١٩٢٧) الذي وصف فيه المثقفين)) . مثقف السلطة السورية ، ياسين عبد اللطيف، الانتفاضة الشعبية في سوريا ، صفحات سوريا : Syria. Alsafahat.net.

(٣) المثقف والسلطة ، ادوارد سعيد ، ترجمة : د. محمد عناني ، دار رؤية ، ط١ ، ٢٠٠٦م : ٣٤-٣٥؛ وينظر: تمثيلات المثقف ، ادوارد سعيد ، ترجمة : فخرية صالح ، صحيفة حريات الديمقراطية المستقلة ، ٨ آذار ٢٠١٢ ، ومحاضرة للفيلسوف الناقد الراحل ادوارد سعيد .

الظروف وهم مرتبطون بالواقع ، ويميزهم عن من يهتم بالمادة والتقدم الشخصي[١] ، فهو على العكس من غرامشي عندما جعل الناس جميعاً مثقفين ، ولكن القليل منهم يمارس موقفه الحضاري ، أمّا باندا فهو يؤيد المثقف الواقعي ويرفض المثقف الرومانسي الحالم ؛ لأنه يؤمن بضرورة موقف المثقف في تحقيق الأفكار الصحيحة وتطبيقها على أرض الواقع ، وهو يدرك أن على الدولة الاستعانة بالمثقفين ، وذلك لتدعيم سياساتها الحكومية ولتنظيم علاقاتها ، ولكنَّهُ لم يدرج المرأة ضمن المثقفين إطلاقاً ، ونرى إنَّ رأي غرامشي عن المثقف هو أقرب إلى الواقع من وليان بندا على الرُّغمِ من أنَّ ادوارد سعيد قال عنه : إنَّ صورة المثقف الحقيقي التي رسمها بندا سوف تظل غلابة خلابة[٢] .

وتناول تعريف المثقف عدد من علماء الاجتماع ، ومنهم كوزر[*] الذي قال : ((المثقفون هم المنحدرون من الكهنة والأنبياء والرهبان والمتعلمين أو هم ورثتهم ، إنهم المعنيون بالدرجة الأولى بالبحث عن الحقيقة والاحتفاظ بها)) [٣] ، وهو يخصُّ المثقفين بالطبقة العليا من الناس وهم الطبقة المنحدرة ، والمتعلمون ، أي خصّهم بطبقة نادرة بثقافتها ، وهم المنحدرون من الأنبياء والكهنة وهذا يتعلق بالتعبير الديني وخصَّ بمعرفة الحقيقة ، الحقيقة التي لا تنتمي إلى هذا العالم .

---

(١) ينظر : صورة المثقف في الرواية الجديدة الطرائق السردية ، هويدا صالح ، رؤية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠١٣م : ٢٩ .

(٢) ينظر : المثقف والسلطة : ٣٨ .

(*) لويس كوزر ((هو عالم اجتماع امريكي (١٩١٣-٢٠٠٣) اهتم بالنظرية الوظيفية ، وله مساهمات في نظرية الصراع الاجتماعي . الصراع الطبقي في المجتمع المصري)) ، عمرو عمر : www.sina . org / hom

(٣) سوسيولوجيا المثقفين ، جيرار كليرك ، ترجمة : د. جورج كتوره ، دار الكتب الجديدة المتحدة ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٨م : ١٨ ،

وقد أورد آدوارد سعيد تعريفات عدّة للمثقف عند علماء الاجتماع وتناولهم بحسب هذا الترتيب ، فبدأهم بماكس فيبر[*] إذ يعرف المثقف بأنه : ((هو الذي يحمل صفات ثقافية وعقلانية مميزة تؤهله للنفاذ إلى المجتمع والتأثير فيه بفضل المنجزات القيمية الكبرى)) [١] ، أي أن المثقف صاحب معرفة تميزه من غيره يستطيع من خلالها الإصلاح الاجتماعي ، في حين يرى ادوارد شيلز أن المثقف ((هو الشخص المتعلم الذي يمتلك طموحاً سياسياً للوصول إلى مراكز صنع القرار السياسي أو من خلال دوره المحوري الحاسم في توجيه المجتمع عن طريق التأثير على القرارات السياسية المهمة التي تؤثر في المجتمع ككل)) [٢] ، وينماز المثقفون عن غيرهم بالقابلية والطاقة الكبيرة التي تمكنهم من التساؤل حول الأُمور ومحاولة تغيير المجتمع ، وذلك من خلال القرارات التي يشرعونها وهم ينقلون أفكارهم عن طريق الرموز والدلالات البعيدة ، فيمثلون أفكارهم عن طريق الكتابة شعراً ، أم روايةً ، أم خطابةً وغيرها من الأعمال من أجل إيصال أفكارهم .

ونجد عند الباحثين العرب تعريفات تقترب أو تبتعد عمّا أوردناهُ ، منهم التعريف الذي يقدمهُ الدكتور عبد السلام محمد الشاذلي بقوله : ((هو رجل علم ومعرفة وموقف

(*) ماكس فيبر (((١٨٦٤-١٩٢٠) : عالم اجتماع سايسلولوجي أستاذ علم الاجتماع في جامعة فيينا ١٩١٨ ، عُدّ من أعظم مُنظري علم الاجتماع ، ألماني الأصل)) . اتجاهات نظرية في علم الاجتماع ، د. عبد الباسط عبد المعطي ، عالم المعرفة سلسلة كتب شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ١٩٩٨م : ٩٠ .

(١) خيانة المثقفين النصوص الأخيرة ، ادوارد سعيد ، ترجمة : أسعد الحسين ، دار نينوى ، سوريا – دمشق ، ٢٠١١م : ٣٦ .

(٢) المصدر نفسه : ٣٦ .

حضاري عام تجاه عصره ومجتمعه)) [١] ، هو بهذا يبين التفاعل بين الأفكار العلمية والطاقة الذهنية مع المواقف والأمور الاجتماعية ذلك بمحاولة التغير والتطور .

ويليه في تعريف المثقف الدكتور محمد عابد الجابري وقد اشتغل على صعيد الدراسات العربية على مفهوم المثقف العضوي ؛ لأن غرامشي في دراسته لم يعرض أي مثقف عربي ، وقد اقتصر بحث الجابري على المثقفين في الحضارة العربية ، وقيد هذا المفهوم على فئة من المثقفين في الإسلام ، يقول : ((هناك أجيال من المثقفين العضويين الذين سخروا ثقافتهم لخدمة هذا التيار أو ذاك من التيارات السياسية المتصارعة)) [٢] ، ومن تصنيفات الجابري للمثقفين فئة الكوادر العلمية التي تجندت حول الإمام (جعفر الصادق) عليه السلام وأُخرى حول ابنه (إسماعيل) ، وفئة تجندت لخدمة الدولة فكانوا مثقفيها العضويين وأداة من أدوات سيطرتها ، ومنهم المتكلمون ، والمعتزلة ، وآخرون من أهل السنّة في العصور اللاحقة وبعضهم خدم الدولة بفنون من القول من أدب ، وقصص ، وتاريخ ، وفئة تحدت الدولة وايدلوجيتها الاعتزالية ، وأشار إلى أنَّ المثقفين العضويون منهم من كان متمرداً أو محرّضاً للشعب ، ومنهم من كان متكلاً يعمل في خدمة الحكام وينشر الجهل والظلام[٣] .

أي أنَّه في كلِّ مكان وزمان يوجد مثقفون ، إما يعملون لصالح المجتمع ويكون غرضهم الأساس ، وهدفهم تحقيق غايات المجتمع ، أو من يعمل من أجل مصلحته الخاصة ويساير الأمور كما هي ويعمل لصالح السلطة .

أما ادوارد سعيد فيعرَّفُ المثقف بأنه ((مَنْ لديهِ أفكار يعبر عنها لغيره أي للجمهور في محاضرة أو حديث أو مقال أو كتاب ، وضرورة استمساك المثقف بقيم

---

(١) شخصية المثقف في الرواية العربية الحديثة ١٨٨٢-١٩٥٢ ، د. عبد السلام محمد الشاذلي، دار الحداثة ، لبنان – بيروت ، ط١ ، ١٩٨٥م : ٢٧ .

(٢) المثقفون في الحضارة العربية : ٥٣ .

(٣) ينظر : المصدر نفسه : ٥٤ .

عليا مثل الحرّية والعدالة له ولغيره وعدم قبوله الحلول الوسط فيما يتعلق بهذه القيم خصوصاً حين يحسُّ أنه أقدم على الكتابة أو على مخاطبة جمهور ما قد أصبح يشارك في الحياة العامة كما يسميها)) [١] ، يؤكد على أثر المثقف وثباته في مسألة الحرّية والعدل وهو يرفض الظلم لطبقته الاجتماعية التي يدافع عنها ، ولا يرضى بالحلول الوسطى ؛ لأنَّ أثر المثقف لا يوجد فيه حلَّ وسط إما بالرضوخ والاستسلام أو التمرد ، أو يسعى لتحقيق هدفه النبيل وبهذا يكون مثقفاً عضوياً .

يذهب هشام شرابي[*] إلى أن المثقف ((هو الشخص الملتزم والواعي اجتماعياً ، بحيث يكون بمقدوره رؤية المجتمع والوقوف على مشاكله وخصائصه وملامحه ، وما يتبع ذلك من دور اجتماعي فاعل من المفروض أن يقوم به لتصحيح مسارات مجتمعية خاطئة)) [٢] ، وإنَّ صفة المثقف الالتزام بمبادئه ، وهذا شرط أساس ، وكذلك وعيه وثقافته للإفادة منها في اصلاح المسارات الخاطئة .

أمّا علي حرب فيقول عن المثقفين : ((هم الذين يصفون معايشتهم ويجربون أفكارهم ، ويسمعون حقيقتهم ، أي يمارسون سلطتهم من وراء تعاطيهم بالشأن العام، أو من وراء دفاعهم عن الحقوق والحرّيات ، إلاَّ إذا كانوا يريدون ممارسة امبرياليتهم باسم الحقيقة والحرّية ، أو فرض وصايتهم المدمرة على الهوية والذاكرة والثقافة واللغة)) [٣] ، أي أنه قد نظر إلى المثقف على أنهُ الشخص الذي يمارس سيادته عن طريق دفاعه عن حقوق الأفراد في المجتمع ويقوم بفرض أفكاره عليهم.

---

(١) المثقف والسلطة : ١١ .

(*) هشام شرابي : ((مفكر فلسطيني (١٩٢٧-٢٠٠٥) كتب في مجالات الفلسفة وعلم الاجتماع والأدب)) . من ويكيبديا الموسوعة الحرة .

(٢) خيانة المثقفين : ٣٦ ، ٣٧ .

(٣) أوهام النخبة أو نقد المثقف ، علي حرب ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط٥، ٢٠١٢م : ٧٦ ، علي حرب : ((كاتب ومفكر علماني لبناني يُعرف عنه أسلوبه الكتابي الرشيق وحلاوة العبارة)) : http // www. Good reads . com/

وبعد أن ذكرنا تعريفات عدة للمثقف[١] تجدر الإشارة إلى سمة أساسية من سمات المثقف وهو الخلق الرفيع وفقدانه يمحي عن حامل العلم والمعرفة سمة المثقف ، ولا تقاس ثقافته بهندامه وربطة عنقه وطريقته في العيش ، إذ إن هناك عناصر أساسية تُكَوِن المثقف ليست فقط المادة العلمية وهذه الأمور فالشهادة العليا تُعَرِّي صاحبها إنْ لم يعشق المعرفة الواسعة ، فالمرحوم زكي مبارك من طليعة المثقفين العرب في عصره وهو يحمل ثلاث شهادات دكتوراه ، والعقاد يحمل شهادة الابتدائية وهو أيضاً من طليعة المثقفين العرب في عصره ، ومن الأقاويل القديمة قيمة كُلّ أُمريء ما يحسن وبهذا يمكننا أن نميز المثقف من المتعلم[٢] ، ومن ثمَّ وجدت الباحثة أن أغلب الآراء عند علماء الغرب أو الشرق اتفقت على أن المثقف (صاحب علم ومعرفة) ، أي هي الركيزة الأساس له ومن خلال ما عرضناهُ سابقاً عن مصطلح المثقف ترى الباحثة أن المثقف : ((هو الذي يسعى للحصول على أكبر قدر من العلوم والمعرفة عن طريق القراءة والخبرة أو كليهما معاً ، وهو الذي لا يكتفي أبداً بما لديه ؛ لأنه يستنبط من احتكاكه بالأشخاص تجربة وخبرة لتكون ذخيرة عملية تساعده في خدمة مجتمعه ، مقرونة بالوعي والموقف الدقيق من العصر والحياة ، والمطلع على اوضاع مجتمعه وبيئته والمؤهل لتغيير الواقع السيئ فيها)) ، وبذلك يكون أثره فعالاً في المجتمع أو قد يكون مثقفاً لا يحاول التغيير في المجتمع بل يكتفي بالرفض ذاتياً ، وبذلك فإن المعرفة والوعي بها شرطان أساسيان في توصيف المثقف .

وقد ذكرنا تعريفات الثقافة سابقة لتعريفات المثقف ؛ لأن المثقف امتداد للثقافة.

---

(١) هناك من يعرف (المثقف) : ((بأنه الحاصل على الشهادة العليا الجامعية ، أو المتخصص في شؤون الثقافة ، والذي يتعامل مع الأفكار المجردة ، والذي يضع اعتباراتها فوق مختلف الاعتبارات الاجتماعية اليومية)) . الثقافة الجديدة ، فكر علمي ، ثقافة تقدمية ، ع ٣٥٥ ، دار الرواد ، المزدهرة للطباعة والنشر والإعلان ، ١ / كانون الثاني / ٢٠١٣ : ٦٧.

(٢) ينظر : أوراق للريح صفحات في النقد والأدب ، د. عبد الستار جواد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٩٢م : ١٢ ، ١٥ .

المثقف هو العنصر الحراكي لها ، لاسيّما المثقف المنفتح المتحرك الذي ينقل الثقافة إلى مجتمعه ، ويحاول الاصلاح الاجتماعي من خلالها ، وليس الساكن المنغلق الذي يبقى جامداً ولا يحاول الإصلاح وتغيير الواقع المرير .

ومن خلال ما قرأت من روايات التكرلي تجد الباحثة أن المثقفين في رواياته هم تقليديون ، ثم يتحولون إلى عضويين ، وستحاول الباحثة الكشف عن صورته بعد أن تبين العلاقة بين فكر الروائي وفكر الشخصية .

- أفكار الكاتب وأفكار الشخصية :

يعدُّ الأدب حاضنة ثقافية ، يتمُّ فيها استيعاب المتغيرات الفكرية وإنضاجها ، وأخصُّ تحديداً هنا الاديولوجيا التي تُعدُّ كما يراها (سيمون مالياس وبول وايك) ((مجموعة من المعتقدات الواعية واللا واعية التي يحملها فريق معين من الناس))[١]، وهي بذلك تحمل بعداً اجتماعياً معرفياً قادراً على التشكل والنفاذ بوصفها سلطة كبرى في أي خطاب سواءً كان سياسياً أو أدبياً أو دينياً[٢] .

بناءً على هذا يمكن القول إن أفكار فؤاد التكرلي تسرَّبت إلى المجتمع ، من خلال أعماله الأدبية ، لاسيما رواياته التي برع في توظيف أفكاره في شخصياتها بصورة فنّية مبدعة ، إذ من خلالها استطاع نقل أفكاره إلى المجتمع والتأثير في أفكار أبنائه وإيقاظ الحسّ الثقافي لديهم للوعي بما يحيط بهم من أُمور سيئة ومحاولة تغييرها ؛ لأنَّ المثقف العربي لا يمكنه التغيير المباشر ، كما يقول علي حرب : ((فشل حيث أراد ونجح حيث لم يرد من حيث لم يحتسب ، بمعنى إنه لم ينجح في تغيير العالم من

---

(١) الأدب والايديولوجيا ، مجلة فصول ، ع٣ ، المجلد الخامس، أبريل : ج١/: ٤٦ .

(٢) ينظر : خفايا الحكمة ، (دراسة في بنية التأثير الاديولوجي لنصوص عراقية معاصرة) ، د. علي متعب جاسم ، مخطوط معد للنشر .

خلال مقولاته وخطاباته التبشيرية والتبجيلية، في حين إنه أسهم في إعادة تشكيل الواقع من خلال نصه الأدبي وإنتاجه الفني))[١].

إنَّ المثقفين لم يجدوا طريقة أنسب لمعالجة تردي الأوضاع في المجتمع من أعمالهم الأدبية ، فقد استطاع أن يغير الواقع من خلال أعماله الأدبية الإبداعية .

إنَّ التطور والتغيير الذي طرأ على المجتمع نتيجة ظروف سياسية تصاحبها نهضة نحو التقدم والثورة على الأفكار ، والثورة السياسية تنمي الثورة الفكرية وتعطيها زخماً جديداً للأدباء ، فيصبحوا منفعلين مع الأحداث فتعكس ذلك في كتاباتهم وإن كان مبدعاً وصاحب فكر فيتحول إلى صانع أحداث[٢] ؛ لذا يجب أن يجد الطريقة الصحيحة التي يوظف من خلالها أفكاره ، وذلك بأن الأديب هو العنصر الأساس لزرع الأفكار ، ولكن لكلّ أديب طريقته الخاصّة ، فالأديب المحترف هو الذي يعرض مادته الأدبية بأسلوب مؤثر ولا يعرض بأسلوب تقريري، وعليه أن يستعمل الرموز للإشارة إلى أفكاره ، ولا تكون الأفكار واضحة وصريحة كالخطابات الرنانة ، ولكن يتمّ اكتشافها عن طريق الإشارات وتحليل الرموز ، وبذلك يمكن للمرء أن يتقبل الأفكار التي ينقلها المبدعون عن طريق أعمالهم الأدبية، مما يجعل هذه الأعمال قريبة إلى ذهن القراء ومقبولة نفسياً واجتماعياً هو الاستناد إلى الإلهام وهو قريب إلى الإقناع[٣] .

إنَّ الروائي هو العنصر الأساس المسيطر على الرواية وهو الذي ينقل أفكاره إلى الشخصية الروائية التي يخترعها ، أي أنها كائن مخترع من خيال الروائي ، فلا

---

(١) تمثيلات المثقف في السرد العربي الحديث ، الرواية الليبية إنموذجاً (دراسة في النقد الثقافي) : ٤٠.

(٢) ينظر : القيم الثقافية في القصة القصيرة ، مجموعة أبي والشيخ أنموذجاً (دراسة نقدية تحليلية) ، د. شوكت علي عبد الرحمن درويش ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠٠٩م : ٣٠ .

(٣) ينظر : تمثيلات المثقف في السرد العربي الحديث الرواية الليبية أنموذجاً : ٤٣ .

يمكن تصوّر الشخصية ((إلا كمحصلة للتعاون المنتج بين النصِّ والذات القارئة))[١]، فالشخصية هي الوسيلة التي تحرك بها الأحداث وتنميها وينشأ عن طريقها الحوار الذي يتضمن أفكار الروائي وذلك يقتضي ((استعادة وتأسيس ثقافة جديدة ينشأ في ظلها جيل جديد يقرض تدريجياً الجيل القديم ، جيل يبدأ يصنع العلاج بعد ان أفنينا دهوراً في تشخيص الأمراض))[٢] ، ولكن هذه المعالجة تختلف من مجتمع لآخر ، ومن أديب لآخر وذلك بحسب مخزونه الثقافي سواء أكان فكره تراثياً ، أم علمانياً ماركسياً أم شيوعياً ، ينقلها بصورة منظمة إلى مجتمعه ، ولكن ما يبقى هو تقبل المجتمع لتلك الأفكار وتأثرهُ بها ، ولاسيّما إن الإنسان المثقف يختلف عن الآخرين بمقدار وعيه ومعرفته ، وانه يوظف أفكاره بحسب ثقافته وإبداعه يمكنه أن يكون أحداثاً تهدف للوصول إلى ما يطمح إليه عن طريق تحميل شخصياته أفكاره وأن أفكاره لا تكون دائماً معارضة للواقع ((فهو إنسان متمرد يقول لا ولئن رفض فإنه لا يتخلى فهو أيضاً إنسان يقول : نعم منذ أول بادرة تصدر عنه فلابد للمتمرد من ان يكون مقترناً بشعور المرء بانه على حقٍّ بصورة ما في مجال ما ، وبهذا المعنى يقول العبد المتمرد (نعم) و(لا) في نفس الوقت)) [٣] ، أي إنه يتمرد على أمور تخالف مبادئه وقيمه .

إنَّ هذه الأفكار توظف عن طريق اللغة ، فهي الوعاء لها وأولى الوسائل لتوظيف الفكر في الشخصية وعن طريقها نعرف ما يريد المؤلف كما قال عنها إبن

---

(١) أثر الشخصية في الرواية ، فانشون جوف ، ترجمة : ماكس احمامه ، دار التكوين ، ط١ ، ٢٠١٢م : ٣٣ .

(٢) المجتمع اللا اجتماعي ، دراسة في أدب فؤاد التكرلي ، علي حاكم صالح ، تنوير للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، د.ط ، ٢٠١١م : ١٥ .

(٣) الإنسان المتمرد ، البير كامو ، ترجمة : نهاد رضا ، منشورات عويدان ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، حزيران يونيو ، ١٩٧٥ : ١٨ .

جني : ((عنايتها بألفاظها فانها لما كانت عنوان معانيها وطريقا إلى إظهار أغراضها ومراميها))[١] ، فهي وسيلة الاتصال بين الروائي والمتلقي وان الروائي يستطيع ان يكيفها كيفما يريد ، وذلك بجعلها تثير العواطف الإنسانية ، وتحرك المشاعر لدى المتلقي وبالتالي تؤثر على أفكاره ، وكل ذلك عن طريق توظيفها في حوار الشخصيات والسرد ؛ لأن ما يريد البوح به يصفه في الحوار الجاري على لسان شخصياته سواءً أكان الحوار رمزاً أو بصورة واضحة ، أو يكون سرداً ، وبذلك يتلقى القارئ أفكار الشخصية ((بوصفها شخصاً سواء أكان متواصلاً أم لا ، وإلى حدٍّ ما جلياً بحسب المحكيات معطى لا محيد عنه في القراءة الروائية ، وإن ذلك بمثابة الحركة الطبيعية للقارئ بجعلهُ يسقط في شرك الوهم المرجعي)) [٢] ، أي أنَّ الشخصية هي الربط بين الفكر لدى الروائي وبين الجمهور المتلقي ، وهناك الراوي الذي يروي الأحداث وقد قسمت الدراسات شخصية الراوي على ثلاثة أنماط كبرى مختلفة ، انطلاقاً من تقسيم الناقد الفرنسي (جان بويون) وهي من :

١- ((الراوي الغائب العليم بكل شيء ، هذا النمط يعدُّ من أقدم أنواع الرواة وأكثرها شيوعاً ، وتقوم وظيفته على الرؤية من الخلف ؛ لأنه يعلم أكثر ممّا تعلمه أي شخصية من شخصيات عالم المتخيل السردي .

٢- الراوي المشارك هذا النمط يقوم بدورين : الراوي والشخصية في آن واحد اشتراك وتداخل بين الراوي واحدى الشخصيات في الغالب تكون رئيسية ، ومن هذا المنظور الراوي والشخصية متساويان في الرؤية ، وفي هذا الشكل من

---

(١) الخصائص ، أبي الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٥هـ) ، تحقيق : محمد علي النجار ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط٢ ، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م : ٢١٥/١ .

(٢) أثر الشخصية في الرواية : ١١٩ .

أشكال السرد يعد أقرب إلى الأدب ، العلم بكل قضايا المبنى من الشاعرية المتدفقة الاعتراف ممّا يضفي على النص قدراً .

٣- الراوي المتعدد : النوعان السابقان يقوم الراوي فيهما بأداء عملية القصِّ من البداية إلى النهاية ، وفي هذا النوع يتناوب أكثر من راوٍ بتأليف عملية القصِّ، ويشكل بناء الحدث أكثر من سارد ، وهؤلاء الرواة المتعددون يقعون في دائرة الابطال الرئيسية في الغالب ، وهذا النمط من الرواة العديدين يحتاج إلى الرؤية والمهارة الفنية حتى يجيد المؤلف صياغة الحبكة ويتقن صناعة السرد مقترناً بتيار (قص الحداثة) ؛ لأنه يشكل وحدّة من خلال التعدد ويقدم نظماً ، لذلك نجد تنوع الأصوات في الرواية وتناقضها أحياناً متناغماً من خلال نموذج آخر لتوعية النمط))[١] ، هذه أنواع متعددة من الراوي ووظيفته التي يقوم بها بالتناوب مع الشخصية المتخيلة ، وهي تتعلق بطريقة السرد في الرواية ، السرد الذي يدلُّ على ما يحويه فكر الروائي من أبعاد معرفية وثقافية .

إنّ الروائي يوظف أفكاره بوساطة المتن الروائي كلّه ، ويكون عن طريق التأويل أيضاً ، ولكن الشخصية لا يجب أن تكون تابعة للروائي إتباعاً كلياً ؛ لأنّها سوف تكون مقلدة وبذلك يكون أثرها ضعيفاً في الرواية ؛ ولذا يجب أن تكون مرآة عاكسة لأفكار راويها وهي التي تسيّر الأحداث وتنمي الحبكة ، وكذلك يشترك المكان في توظيف الفكر لدى الروائي من خلال تصويره للمكان في رواياته فهو يشير إلى دلالات عدة ورموز تتعلق بفكره .

في دراستي هذه تناولت علماً بارزاً من أعلام الرواية الذي مات وبقيت رواياته وأفكاره خالدة في أذهاننا جيلاً بعد جيل الأديب فؤاد التكرلي الذي وظف أفكاره في

---

(١) النمط والوظيفة ، طه وادي ، مجلة الجسرة الثقافية ، ١٥ / ٨ / ٢٠١٢م .

رواياتهِ عاكساً توجهاته من الواقعية والوجودية ((فالقاص تلميذ للواقعية النفسية التي لم تريد من تعقيب التبعات الاجتماعية والنفسية المتشابكة للسلوك الفرداني ، فهي ليست (ظاهرة ثقافية) قدر كونها وثيقة للعلاقة بالنزعة الديمقراطية التي ضمتها التحولات في بنية المجتمعات التجارية والصناعية وما قادت إليه في تركيبة المدينة، أي إنها تعني احترام الفرد ليس كرمز للجهد أو كتلة من البشر بل كإنسان له همومه وهواجسه ومشكلاته ، وهو إعتراف يفسر ظهور الاهتمام بسايكلوجيا السلوك وانعكاسات ذلك في الأساليب القصصية والروائية)) [١] ، إنَّ الروائي يشير إلى أهمية الإنسان بوصفهِ أنَّ له مشاعره وأحاسيسه وله الحقّ في الحرّية والعدالة التي هي من المبادئ الأساسية للوجودية ، وإنَّهُ وظف أفكارهُ التي امتازت بالواقعية السوداوية، وهذا ما نجدهُ في أبطال رواياته التي غالباً ما تنتهي بهم الرواية بالموت؛ فلأنه درس الحقوق ، وعمل في القضاء كلّ ذلك أثر في أفكاره لِمَا رآه من قضايا عُرِضَت عليه في المحكمة ومن خلالها تعرف على حقيقة واقع المجتمع العراقي ، وهو يشير إلى ذلك من خلال كلامه أن ((القضاء هو مجرد وظيفة ادارية ، ولكني استفدتُ منها الكثير حيث اطلعت على القضايا التي تهم المجتمع العراقي ، واستفدت أيضاً ، حيث خالطت الشخصيات التي قد لا نراها في حياتنا العادية ، وجسدتها في رواياتي ، ولم يكن القضاء عائقاً أمام الإبداع الروائي ، بل قواه ، والتقيت بشخصيات لم أكن أحلم أن أراها في حياتي لدى المجتمع العراقي ، وبالتالي بواسطة هذه الوظيفة أمكنني الإطلاع على أغوار حياتية عميقة لدى المجتمع العراقي ، وعلى نوعية المشاكل التي تحكمها والحلول الغريبة التي يلجأ إليها ساكنو هذه الأغوار لحلها)) [٢] ، إنَّ مهمة التكرلي القضائية هي العدل

---

(١) نزعة الحداثة في القصة العراقية ، الدكتور محسن جاسم الموسوي ، دار آفاق عربية ، د.ط، ١٩٨٤م : ٨٤ .

(٢) المجتمع اللاجتماعي دراسة في أدب فؤاد التكرلي : ١٨ ، ١٩ .

بحسب قوانين موضوعة، ولكنه بوصفه روائياً بحث عن العدالة للإنسان في أموره النفسية وعلاقاته الاجتماعية ، وسبب وجود هذا الإنسان ويحاول حل أزماته ومن أجل ذلك كتب رواياته واستعمل فيها الرموز والإيحاءات عن طريق الحوار الذي أغلبه (منلوج داخلي) يوظفه على لسان شخصياته أو عن طريق سرد كما في المسرات والأوجاع في بداياتها ، فهي تظهر أفكاره كما ان الحوارات باللهجة الشعبية التي ترد في أكثر نصوصه القصصية والروائية ، تبين أثراً مهماً في الكشف عن هموم ومستويات الرؤى المختلفة لدى شخوص التكرلي ، فضلاً عن الكشف عن أبعاد وتأثيرات المكان من الجانب النفسي والمعيشي عن تلك الشخصيات، يعتبر المكان سرداً لدى التكرلي ، لما يعبره من معاناة الطبقة البرجوازية الصغيرة وطبقته الوسطى التي تنفرد عن غيرها من الطبقات ، وشخصيات هذه الطبقة تنمي الأحداث وتعبر عن أفكاره ، واستعماله الأمكنة العامية والشعبية مثل بغداد ، وباب الشيخ ، وبعقوبة ، والشوارع ، والأزقة ، والمقاهي ، والمحلات ، فهي تعكس الجانب النفسي لشخصياته ، وما تعانيه من مشكلات اجتماعية وفقر ، وتعامله مع هذه الأمكنة بواقعية فغالباً ما يوظف المحكيات الشعبية توظيفاً فنياً جمالياً ، قلما يجاريه في ذلك كاتب عراقي[١] .

سيظهر ذلك أكثر وضوحاً من خلال تحليلنا لرواياته بصورة تفصيلية. مبتدئين بالاتجاهات والمهيمنات الفكرية التي حكمت سلوك مثقفيه وآرائهم .

---

(١) ينظر : لمحة في خصوصية المكان لدى الروائي فؤاد التكرلي ، جمال كريم ، الحوار المتمدن ، ع٧٨ ، ٢٠٠٨/٢/١ – ٥٥ : ٩ ، المحور الأدب والفن .

الباب الأول

الاتجاهات والمهيمنات الفكرية

الفصل الأول : الواقعية ومؤثراتها في المثقف .
الفصل الثاني: الوجودية ومؤثراتها على المثقف .
الفصل الثالث : الفرويدية ومؤثراتها على المثقف.

الفصل الأول
الواقعية ومؤثراتها في المثقف

الفصل الثاني
الوجودية ومؤثراتها في المثقف

الفصل الثالث

الفرويدية ومؤثراتها في المثقف

الباب الأول
الاتجاهات والمهيمنات الفكرية

- مدخل :

تتخذ روايات التكرلي اتجاهاً فكرياً نابعاً من ثقافة متنوعة ، اتسمت بها شخصياته الروائية ، ولفهم هذه الشخصيات لابدَّ من معرفة هذه الاتجاهات التي هيمنت على فكره .

والاتجاه لغةً : ((الجِهَة والوجْهَةُ جميعاً : الموضع الذي تتوجه إليه وتقصده))[١] أي المكان الذي يقصده الفرد ، ونجده في الاصطلاح هو المكان الذي يتوجه إليه الفرد ويروم في الوصول إليه ، أمّا ((فكر : الفَكر والفِكر إعمال الخاطر في الشيء ، وقد حكى (إبن دريد)[*] في جمعه أفكاراً والفكرة كالفكر وقد فكر في الشيء وأفكر فيه وتفكر بمعنى ورجل فكير، وفيكر كثير الفكر))[٢] ، شديد الفطنة ، أما في الاصطلاح فهو الفطنة والذكاء اللتان تميزان صاحبهما عن غيره من خلال التأمل في الأُمور .

احتضنت الستينييات اتجاهات فكرية عديدة إذ استقطبت اتجاهات فكرية غربية فأخذ الأُدباء يتجهون إلى هذه التيارات الذاتية ؛ بسبب ارتباط هذه التيارات الفكرية بطبيعة الحال بالاتجاهات السياسية أو الفلسفية .

وإذا كانت الواقعية قد رسخت أقدامها في آبان الأربعينيات والخمسينيات متجهة بذلك إلى رسم صورة قاتمة لمجتمع يعيش تحت وطأة التخلف والجهل ، من دون أن يكون لهذا الاتجاه نوع من الثورة على الواقع والاتجاه فيه إلى مسارات جديدة ، فقد جاءت الستينييات لترسم علاقة متطورة بين المجتمع وبين المثقف ؛ بسبب تنوع الثقافات والاتجاهات الفكرية ، وبسبب تصادم هذه الاتجاهات أو النوازع الفكرية أخذ المثقف يتجه نحو مسارات قد تكون بعيدة عن حالة المجتمع وما آل إليه، ولعل أبرز

---

(١) لسان العرب ، مادة (وجه) .

(*) هو ((أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد البصري ، ولد في البصرة (٢٢٣-٣٢١هـ)) ، من ويكبديا الموسوعة الحرة .

(٢) لسان العرب ، مادة (فكر) .

فلسفة ظهرت في تلك الحقبة الوجودية ، والسريالية ، والمد الاشتراكي الواقعي ، والرمزية ، ونرى الفكر الوجودي أكثرها انتشاراً ؛ لأنه لا يمثل قوانين وأنظمة وإنما يدعو إلى حرّية الأفراد في التعبير عن الذات الإنسانية الأصيلة ، وظهر من تأثر بالنظريات النفسية ومنها الفرويدية التي تقوم على تفسير السلوك الإنساني عبّر الغرائز الإنسانية الجنسية ، وإن لكلّ سلوك سبباً نفسياً يتصل بالغرائز ، وفؤاد التكرلي ألمَّ بالأفكار الفلسفية المتعددة (الواقعية – الوجودية – الفرويدية) نظراً لثقافته المتنوعة التي ترسخت في ذهنه وتكونت من هذه الاتجاهات ونزع إلى الوجودية ؛ لأنه يجد أن الإنسان هو من يضع القوانين لهذه الحياة ، وبذلك يمنح حريته ولا يُقَيدَ كما يؤكد الوجودي ((إن قيمة الإنسان تتحقق عندما يرفض القيم)) [١] .

إنَّ التكرلي روائي حرّ يدعو إلى الحرّية والروائي الحرُّ لا يمكن أن يقيد ويتجمد ويتقولب ، فلابُدَّ أن يتمرد ويظهر هذا التمرد من خلال اعماله الأدبية ، كما نراه في رواياته وكتاباته ، فالكتابة ((بالنسبة له لم تكن مجرد (فطرة) أو (موهبة) بل كانت وعياً نقدياً واستبصاراً في الواقع وموقفاً فلسفياً من الإنسان والكتابة)) [٢] ، ونظراً لهذه الثقافة المتنوعة التي ترسخت في ذهن التكرلي والمتكونة من هذه الاتجاهات نزع إلى الابتعاد عن القانون الأخلاقي السائد ، والذي يعدُّ رمزاً للمجتمع المحافظ ، وتتبع قوّته من الموروث الديني ، فأراد أن يُظِهر الجانب الداخلي للإنسان ورغباته المكبوتة بصورة واقعية ومتمثلة في مسيرة حياته ، فمثلها بصورة فنية في رواياته ، وارتكز في بعض رواياته على النظرية الفرويدية ، وذلك لثقافته العميقة ورسم أفعال شخصياته وفقاً لهذه النظرية ، أراد أن يكشف عن أشياء في السلوك الإنساني ويناقشها من خلالها ، وقد اتخذت شخصياته موقفاً أخلاقياً مخالفاً للموقف السائد في المجتمع ؛ لأنها ترى أنَّ

---

(١) الوجودية ، جون ماكوري ، ترجمة : د. إمام عبد الفتاح ، المجلس الوطني للثقافة والفن والآداب ، الكويت ، ط١ ، ٢٠٠٥م : ٣٠٢ .

(٢) إشكالية العلاقة بين الثقافي والسياسي المثقف العراقي شاهداً ، فاضل ثامر ، دار آراس للطباعة والنشر ، أربيل ، ط١ ، ٢٠١١م : ١٧٢ .

الإنسان غير مجبر على مسايرة المجتمع ليلقى القبول منه ، بل ينطلق من جوانبه الداخلية في إظهار ما يرغب به نابعاً من فلسفة حياتية خاصّة به ، قدّم التكرلي أفكاره عن طريق شخصياته وبطرائق مختلفة، وشخصيات التكرلي نابعة من وعيه المتقدم المتسم بإلمامه الشامل بالمؤثرات الفكرية، والفلسفية ، والنقدية ، والحياتية[١] ، ((ولعله أول روائي عراقي ، في الرواية العراقية قدم شخصياته تقديماً إخبارياً فنياً)) [٢] ، أي أن الروائي يكون الشخص الذي يقدم شخصياته في الرواية بالإخبار عنها .

وستقوم الباحثة بتحليل (روايات التكرلي) للكشف عن هذه الاتجاهات الفكرية، وبدايةً نحلل سينوغرافيا الغلاف ودلالة العنونة ؛ لأننا نجد من المهم أن ندخل في روايات التكرلي من عتباتها النصية ونقف في الفصول كلّها على مفهوم العتبة النصّية كما يقدمه جيرار جنيت ، إذ إننا ولأسباب منهجية تتعلق بطبيعة الدراسة لا نفكك العتبة النصية لسانياً ، وإنما نحاول قراءتها وفقاً لما تحمله الرواية من أبعاد فكرية وسايسلوجية عامة ، وما تطرقه من رؤى وأفكار ؛ ولذا سنقف على ما يسميه (جنيت) بالمناص النثري إذ يشمل بما يشمله ((الغلاف ، وصفحة العنوان، والجلاد ، وكلمة الناشر وغيرها))[٣] ، وهي أيضاً المتعاليات النصية ، وما يعني الباحثة تحديداً هو الغلاف والعنوان ؛ لذا قمت بتحليل عنوان الرواية وغلافها .

الفصل الأول

الواقعية ومؤثراتها في المثقف

- مدخل :

---

(١) ينظر : إشكالية العلاقة بين الثقافي والسياسي المثقف العراقي شاهداً : ١٧٤ .

(٢) تقنيات تقديم الشخصية في الرواية العراقية (دراسة فنية) ، أثير عادل شواي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٩م : ٧٤ .

(٣) عتبات جرار جنت من النص إلى المناص، عبد الخالق بالعابد ، تقديم : سعيد يقطين ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، منشورات اقراف الجزائر ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٨ : ٥٤ ، ٥٨ .

تميّزت الرواية العربية والعراقية على وجه الخصوص ، باتجاهاتها الواقعية؛ إذ اتخذها الكُتّاب مذهباً لهم في رواياتهم وقصصهم ، شهدتها حقبة الخمسينييات حتى أوائل الستينييات من القرن الماضي ، وكانَ ذلكَ لأسبابٍ تاريخيةٍ واجتماعيةٍ معروفةٍ، إذ أصبحَ الأدب الروائي في هذه الحقبة يعالج الأمور الواقعية وهي مرتبطة بالمضامين التي تناولتها الواقعية الساذجة ؛ وذلك لظروف العراق الخاصّة ، وهذا الأدب يتوجه نحو الحياة ليصورها وهو كثير الصلة بالواقع السياسي ، كما أنه كثير التعبير عن الاتجاهات الفكرية التي اتجهت اتجاهاً يسارياً متطرفاً ، ولكنه في هذه الحقبة تميّز عن الواقعية الساذجة بتوفر العناصر الفنية فيه[١] .

وتحيل لفظة الواقعية على ((ذلك المذهب الذي يقرره وجود العالم الخارجي مستقلاً عن الفكر وتمثل في فلسفة أرسطو وجميع الفلسفات التي تأثرت بها ، غير ان الواقعية قد يراد بها معنى معاكسٌ لهذا المعنى ، كما هي الحال في نظرية أفلاطون ان العالم الخارجي ما هو إلا انعكاس للصورة الذهنية وللمثل الأعلى وأنَّ هذه الصورة أكثر واقعية منه))[٢] ، أي ان للواقعية معنيين : الأول يقوم على أنَّ الواقع هو ذلك العالم والظروف المحيّطة بالفرد مستقلة عن موقِفِهِ وتأثيره فيها ، أما الرأي الثاني : فيقوم على أنَّ الواقعية هي مرآة لذهن الإنسان والقيم العليا ، وهناك تعريفات أخرى للواقعية فهي تعني : ((التعبير الصريح الكامل عن الصفات الفردية، لكن العرف والتقاليد وأي

---

(١) ينظر : الأدب القصصي في العراق منذ الحرب العالمية الثانية ، د. عبد الإله أحمد ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، (د.ط) ، ٢٠٠١م : ٢/٥٣-٥٤ .

(٢) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مجدي وهبه ، كامل المهندس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٤م : ٤٢٨ .

نوع من المدارس هي بالضبط ما تهاجمه الواقعية))[١] ، بهذا فإن الواقعية تكون وصفاً لسلوك الفرد وتحليلاً لهُ وهي تثور على العادات والتقاليد الاجتماعية السائدة في المجتمع وتعمل على حرية الفرد في التعبير عن توجهاته .

إنَّ الواقعية لا تقوم على الأمور المادية فقط ، ولكن تقوم على الجانب الروحي أيضاً ، المتمثل بقوى الإنسان ، وغرائزه ، ومشاعره ، وطموحاته ، ورُقيه؛ لذا على الفنان أنْ يأخذ بكل هذه الأمور في أثناء توظيف شخصياته في أعماله الأدبية .

تمَّ تقسيم الواقعية على خمسة اتجاهات هي : ((واقعية تقدمية حيث اهتمامها بالمجتمعات البشرية الفقيرة والمسحوقة ، وواقعية ديكنز[*] وبلزاك[**] وتعتمد التطرف في وصف المحيّط الاجتماعي ، والواقعية الطبيعية التي حاولت معالجة المجتمع بالاصطلاحات العلمية ، والواقعية الاشتراكية وتعني ما يجب ان تكون عليه الحياة في الواقع ، وواقعية تشاؤمية ما عبر بها فلوبير[***] عن بشاعة الحقيقة الاجتماعية))[٢] . ومع تعدد اتجاهاتها فإن هدفها واحد وتسير على خط واحد هو الواقع الاجتماعي ، وما يعانيه البشر في هذا الواقع .

---

(١) موسوعة المصطلح النقدي ، الواقعية ، ديمن كرانت ، ترجمة : د. عبد الواحد لؤلؤة ، دار الرشيد للنشر ، العراق ، (د.ت) : ٣٥ .

(*) تشارلز جون هوفام ديكنز (١٨١٢-١٨٧٠) هو ((روائي انجليزي ، يُعد من أعظم الروائيين الانكليز)) . من ويكيبديا الموسوعة الحرة .

(**) آوخوريه دي بلزاك (١٧٩٩-١٨٥٠) ((روائي فرنسي مؤسس الواقعية في الأدب الأوربي، كان بمثابة بانوراما المجتمع الفرنسي)) . من ويكيبديا الموسوعة الحرة .

(***) جوستاف فلوبير (١٨٢١-١٨٨٠) ((روائي فرنسي عكف على التأليف الأدبي)) . من ويكيبديا الموسوعة الحرة .

(٢) الأدب : تعريفه – أنواعه مذاهبه ، د. انطونيوس بطرس ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، طرابلس – لبنان ، ط١ ، ٢٠١١م : ٣٢٩ . ،

ويرى رينيه ويلك ان الواقعية هي ((تصوير الطبيعة وكذلك التمثيل الموضوعي للواقع الاجتماعي)) [١] ، أي انها تقوم على تصوير الأمور الموجودة في الطبيعة والحياة الاجتماعية التي يحياها الأفراد بصورة أمينة كم قبل الأدباء ، وقد اتخذوا شخصياتهم من الواقع وحاولوا من خلالها معالجة الواقع الاجتماعي ، ومحاولة عرض مشكلات المجتمع وخصوصاً الطبقات المعدمة ، ومن خلال هذه الأمور تبرز النظرة التشاؤمية للواقعية ، وقد حاول الواقعيون من الأدباء تصوير الواقع عن طريق رواياتهم ومسرحياتهم ، واستعملوا الطبقة المعدمة الفقيرة التي تعاني من الحرمان والبؤس ، وحاولوا إيصال صوتهم إلى المجتمع للتعرف على هذه الطبقة ومأساتها من أجل إيجاد الحلول لمشاكلها ، وبينوا الخطر الشديد من عدم إصلاح هذا الواقع وما سيؤول إليه ، وكذلك مَثلوا الشرَّ في رواياتهم ليتجنب الناس أنَّ يقعوا فيه ، وماهية نهايته السيئة[٢] .

إنَّ هذه الأعمال الأدبية تعبر عن كاتبها فكل نصٍّ أدبي يحمل ثقافة كاتبه فيتصل بما هو موجود في الواقع ويحاول إصلاح المجتمع كما يقول علي حاكم : ((ليس النصُّ الأدبي التخييلي ، إلا نصَّاً ثقافياً ، وجزءًا من عالم الثقافة الواقع ، الذي هو تعبير عن واقع اجتماعي ، أنَّ حصر الأدب بسمة التخيل المنفصل عن الواقع ، يخرجه من الثقافة والقول الدال))[٣] ، أي أنَّ كلَّ نصٍّ بما يحتويه من خيال فإنه يرتبط بالواقع وأنَّ الروائي يصوغها بأسلوب بارع ليؤثر في قرائه .

---

(١) مفاهيم نقدية، رينيه ويلك، ترجمة: محمد عصفور، الكويت، د.ط ، ١٩٨٧م : ١٨٢-١٨٣.

(٢) ينظر : الأدب : تعريفه – أنواعه – مذاهبه : ٣٢٨ .

(٣) المجتمع اللا اجتماعي دراسة في أدب فؤاد التكرلي : ٣٩ .

إنَّ ((الأديب يرتبط بالواقع الذي يعيشه بعلاقة إيجابية خلاقة يتبادل فيها طرفا العلاقة التأثر والتأثير)) [١] ، فالأديب يتأثر بالمجتمع من خلال ما يشهده ويصوره في رواياته ، والمجتمع كذلك يتأثر بما يُريد أنّ يوصله الأديب للقارئ .

إنَّ الواقعية تقوم على فكر الكاتب وما يدور في ذهنه فيصور المجتمع الواقعي ويغلفه بأفكاره وذوقه فهو كما يقول دستوفسكي[*] : ((يطلقون عليَّ خطأ الكاتب السايكلوجي بينما أنا في حقيقة الأمر واقعي بأسمى ما تعنيه الكلمة ، إذ إنني أصور أغوار النفس البشرية العميقة))[٢] ، أي أنّ الأديب الواقعي ينفذ إلى أعماق النفس البشرية ويصورها بدقة ويعتمد ذلك على مدى اتصاله بتجارب المجتمع .

إنَّ أية مادة أدبية مقدمة في العمل الروائي لا يمكن تقديمها بصورة موضوعية ، وإنما تقدم من خلال وجهة نظر الأديب الذي يقوم بكتابتها ، ومن خلال نفسيته وبحسب إدراكه لها ، وبحسب أسلوبه في التعبير عنها[٣] ؛ لذلك فإن العلاقة متبادلة بين الأدب والمجتمع ، إنَّ أغلبَ الشخصيات لدى الأدباء الواقعيين مستلبة إما من السلطة أو من المجتمع ، كما أنَّ أغلب الشخصيات المثقفة تكون مستلبة ؛ وذلك لأن أفكارها وآراءها وثقافتها لا يتقبلها المجتمع فتستلب إرادتها ، وقد مُثِلَ هذا في أغلب الأعمال الأدبية وبصور مختلفة ، فضلاً عن أنّ نجاح الشخصيات ونموذجيتها يكون على مدى ارتباطها بالموضوعية أي مدى تعبيرها عن أهداف المجتمع وآماله، فهي

---

(١) الواقعية في الرواية العربية الحديث في بلاد الشام (سوريا – لبنان – فلسطين – الأردن) من ١٩٣٩ – ١٩٦٧ ، إبراهيم حسين عبد الهادي الفيومي ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان – الأردن ، د.ط ، ١٩٨٣ : ٣٩ .

(*) ((فيودر ميخايلوفتيش دستوفسكي (١٨٢١–١٨٨١) واحد من أكبر الكتاب الروس والعالميين، ويذكر انه مؤسس الوجودية)) ، من ويكيبديا الموسوعة الحرة .

(٢) منهج الواقعية في الإبداع الأدبي ، د. صلاح فضل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (د.ط)، ١٩٧٨م : ١٩ .

(٣) ينظر : بناء الرواية ، د. سيزا قاسم ، مكتبة آفاق ، بغداد ، د.ط ، ٢٠٠٤م : ١٨١ .

عندما تمثل هذه الأهداف تمثل القيم العليا التي تسعى إلى تطور المجتمع فهي تصور شخصيات حقيقية[١] .

إنَّ الشخصيات تختلف بحسب انتمائها إلى المجتمع فالشخص المعزول عن الناس تختلف رؤيته للناس عن الشخص الذي يمارس حياته الاجتماعية بصورة طبيعية ، وأنَّ الفنان يستطيع تمثيل الواقع من خلال انتمائه له وهو يجسد ذلك بعمله الفني ويُمكنه الإصلاح من خلال أعماله الأدبية[٢] .

إنَّ كلَّ نصٍّ أدبي مفتوح على التفسير والتأويل والواقعية صورة من صور المجتمع ، وهي تتضمن وصفاً للمجتمع بكلِّ ما فيه من أوضاع للبشر وما تحويه من مأساوية ، وفقر ، وبؤس وتحاول إصلاحها ؛ لذا فإن الباحثة تؤول النص وتفسره بحسب فهمها للواقعية ، وبحسب وجهة نظرها والظروف التي تحيط بها ، إذ قلما تتطابق وجهات النظر فكلُّ شخص يؤول النصَّ بصورة تختلف عن الآخر ممّا يعطي النصُّ أكثر من تأويل .

إنَّ الروائي فؤاد التكرلي عُرِفَ باتجاهه الواقعي والوجودي، فنجد رواياته تحمل كل معاني الواقعية وإنَّ كانت بصورٍ متفاوتة ، ففي رواية تجد الاتجاه الواقعي طاغياً عليها بصورة نيرة وواضحة ، وفي أخرى نجد الملامح الوجودية هي الطاغية بصورة أكبر ، فضلاً عن الاتجاهات النفسية البارزة في بعض رواياته ، غير أنَ رواياتهِ بكلِّ الأحوال مرتبطة أشدَّ الارتباط بالمجتمع العراقي، وفي كلِّ حقبةٍ من حقبهِ التاريخية ، كما أنها تبين طبيعة الواقع الاجتماعي ، فضلاً عن أنّ شخصياته أغلبها مستنبطة من الواقع ، وقد أضفى عليها شيئاً من خياله ، إذ جعلها تمثل الغرض الذي كُتِبَت من

---

(١) ينظر : منهج الواقعية في الإبداع الأدبي : ٨١ ، ١٥٧ .

(٢) ينظر : الواقعية في الفن ، تأليف : سدني فلنكشين ، ترجمة : مجاهد عبد المنعم مجاهد ، مراجعة : د. يحيى هويدي ، الهيئة المصرية العامة للتأليف ، د.ط ، ١٩٧٣م : ٣٢ .

أجله الرواية وبأسلوب مؤثر وذكي ، فتؤثر في نفوس القراء وتدفعهم إلى الإحساس بالحزن .

ونرى الطابع الواقعي السوداوي سائداً في روايات التكرلي ، وكذلك نلمح ملامح (الواقعية الاشتراكية) بما فيها من ظاهرة الاستلاب ، مما يدلُّ على واقعية رواياته ، فأغلب أحداثها وقعت في العراق ، وعمله بمهنة (القضاء) له أثرٌ بالغٌ في رسم صورة للواقع المأساوي المعيش في العراق .

- سينوغرافيا الغلاف ودلالة العنونة :

الغلاف ثيمة مهمة من ثيمات الرواية ، فهو يحمل بين طياته دلالة على ما تحويه ، ويعمل على شدِّ القارئ ، وسينوغرافيا الغلاف(*) في روايات التكرلي بمثابة لوحة فنية يصور من خلالها واقعية رواياته ، ففي رواية (بصقة في وجه الحياة)(١) يصور الغلاف واقعية الرواية لما يحويه من صورة لنساء يتجمعن في حانة ، ممّا يدلُّ على المشهد الذي يريد تسليط الضوء عليه .

وفي رواية (الوجه الآخر)(٢) نجد الغلاف يدلُّ على الواقعية ، ففيه صورة لامرأة تجلس في المنزل ، فاقدةٍ للحريةِ ، والرجل خارج المنزل حرٌّ بكلِّ تصرفاته ، فهي رهينة للعادات والتقاليد الاجتماعية ، وهي بهذا مستلبة الحرية من المجتمع الذكوري ، وأنَّ

(*) والسينوغرافيا ((فناً مركباً يجمع بين العلامات اللغوية والبصرية والسمعية أو ما يسمى بفن الصور المرئية أو البصرية ، ... والسينوغرافيا ولدت من فن الزخرفة ثمّ تطورت في معارضتها للزخرفة لتصل إلى فن الديكور ، ... وهي مع المذهب الرمزي سينوغرافيا رمزية قائمة على الرمز والإيحاء والتلويح)) . تعريف السينوغرافيا وتطور مفهومها عبر التاريخ ، موسوعة البحوث الشاملة : http:// baht 21. blogspot . com

(١) رواية بصقة في وجه الحياة ، فؤاد التكرلي ، منشورات الجمل ، كولونيا – ألمانيا ، ط١ ، ٢٠٠٠م .

(٢) رواية الوجه الآخر ، فؤاد التكرلي ، دار الآداب ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٩م .

وظيفتها القيام بالأعمال المنزلية ولا تملك الحقَّ في ممارسة حقوقها خارج حدود البيئة المنزلية ، وإنْ خرجت عن حدودها فهي مخلة بالسلوك المقبول اجتماعياً ومرفوضة من قبله ، فالمثقف هنا راضخ للعادات والتقاليد على الرغم مما يحمله من ثقافة .

أمّا رواية (الرجع البعيد)[١] فهي صورة لأُسرة عراقية عاشت حقبة تاريخية في المجتمع العراقي ، كانت زاخرة بالثورات والانقلابات السياسية ، كما أنها تُشير إلى الطبقة البرجوازية الصغيرة حيث الفقر ، والمعاناة ، والحرمان ، وبهذا فإن صورة الغلاف تدلُّ على الواقعية ، وما يعانيه المثقف من سوء الحالة المعيشية .

وفي رواية (خاتم الرمل)[٢] يدلُّ الغلاف على الواقعية من خلال صورة المرأة التي تبكي وتحمل منديلاً ، وهذا دليل الحزن والألم ، وتقابله صورة رجل مقلوبة ربما تدلُّ على أنَّ هذا الرجل هو المثقف هاشم وقد قلبت حياته وأصبحت مأساة بعد وفاة والدته .

أمّا رواية (المسرات والأوجاع)[٣] فيدلُّ الغلاف على الواقعية أيضاً ، فنرى صورة لمجموعة من النساء يرتدين العباءة السوداء ، وهي الزي العراقي السائد للطبقة البرجوازية الصغيرة ، فنرى امرأتين تسيران معاً وامرأة تقف وتجلس بجانبها امرأة في الطريق ، فهذا يدل على أنَّ بعض الناس حياتهم ميسورة والبعض الآخر تمتلئ حياتهم بالصعوبات والهموم ، كما يحمل الغلاف دلالة على التكافل الاجتماعي ، فالمرأة الواقفة هي رمز للإنسان المتعاون ، أمّا المرأة الجالسة فهي رمز للإنسان الذي يحتاج مدّ يد العون إليه ، وعلى أساس هذا فإن توفيق يُمثل المرأة الجالسة وغسان يمثل المرأة الواقفة .

---

(١) رواية الرجع البعيد ، فؤاد التكرلي ، دار الآداب ، ط١ ، ١٩٩٣م .

(٢) رواية خاتم الرحمل ، فؤاد التكرلي ، دار الآداب ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٥م .

(٣) رواية المسرات والأوجاع ، فؤاد التكرلي ، دار المدى ، ط١ ، ١٩٩٨م .

أمّا رواية (اللا سؤال واللا جواب)[١] فالغلاف يدلُّ على الواقعية من خلال ما رَسمَّ عليه ، فؤاد التكرلي وصور الغلاف بـ((يقتحم الروائي الكبير فؤاد التكرلي المشهد العراقي بجرأة ويرسم لوحة روائية مبهرة عن تحولات عائلة عراقية صغيرة منذ الثمانينات الماضية إلى منتصف التسعينات ، هي تحولات العراق كلّه لا أحد يطرح الأسئلة عما يحدث ولا أحد يجيب))[٢] ، هنا تشير إلى واقعية الكتابة عن الوضع الراهن ، وتبين حالة أسرة وما أصبح بها من تحولات في وضعها الاقتصادي والنفسي ، فترتبط بتحولات العراق السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

- دلالة العنونة :

العنوان هو العتبة الأولى للنصِّ ، فهو يحملُ بين طياتهِ دلالة تحيل على المتن، فيشدُّ انتباه القارئ ، ((بوصفه الموجه الأول [له] إذا افترضنا أن هناك أكثر من موجه))[٣] ، ويعدَّ كذلك مدخلاً تنويرياً بات الاهتمام به واضحاً من لدن المبدع والناقد على حد سواء ((مما ولّد عند القارئ نزوعاً لاكتشاف البنية والدلالة فيه ، بوصفه من المولدات الشعرية التي لا تقل أهمية وأثراً عن النص نفسه)) [٤] ، وإذا كان العنوان فاعلية لها شروطها وملابساتها المستقلّة عن كتابة العمل نفسه ، فإنه من جهة أُخرى ((نتاج تفاعل علاماتي بين المرسل والعمل ، أما المستقبل فأنه يدخل إلى العمل أيضاً من بوابة في استنطاق دوالّهِ)) [٥] ، وبناءً على هذا ستكون قراءتنا لبنية العنونة في روايات التكرلي ، متجاوزين تراتيبها إلى تأويل دلالاتها ، من خلال علاقتها بالمتن ،

---

(١) رواية اللا سؤال واللا جواب ، فؤاد التكرلي ، دار المدى ، ط١ ، ٢٠٠٧م .

(٢) غلاف رواية (اللا سؤال واللا جواب) .

(٣) علاقات الحضور والغياب في شعرية النص الأدبي (مقاربات نقدية) ، د. سمير كاظم الخليل، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٨م : ٦٦ .

(٤) تنوير النص – ملاحظات في بنية العنونة والإهداء في شعر خالد السعدي ، د. علي متعب جاسم ، الشبكة العنكبوتية للاتصالات : www . alhewur. org

(٥) العنوان وسيموطين الاتصال الأدبي ، د. محمد فكري الجزار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، د.ط ، ١٩٩٨م : ١٩ .

والتكرلي من الروائيين الذين أتقنوا اختيار عنوانات رواياتهم ليس للدلالة على متن الرواية فحسب ، وإنما من أجل إضافة شيء يسمح للقارئ أو الناقد أنّ يحلل الرواية بعنوانها[١] ، وعلى أساس هذا فإن عنوانات روايات التكرلي تدلُّ بمجملها على أحداث الرواية ، ففي رواية (بصقة في وجه الحياة) يدلُّ العنوان على أنَّ الحياة لا تلبي حاجة الفرد ، بل تسلبه كلَّ ما يريده ؛ لأنه في تلك الحقبة كان الوضع الاجتماعي العربي يعاني من الفقر ، والعوز ، والتشتت (١٩٤٧) ، فقرار تقسيم فلسطين ، والظروف السياسية المتدهورة في العراق أثَّرت على الشعب، ممّا أدى إلى انتشار الفساد ، والفقر ، والعوز ، لاسيّما ما وصفه من وضع أُسرته التي عانت ما عانت من الفقر ، والعوز ، وما أحاطه من حرمان ؛ لذا ثار على الأوضاع السائدة في الحياة وكتب روايته بهذا العنوان ؛ لأن الحياة لا تلبي حاجته وما ناله منها هو الحرمان ، والعوز ، والكبت فقط ، فهو يبصق على هذه الحياة الواقعية التي يعيشها العالم ، يقول : ((لقد كانت لي عملاً من أعمال إعادة التوازن الشخصي وترميم ما تخرب من ذاتي بسبب ظروف أحاطتني))[٢] ، فعنوان روايته يمثل ثورة على هذه الحياة .

أمّا رواية (الوجه الآخر) فيدلُّ العنوان على دلالات عدِّة ، ومنها الواقعية ، فالإنسان يعامل الناس ويتعامل معهم بما تقتضيه ظروف المجتمع ، ويحاول أن يكون مقبولاً من الآخرين ، ولكن الإنسان يتمرد ويتحول في تصرفاته ، وتظهر أفكار فلسفته الداخلية إذا ما ضغطت عليه عوامل خارجية جعلته يظهر وجهه الآخر للناس ، وهذا الوجه يجعله أكثر ارتياحاً واستقراراً حتى وإنْ خالف القيم والأعراف الاجتماعية ، وعن هذا الأمر يقول الدكتور علي جواد الطاهر : ((إنَّما اسماها الوجه الآخر لأن هذه الشخصية لا تتكص في الحقيقة كما نتصور ، إنما هي فلسفة أبعد من ذلك أنَّ الشخص منها مصمم على شيء ومشغول بافكار معينة حتى إذا وقعت

---

(١) ينظر : عالم النص (دراسة بنيوية في الأدب القصصي) فؤاد التكرلي إنموذجاً ، د. سليمان كاصد ، دار الكندي ، الأردن ، د.ط ، د.ت : ١٧ .

(٢) بصقة في وجه الحياة : ١٠ .

الحوادث تبين له وجه آخر من أمره ومن أفكاره كان خافياً عنه وهذا الوجه الآخر يريد عجزه))[١] ، فالوجه الآخر هو صورة للذات الإنسانية المدفونة لكلٍّ مِنَّا .

وفي رواية (الرجع البعيد) يدلُّ العنوان على الواقعية ، وهو ربما يعني هنا الرجع البعيد أي الرجوع إلى الواقع ومواجهة كلّ الصعاب التي تؤدي إلى انزواء الإنسان وانعزاله في عالم الخيال ، أي الرجوع بعد حقبة طويلة من البعد والانتظار واتخاذ القرار الصحيح الذي يرتبط بمدحت في الرجوع في تفكيره بظلمه لمنيرة وما هي إلا ضحية سفاح المحارم ، والعودة إليها ، ومواجهة المجتمع وتقاليده .

نرى العنوان يوحي بمعانٍ عدّة ، كما أورده بعض الباحثين ، ولا يمكن الجزم بأنه يرتبط بشخصية أُخرى ، إذ يمكن له أن يعبر عن دلالات مختلفة بحسب ربطه بالشخصيات المختلفة في الرواية ، فهو مع شخصية عبد الكريم يعبر عن ذكرياته الخاصّة بصديقه فؤاد وموته مدهوساً بسيارة ، أمّا مع منيرة فيعبر عن استرجاعها لذكرياتها في بعقوبة وحادثة الاغتصاب التي تعرضت لها ، دفع مدحت يعبر عن استرجاعه لاحداث ليلة زفافه على منيرة والأحداث التي سبقتها ، فضلاً عن استدعائه للأصوات الأُخرى ومحاورتها ، وهكذا مع بقية شخصيات الرواية بما فيها الشخصيات الثانوية الشيخ التركي ، الاعرابي ، الرجل المسيحي من الموصل الّذين يستذكرون قصصهم الخاصة المرتبطة بماضيهم[٢].

أمّا رواية (خاتم الرمل) فنجد أنَّ العنوان يوحي بدلالات عدّة ، من الممكن تفسيرها في الاتجاه الواقعي ، أنَّ الخاتم هو ما يدل على الارتباط ، وتكوين الأسرة في المجتمع ، ولكن هذا الخاتم من رمل أي من الزوال وعدم البقاء ؛ لأن الأسرة مبنية

---

(١) في القصص العراقي المعاصر ، د. علي جواد الطاهر ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، د.ط ، ١٩٦٧م : ٢٩ .

(٢) ينظر : صورة اللغة في روايات فؤاد التكرلي ، وسام عباس جعيجع ، رسالة ماجستير ، إشراف : د. خالد علي مصطفى ، كلية الآداب – الجامعة المستنصرية ، ٢٠١٢م : ١٣٢ .

على أُسس واهية بحسب نظرة الروائي ، وتقوم على التسلط وليس على المحبة، وذلك يتضح من نصِّ الرواية ، فالنصّ يشير إلى أنَّ ضجة الحفل أدت إلى عرقلة ادخال الخواتم في أصبعيهما فيقول هاشم : ((فلم يستطيع أي منا وضع أحد خاتمي الخطوبة في إصبع الآخر فانبرت هي لها ، وبرزت من تحت الأرض وهتفت بابنة عمها أن تدفع إصبعها بقوة لادخال الخاتم !)) [١] ، ومن هذا يتضح أنَّ هذه العلاقة الزوجية تقوم على الصعاب ؛ وذلك نتيجة للمؤثرات التي يفرضها المجتمع عليهما ؛ لأن ادخال الخاتم في الأصبع دليل الارتباط ، وصعوبة إدخاله دليل على صعوبة إقامة هذه العلاقة .

أمّا رواية (المسرات والأوجاع) فنجد في العنوان ما يدلُّ على حياة الإنسان في الواقع وما تحمله له الأيام من أفراح وأحزان ، أي أنَّ حياته عبارة عن مسرات وهي قليلة ، وعلى الآم وأوجاع وهي كثيرة للشخصية الرئيسة في الرواية الذي يمثل الطبقة البرجوازية المعدومة ، ونرى أنَّ الروائي ربما ضمن العنوان من المثل القائل (الحياة حلوة ومرة) ولكن مرارتها أكثر من حلاوتها .

وفي رواية (اللا سؤال واللا جواب) يتخذ العنوان بعداً واقعياً ؛ وذلك لأن الرواية تتحدث عن زمن الحصار الاقتصادي الذي دامَ حوالي أكثر من عشرة أعوام بقرار من (امريكا) وعانى خلالها الفرد العراقي حصاراً في المجالات كافة ، كما عانى حصاراً نفسياً من العالم المتسلط الذي سلب الشعب إرادته ، وليس مسموحاً له بالسؤال عن سبب الجوع ، وعدم الحقّ له بالمطالبة بالجواب ، وربما يدلُّ على التحولات التي حدثت في حقبة الحصار من تحولات في الطبقات الاجتماعية ، وفي أحوال الأفراد من ارتفاع بمستوى المعيشة وانخفاض فيها ، ولكن ليس من حقِّ أي شخص أنَّ يسأل أي

---

(١) رواية خاتم الرمل : ٩٣ .

أحد عن سبب تحول حالته وتطورها ، ولا يجد جواباً على سؤاله وهي بهذا مرتبطة بالواقع العراقي ومعاناته .

وفي الخاتمة تجد الباحثة أنَّ الواقعية لها الأثر الكبير في التأثير بالمثقف ، وأنَّ سينوغرافيا الغلاف ودلالة العنونة مرتبطة كُلَّ الارتباطِ بالمثقف والأُمور التي أحاطت به .

- المثقف الواقعي :

تُسهِم الواقعية في الكشف عن شخصية المثقف في روايات فؤاد التكرلي ، ولعل من أبرز مظاهرها هي المصادفة ، والثورة على التقاليد والأعراف ، والبطالة، والتشاؤم ، ومن أكثر المظاهر بروزاً هي المصادفة ، ففي رواية (بصقة في وجه الحياة) نجد الحياة بنظر محيّ تقوم على المصادفة فهو يقول : ((هذه الحياة التي تخيف وترجف القلوب وتحدُّ من أعمالنا وتشذب من رغباتنا ، ما هي إلا صدفة ، ما هي إلا أكذوبة صغيرة لا يمكنها حتى أنّ تضحكنا))[١] ، إنَّ الحياة بنظر محيّ هي التي تحركنا كيف تشاء من دون قدرة لنا على الوقوف ضدها ، فهي تبكينا تارة وتضحكنا تارة أُخرى ، وهذا يشير إلى أنَّ محيّ إنسان مهزوم ثقافياً فهو لا يؤمن بقدرة الإنسان على تحسين ظروفه .

وفي رواية (الوجه الآخر) نجد المصادفة لها الأثر الكبير في الكشف عن الوجه الآخر لمحمد جعفر (بطل الرواية) ، حينما التقى الشاب الذي طلب منه المساعدة وهو يكاد يغمى عليه، وعندما سقط الشاب على الأرضِ، نجد محمداً تخلى عنه هارباً وصعد إلى الباص[٢] ، هذا هو الوجه الآخر لمحمد ، الجانب الثاني جانب الشرِّ في

---

(١) بصقة في وجه الحياة : ٣٣ .

(٢) ينظر : الوجه الآخر : ٨ .

الإنسان ((لأن الواقعية [...] أُستنبطت من النظرية الفلسفية التي ترى أنَّ الحياة بُنيت على الشرِّ ، وأنَّ ما يبدو فيها من مظاهر الخير ، ليس إلا طلاءً رائقاً يموه واقع الحياة ويخفي طبيعة الإنسان الحقيقي)) [١] ، بمعنى أنَّ كل إنسان يضمر الشرَّ ، وهذا الشرُّ لا يمكنه الظهور إلا إذا تكالبت الظروف القاسية عليه ، فهو مثقفٌ إنهزامي ؛ لأنه لا يستطيع مواجهة المواقف ومساعدة الآخرين ، بل كلّ ما يفعله هو الهروب من الواقع ، كما أنه لا يطبق كلُّ ما يقرأه ، ولا يحاول التغيير وإنما يقرأ ليزود نفسه بالمعرفة ليس أكثر ، ولعل ذلك يعود لوعيه في مرحلة مبكرة من حياته أنَّ الثقافة لا تغني ولا تشبع من جوع ، فمحمد ((أدرك أنّه لا يكتب إلا لأنّه يكتب ولم يكن يدر بالضبط لماذا يكتب [...] وكانت هذه الفكرة هي مبدأ التلاشي عنده لقيم لم يكن يملك سواها يوماً من الأيام)) [٢] ، إنَّ ما يكتبه محمد لم يبين طبيعة ثقافته مما يدلُّ على أنَّ هذه الشخصية غير منسجمة مع واقعها ولا يطبق ما يقرأ فهو على أساس هذا يمكن عدّه مثقف مهزوم مثقف تقليدي .

أمّا رواية (الرجع البعيد) فقبل البدء بالتحليل لابُدّ من ذكر بعض الشخصيات المثقفة لما احتوته على عدد من المثقفين الذين يشكلون محور الرواية فتشتمل على (مدحت ، عبد الكريم ، حسين ، أبو مدحت ، منيرة ، مديحة) أما الشخصيات العاجزة (عمة مدحت ، أُم حسن ، جدة مدحت) ، وشخصية عدنان الجاهل الذي شكل حدثاً مهماً في الرواية ، فالمصادفة فيها كشفت عن شخصية حسين وما يعانيه من الواقع ، حينما لمحته أم مدحت وهو زوج ابنتها مديحة ، عائداً من الكويت ((عندئذ لمحته

---

(١) تعريف الواقع لغةً واصطلاحاً ، د. عبد الرحمن رأفت الباشا ، نحو مذهب إسلامي ، الأدب والنقد : http : // www . alukan . net

(٢) الوجه الآخر : ١٣ .

يخرج من انحناءة الزقاق القريب ، طويلاً بارز الصدر متعثر الخطوات)) [١] ، إنَّ هذا النصّ يكشف عن شخصيته ، فخطواته المتعثرة تُشير إلى فقدانهِ الاستقرار ، فهو حائر بين ما يحمل من أفكار وبين ما موجود في الواقع ، وهو بهذا مثقف مهزوم حاول الهروب من واقعه ، ولكنه عاد خائر القوى.

وفي رواية (المسرات والأوجاع) تؤدي المصادفة إلى الغرض الذي تطمح إليه الشخصية ، فالروائي الناجح هو الذي يختار المصادفة الملائمة لتنمية الحدث من بين المصادفة الكثيرة في الحياة ، فينتقي مصادفة رؤية توفيق (الشخصية الرئيسة في الرواية) لرواية سانين ليذكرنا بعامل الربط بين الشخصيتين ، فمؤلف رواية (سانين) الروائي الروسيي آرثر بياشيف اعتمد ((فلسفة ماركس ستيرنر القائمة على الفوضوية الفردية ، وهي التي تقاوم النزعة المحافظة داخل المجتمعات، فبطل الرواية هو ذلك الرجل يجسد المرأة الصافية للطبيعة ، إذ تنسجم تصرفاته مع محيّطها متحررة من محيّطها الاجتماعي المحكوم بالتقاليد والأعراف الصارمة))[٢]، فالمصادفة هي التي جعلت توفيق يقرأ رواية سانين ليكتشف شخصيته فيها ، فنظرة توفيق للمرأة تقوم على أساس التحرر من التقاليد الاجتماعية ، وتتصرف بحسب طبيعتها ، فهو بهذا ضدّ التقاليد والأعراف التي تقيد المرأة ، وعلى أساس أفكاره هذه يُعدُّ صورة للمثقف الثوري .

والمصادفة عملت أيضاً على جمع توفيق بغسان بعد حقبة طويلة من الفراق ، وهذه المصادفة يَسرت الأُمور لتوفيق ، وحملت معها السرور ، والأمل ، والراحة له، فما تعرض له توفيق في حياته من صعاب وهموم غيرت من شكله وجعلته عبارة عن مجلدات من الهموم بعد أنّ كان صفحة ناصعة ، فالحياة سلبته والدته ، وماله ،

---

(١) رواية الرجع البعيد : ٦ .

(٢) موقع الانترنت ، رواية سانين ، ميخائيل آرثر بياشيف ، ترجمة : إبراهيم المازني ، مؤسسة هنداوي : hindawi . org

وحرمتهُ نعمة الأطفال ، ولكنها عوضتهُ بهذه المصادفة ((فما دمّتُ متأكداً بأني وغسان عشنا زمننا الذي أُتيح لنا بالصدفة متحدين نفساً وعاطفة ، ورؤى ، فلابُدَّ لي إذن أن أتوصل إلى إدراك ما يفترض أنه تمنى عليَّ أنَّ أعمله له ولها ولي لابُدَّ)) [١] ، إنَّ هذا النص يبين لنا التوافق الفكري ، والنفسي ، والعاطفي ، إنَّ المصادفة هي التي أنقذت توفيق من حالة الفقر والحرمان التي يعيشها ، فغسان ترك لتوفيق حقيبة بخمسين ألف دينار ، وهذا المبلغ من المال عَمِل على تغيير حياته ، والمصادفة لم تكن بالمال فقط ، إذ حينما وَجدَ توفيق ذاته في غسان، قرر أنّ يستثمر هذا المال بما كان سيستثمره غسان فيما لو كان مازال حياً ، كما منحه نعمة الأطفال إذ أخذ يفكر بالزواج من فتحية لرعايتها ورعاية إبنها رداً للجميل الذي صنعه معه ، وهذا ما قصده بقوله (له ولها ولي ولابُدَّ) ، وكلمة لابُدَّ تأكيد لرغبته في الزواج بفتحية ورعاية إبنها ، فالصدفة كان لها أثرٌ إيجابي في تغيير حياته ، وبسبب هذه الصدفة ابتسمت الحياة له من جديد وعوضتهُ عما حرمته منه سابقاً .

والمصادفة في رواية (اللا سؤال واللا جواب) عملت على تغيير حالة عبد الستار (الشخصية الرئيسة في الرواية) من الفقر والعوز إلى الترف والراحة ، كما كشفت عن تحول في شخصيته من إنسان نزيه معتدل إلى إنسان فاقد للقيم والمبادئ.

إن المصادفة تمثلت حينما ضرب عباس كروازة عبد الستار على رأسه بآلة حادة ؛ لأنه طالبهُ بأجرة التاكسي ، وهذه الآلة الحادة كانت عبارة عن كيس أسود يحوي مصوغات ذهبية من الأساور والخواتم المرصعة[٢] ، وعلى أثر ضربه بهذا الكيس فَقَدَ وعيه وحينما أفاقَ وجد هذا الكيس وهو حينها لم يفكر بإعادة الكيس إلى صاحبه الأصلي أو البحث عنه ؛ لأنه يعيش حالة من الفقر والعوز فاختلطت لديه

---

(١) المسرات والأوجاع : ٤٦٤ .

(٢) ينظر : اللا سؤال واللا جواب : ٥٧ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ .

الأُمور فلم يَعد يفرق بين ما يملكه وبين ما لا يملكه ((كنت أُخفي عن نفسي ذلك النزوع الحيواني للاستيلاء على كلِّ شيء يقع تحت يدي لا فرق أنّ كان لي أو كان لغيري [...] كنت أشعر ، أشعر فحسب بذلك النزوع الأعمى للتملك يتراءى لي ، ثم يختفي في أعماق ذاتي)) [١] ، إنَّ المهم لدى عبد الستار هو الحصول على ما يحسن وضعه المادي ، سواء أكان حلالاً أم حراماً ، فنجده يتحول من موقعه النزيه مدرساً يعمل على نشر القيم والمبادئ إلى موقف مخالف ، فينحرف عن هذه القيم التي نشأ عليها ، فالحصار الاقتصادي دمرَ النفوس ، فهو لا يمثل دماراً اقتصادياً للبلاد فحسب ، وإنما هو دمار اجتماعي ، وعلمي ، وثقافي ، وأخلاقي ، وبهذا فإن المصادفة كشفت لنا عن التغيير الحاصل في شخصية عبد الستار ؛ بسبب الوضع المادي السيئ الذي يعيشه ، وهذا ما أكده عبد الكريم خضير عليوي السعدي : ((إنَّ جوهر الرواية الذي أراد التكرلي إيصاله لنا ، فعبد الستار الذي هو من ناحية كان لا يأخذ حقَّه تماماً من صاحب سيارة الأُجرة التي يقودها كلَّ مساء ، وكان لا يُخفي عنه ما كسب خلال ساعات العمل إلا تلك المبالغ التي تعطى له مثل هدية (مبالغ أكبر من الأجور المستحقة) ، نجده من ناحية أخرى يحتفظ بمال ضخم مسروق ، ومن غير أنَّ يسأل نفسه أسئلة ذات طابع أخلاقي بهذا الصدد ، ويظل هذا الصراع النفسي يلازمه ، فهو يشعر بأنه قد خان أخلاقه التي شوهتها سنوات القهر والحرمان؛ لذلك راحت النوبات الهيستيرية التي كان يعتقد أنها نوبات صرع ، تلازمه في أثناء النوم وهي ليست سوى انعكاس لصراع داخلي كان يجري في منطقة لا وعي عبد الستار ، الذي راح يدفع

---

(١) اللا سؤال واللا جواب : ٦٧ .

ثمن ذلك من صحته النفسية)) [١] ، فعبد الستار يعيش حالة من الازدواجية فهو صادق مع صاحب السيارة ، ولا يغشه ، ولا يأخذ أكثر من حقِّهِ ، ولكنه لا يُعيد كيس المصوغات إلى صاحبه أو يحاول البحث عنه .

إنَّ المصادفة في هذه الرواية كشفت لنا عن التحولات في شخصية عبد الستار وغيره من الأشخاص في حقبة الحصار ؛ لذا فإننا يمكن أنَّ نعدّ عبد الستار مثقفاً مستقلاً ، وما يهمه هو ذاته فقط ، والمثقف المستقل ((هو من يعمل بذاته ولذاته))[٢]، بمعنى أنه يعيش لعالمه الخاصّ فقط .

ومن مظاهر الواقعية الأُخرى الثورة على العادات والتقاليد وتجاوزها وعدم الاكتراث بها ، ففي رواية (بصقة في وجه الحياة) نلحظ الثورة على العادات والتقاليد من بنات محيّ ، يقول محيّ عن بناته : ((إني أرى [...] فتاة – بل فتيات – تُرك الحبل لهن على الغارب ؛ فلا أب يسأل ، ولماذا أسأل ... حقاً لماذا ؟ ولا أم توسوسهن ، فصرن يعبنَّ من لذات الحياة عباً ولا يشبعن من ترفها قط)) [٣] ، يُظهر لنا النصّ الشخصية المثقفة ضعيفة الموقف ومهزومة ، فمحيّ متردد بين ما يحمله ضميره من التزام بالعادات والتقاليد ، وبين ما لا يستطيع تطبيقه في الحياة الاجتماعية ، وهو منع ابنته من الخروج مع الشباب ، وتظهر حيرة محيّ وترددها في اتخاذ موقف واضح حينما يترك لنا الروائي علامة حذف ما بين الكلمات في إشارة مهمة إلى ذلك التردد ، على الرغم من أنه يتوفر له الدافع لاتخاذ الموقف الذي يدلُّ على عدم الالتزام

---

(١) الحصار في الرواية العراقية (دراسة موضوعية) مقارنة بين التكرلي وبتول الخضري ، عبد الكريم عليوي خضير السعيدي ، كلية الآداب – جامعة ذي قار ، قسم اللغة العربية . www.dicjax . com .

(٢) المثقف والسلطة : ١٢٢ .

(٣) بصقة في وجه الحياة : ١٦ .

بالعادات والتقاليد ، وذلك من خلال حديث محيّ ((في تمام الساعة العاشرة دقَّ جرس التلفون فركضت إليه وكنت في صالة الدار بمفردي، فسمعت صوت رجل يسأل عنها ، وكان ذلك أمراً اعتيادياً لا يوجب الاستغراب ، إلا أنَّه كان يؤلمني دائماً)) [١] ، إنَّه يتحدث عن ابنته فاطمة التي خرجت عن العادات والتقاليد وأخذت تخرج مع الشباب من دون أنَّ تجد من يحاسبها ، فمحيّ يتألم لما يحدث ، ولكنه لا يستطيع أنَّ يفعل شيئاً ؛ لأنه ضعيف ومهزوم ، وهذا ما زاد معاناتهِ .

إنَّ الشخصية المثقفة المهزومة لا تستطيع أنَّ تُقدّم شيئاً للمجتمع ولذاتها ، فهي مترددة بأفكارها وغير مستقرة ، ولا تستطيع أنّ تواجه المجتمع والأفعال التي لا ترضى عنها ، فنراها تلجأ إلى الكتابة كما حدث مع محيّ فيقول : ((من يدرك ويتصور حالتي وأنا أكتب هذه الكلمات ؟ إنني أضحك ، أضحك بسخرية وهزء ، أضحك بوحشية وفضاعة لا حَدَّ لهما)) [٢] ، إنَّ محيّ لا يستطيع ردع بناته عن هذه الأفعال ، فنجده يلجأ إلى الكتابة ؛ لأن الكتابة تمثل بالنسبة له تفريغاً نفسياً للمكبوت الداخلي ، فهو يستهزئ بالدنيا ، وكلَّ ما يدور حوله ، ويحاول أنّ يتلافاه ويقلل من شأنه .

ويحاول الروائي أنْ يغوص في أعماق المجتمع ؛ لأنه ينتمي إلى الواقعية النقدية ، فنراه يصور تغاضي محيّ عن الأعراف والتقاليد حينما يسأل إبنته صبيحة عن أُختها فاطمة بقوله : ((سألتُ صبيحة متى أقبلت أمس فاطمة ؟ فاضطربت قليلاً وأجابتني : أنَّها كانت نائمة وقتئذ)) [٣] ، إنَّ فاطمة اعتادت الخروج مع الشبان والعودة متأخرة ؛ لأنها لا تجد من يردعها عن هذه التصرفات ، فهي تخرج عن العادات والتقاليد ؛ لأن والدها محيّ لا يمكنه منعها ، فهو مثقف انهزامي يدرك أنَّ ما تقوم به

---

(١) بصقة في وجه الحياة : ٢٠ ، ٢١ .

(٢) المصدر نفسه : ٣٥ .

(٣) بصقة في وجه الحياة : ٤٠ .

أبنته أمرٌ خاطئ ، ولكنه لا يردعها ، أمّا لإدراكهِ أنَّه لا يوفر لها متطلباتها ؛ بسبب وضعه المادي ؛ أو لأنه يخاف مواجهة الواقع .

أمّا رواية (الوجه الآخر) فنلحظ أنَّ محمد جعفر تجاوز القيم الاجتماعية حينما طلق زوجته بعد أن أصيبت بالعمى إثر حمى أُصيبت بها بعد الولادة[١] ، إنّ محمد تخلى عن زوجته في الوقت الذي هي بأمس الحاجة إليه ، فهو مثقف مهزوم ؛ ولعل ذلك يعود إلى شعوره بالإهمال من الدائرة التي يعمل فيها ، ولصعوبة الحياة المادية التي يعيشها ؛ ولأنَّ مجمل ما كان يتمناه أنّ يكون له ولد يحمل أسمه ، وللفرق الثقافي بينه وبين زوجته ، فهو يواجه صراعاً نفسياً حيال الثقافة ؛ وذلك لأن من حوله لا يعرفون معنى الثقافة ، فهم مشغولون بالمادة ، وهذه من المشاكل التي يواجهها المثقف في عدم تقبل المجتمع لأفكاره ، ممّا يسهم في جعله مهزوماً ((ومن يعلم فلعله يعطي القراءة أهمية لا تستحقها ، أنَّ زوجته لا تفتأ تذكره بأنهما لا يجنيان شيئاً من وراء قراءاته [...] بدأ يفكر في فائدة القراءة له أنَّها لا تزيد إلا وساوسه ، وأحلامه ، وشعوره بالفشل))[٢] ، إنَّ الفارق الثقافي بينه وبين زوجته كان من أحد الأسباب التي دفعته إلى تركها .

إنَّ كل العوامل السابقة دفعت محمداً إلى تجاوز القيم والأعراف الاجتماعية ، فترك زوجته حينما أحسَّ أنَّها عبء ثقيل على كاهله ، مع أنَّ القيم الاجتماعية ، والأعراف ، والأخلاق ، لا تسمح لأي إنسان بأن يترك إنساناً آخر وهو بهذه الحالة، فكيف تَسنى له تركها وهي بهذه الحالة .

مما سبق يتبين لنا أننا لم نفهم من الروائي عمق ثقافة محمد ؛ لأنَّ مثل هذا العمق هو الذي يدفع إلى تساؤلات ، وأفكار فلسفية وعلمية صارمة ، جاءت على لسان

---

(١) ينظر : الوجه الآخر : ١٠٥ .

(٢) المصدر نفسه : ٣٣ .

شخصية مثقفة مثل محمد ، ويبدو أنَّ الروائي أضفى على الشخصية الكثير من أفكاره ، وهو ما نسميه بـ(البوح الذاتي) ، فمحمد نفس هائمة ، ضائعة ، مزعزعة، خائرة القوى ، على الرغم مما يمتلكه من ثقافة وفكر ، وعلى الرغم ممّا يتفجر من ثقافة من توق إلى الحياة ، إلا أنَّه لم يتعلم شيئاً من معاني التضحية ، لاسيّما حين ترك زوجته وثار على الأعراف الاجتماعية .

إنَّ محمداً صورة للمثقف البائس ، فقد تفككت مبادئه ، وأنحلت قيمه ؛ نتيجة لما أصاب زوجته .

وفي رواية (الرجع البعيد) نلحظ الثورة على التقاليد ، والأعراف الاجتماعية، حينما لجأ حسين إلى شرب الخمر هرباً من واقعهِ المرير ، فيقول أبو شاكر عنه ((آني يا هو مالتي إذا الأخ حسين يشرب ليل نهار مستمراً وما يعرف دربه؟))[١] ، إنَّ لجوءهُ إلى الخمر وسيلة للتخلص من شعوره بالذنب لعدم قدرته على تحمل مسؤولية إبنتيه وزوجته ، فهو صورة للمثقف الثوري المتمرد الهارب من الواقع ، فحسين يمثل الطبقة المثقفة الهاربة من المجتمع ومسؤولياته ، وذلك إثر إحساسه بالفراغ والخواء ، وهروبه داخل الوطن وخارجه ، فهرب خارج بلده إلى الكويت وعاد منهاراً ليشرب الخمر[٢] ، إنَّ حسيناً جزء من الطبقة البرجوازية ، وغيرها والبرجوازية التي تعتمد على الواقعية ؛ لذا فإن لجوءه إلى الخمر هو جزء من الواقع السائد آنذاك ، وعلى أساس هذا فإن حسيناً مثقف ثوري ؛ لأنه ثار على التقاليد والأعراف ولجأ إلى شرب الخمر .

---

(١) الرجع البعيد : ١٢٤ .

(٢) ينظر : أبطال الرجع البعيد بين الإحباط والاغتراب ، صبري مسلم ، الأقلام ، ع١٣ ، ١٩٨٣م : ٤١ .

إنَّ الخمرة لها الأثر الكبير عند الواقعيين ، لاسيّما ما تحملهُ من دلالات اجتماعية ترتبط بمجالس الشراب وألوانه ، فالخمرة قوة محطمة تقضي على الأفراد وتؤدي إلى انهيار الأسرة وانحطاطها[١] .

وفي الرواية نفسها نجد مدحت يواجه الأعراف والتقاليد ويتزوج منيرة التي فقدت عذريتها حينما اغتصبها عدنان ، فمدحت يحاول الانتصار لأفكاره ، وعلى تقاليد مجتمعه ((لن يعتذر لها بالطبع ، لتلك العزيزة ، سيقول لها فقط أنه جاء إليها، من أجلها ، هي زوجته ؛ لأنه انتصر على كلِّ أفكار الفناء فيه)) [٢] ، فمدحت يثور على التقاليد والأعراف ، فيلوم نفسه ؛ لأنه ظلم منيرة إذ كان لابُدَّ أنّ يعود إليها ويقضي على كلّ ما يقف بوجه سعادته معها ، وأنّ لا يحطم حياته وسعادته من أجل ما توارثه الآباء والأجداد ، فمنيرة ليست الحبيبة والزوجة فقط ، وإنما هي الحياة كلها بالنسبة له ، كما أنها رمز الثقافة الجديدة ، الثقافة الرافضة للظلم ، والقسوة ، والتقاليد البالية ، وبهذا فإن مدحت يمثل المثقف الواقعي الثوري الذي ثار على تقاليد المجتمع ووقف ضدَّها .

أمّا رواية (خاتم الرمل) فنجد أنَّ هاشماً يتجاوز القيم والأعراف الاجتماعية ، حينما يهرب ليلة زفافه إلى مقبرة والدته ويترك زوجته آمال بمفردها ، ممّا يثير سخطها وحزنها ، تقول العمة قادرية لهاشم ((آمال يا ابني آمال، لا يمكن أنّ تبقى هكذا . تريد أنّ تتزوج ولعل عريساً ... أو لا أدري ... تقدم لخطبتها أو ... أو أي شيء آخر)) [٣] ، إنَّ آمال لا تمانع من الزواج بشخص آخر ، لاسيّما بعد أن تركها معلقة لمدّة سنة ونصف ؛ ولكنّ لأنَّ هاشم صورة للمثقف الرومانسي المتمرد فإنه رفض الانفصال

---

(١) ينظر : بناء الرواية : ١٤٦ .

(٢) الرجع البعيد : ٤٨٩ .

(٣) خاتم الرمل : ٣١ .

عنها ، والظروف هي التي أوصلت هاشم إلى قسوة القلب والأنانية، فوفاة والدته التي طالما عدّها ملكة الحياة والغطاء الدافئ له ، فهي التي حمتهُ من قسوة والدهِ ، فنجده يُحمل والده سبب وفاة والدته ((أو تظنينني محظوظاً ... أنا الذي فقد أمه ، وهو في التاسعة من عمره ؟ رأيتها ميتة أمامي ! بسببه هو)) [١] ، إنَّ الظروف التي عاشها هاشم جعلت منه صورة للمثقف الرومانسي الثوري ؛ وذلك إنّ الأُمور الواقعية التي حصلت له والمتمثلة بوفاة والدته وقسوة والده أثرت على نفسيته وجعلته إنساناً من الصعب أنّ يتكيف مع أبناء مجتمعه ؛ فلهذا وجدناه يهرب ليلة زفافه ثائراً على التقاليد والأعراف الاجتماعية ، وممّا يفسر عدم ارتباط هاشم بآمال هو رفضه لأي ارتباط بالآخرين ؛ وذلك لأنَّ هاشماً ((كما تفصح عن ذلك شخصيته وأفكاره ، وكلامه ممتلئ بإحساس الارتباط والانتماء المفروض عليه ، شأنه في ذلك بالطبع شأن كل إنسان ينتمي إلى مجتمع وأُناس ومكان لم يختره هو ، وهو ما قاد إلى الإحساس بعدم الارتباط بالآخرين وبزيفه ، أو على الأقلّ قاد إلى الإحساس إلى عدم الاقتناع به ، بفعل خللٍ منه أو من الآخرين ، الأمر الذي يحول هذه العلاقة افتراضاً الذي يربط البشر ببعضهم هو الزواج ، فعبرت عنه الرواية انطلاقاً من هذا بخاتم الرمل : "وبسبب هذه النظرة التي تفسر نظام الأشياء الطبيعية، من أجل أنّ تحشره في نظامها المصطنع ، يتحول الذهب الخالص إلى خاتم من الرمل وتفسد العلاقات")) [٢] ، وهذا يفسر وضع هاشم ورفضه للمجتمع وثورته على الأعراف والتقاليد .

ومن مظاهر الواقعية الأُخرى البطالة التي تظهر بصورة جلية في رواية (بصقة في وجه الحياة) فمحيّ موظف متقاعد يقضي كلّ وقته في التفكير بغرائزه الجنسية ،

---

(١) المصدر نفسه : ٣٠ .

(٢) أزمة الفرد ... أزمة الوجود ، رواية خاتم الرمل لفؤاد التكرلي ، د. نجم عبد الله كاظم ، مجلة المدى ، ع٤ (٣) ، ٢٠٠٣م : ٣٤ .

أو الجلوس في المنزل ، أو المقهى الذي يرمز هنا إلى البطالة كما في قوله : ((لبثتُ جالساً في مقهى فتاح ، وهو محليّ المُختار)) [١] ، فمحيّ لا يجد ما يشغله سوى الجلوس في المقهى أو المنزل، أو قراءة الكتب الجنسية ، فهو لا يحاول تحسين وضعه المادي ، ولسوء وضعه المادي نجد أنَّ بناته ينحرفن من أجل كسب المال ، وهو بهذا مثقف مهزوم ؛ لأنه لم يستطع تحسين وضعه المادي وبالتالي فإنَّه لم يستطع منع بناته من الانحراف ، وعلى أساس هذا تكون البطالة قد أسهمت في جعل محيّ مثقفاً مهزوماً .

ومن مظاهر الواقعية الأُخرى التشاؤم التي تظهر في رواية (الوجه الآخر) فنجد محمد جعفر متشائماً من المجتمع ، فهو ينظر إليه نظرة إنسان حاقد ؛ ولعلّ ذلك يعود لاعتقاده أنَّ المجتمع يسحق كلّ إنسان طيب ، وهو بهذا ناقم على مجتمعه وعلى ذاته ؛ لأنَّه يرى في ذاته صورة للإنسان الطيب .

إنَّ تشاؤم محمد من مجتمعه يعود للظروف السيئة التي أحاطت به ، فالحياة لم تنصفه ، ولكن مع ما عاناه بقي محبّاً للقراءة والكتابة ((لم يفتر حبه للقراءة مع هذه الظروف السيئة التي تحيطه)) [٢] ، إنَّ هذا النصّ يدلُّ على أنّه إنسان مثقف ، وثقافته تبعث في نفسه الشعور بالإنسانية التي أحسَّ في لحظات معينة أنَّه فقدها .

وفي خاتمة هذا الفصل يتبين أنَّ الواقعية قامت بتصوير المجتمع وما فيه من فقر ، ولاسيما المثقف وما أحاط به من ظروف واقعية أثّرت في سلوكه ؛ فأراد التكرلي أنْ يشير الانتباه لهذه الطبقة المعدومة ، ومعالجة حالة الفقر التي تعيشها طبقة واسعة في مجتمعاتنا .

---

(١) بصقة في وجه الحياة : ٣٠ .

(٢) الوجه الآخر : ٣٢ .

إنَّ التكرلي واسع الإطلاع وهذا جعله ذا ثقافة واسعة ، فإطلاعه على كتب الفلسفة والجوانب الفكرية فيها جعلها تؤثر على أفكارهِ فنظر إلى الحياة في بعض جوانبها نظرة يخرج بها عن الواقع ، وهذا ما لاحظناه في بعض شخصيات رواياته، ولكنه عندما خرج عن الواقع وعرض هذه الحالات لشخصياته لم يكن يقصد أن تكون نهاية الإنسان مهزومة ، بل على العكس من ذلك نجده يحذر من الوقوع في نفس الخطأ الذي وقعت فيه شخصياته الرئيسة في الرواية .

إنَّ التكرلي ألبسَ شخصياته حياة واقعية ومشكلات اجتماعية ، ممّا جعلها تؤثر في نفوس القرّاء وتتعاطف معها ، وهو بهذا يكون قد نجح في إيصال رسالته للقرّاء .

الفصل الثاني
الوجودية ومؤثراتها في المثقف

- مدخل :

تأثر التكرلي كما ألمحنا سابقاً بالفكر الغربي الوافد ، ومنهُ تأثرهُ بالوجودية التي ظهرت ملامحها في كتاباته الروائية والقصصية بوقت مبكر[١] ، وللوقوف على صورة شخصياتهِ المثقفة ، واستعمال أبعادها وتجلية مواقفها يجدر بنا أن نمهد بمدخل عن مفهوم الوجودية ((إنَّ الوجود المطلق أو حالة الفراغ – كما سماها سارتر – يسبق الجوهر أو الماهية أو الوجود الفعلي ، والوجود الفعلي في نظره عبارة عن خروج الفرد من حالة الخمول البدائي بوساطة الثورة النفسية الناتجة عن القلق واليأس إلى جو من الحرية المطلقة ، يستطيع فيه أنَّ يشكل حياته بمحض إرادته متحملاً المسؤولية الكاملة عن جميع تصرفاته ، وأنَّ يضفي على العالم الذي يعيش فيه معنىً ومنطقاً))[٢] ، يعاني الوجوديون من إحساس أليم بالضيق ، والقلق ، واليأس ، والشعور بالسقوط ، والإحباط ؛ لأن الوجودي لا يمنح شيئاً ثابتاً يساعد على التماسك والإيمان ويعتبر الإنسان قد أُلقي به في هذا العالم وسط مخاطر تؤدي به إلى الفناء ، والوجودية ترتبط بالفعل ؛ لأن الإنسان لا يحقق غايته إلا عن طريق الفعل، ومن الطبيعي أن يكون مرتبطاً بالتفكير الداخلي والانفعال ، وأن الإنسان ليس مجرد أفعال يقوم بها بل أن يحقق شخصيته من خلال هذه الأفعال ، وتنصُّ الوجودية على الحرية كما قال سارتر ولكنّها لا تعني أن الإنسان يوجد ثم يكون حرّاً، بل أن الإنسان موجود فهو حرٌّ أي أن الإنسان بطبيعته حرٌّ ، والحرّية نوعان: معقولة مثالية ولا معقولة ، فالأولى التي تسبق الخير والشر ، والإنسان هو الذي يحدد إلى أي الطرفين يتجه ، أما الحرّية المعقولة

---

(١) ينظر : رؤية الوجود مقاربة بنيوية تكوينية في قصة السيمباثي لفؤاد التكرلي ، خالد علي ياس ، مجلة إمضاء ، ع ٥ ، ٦ ، كانون الثاني ، ٢٠١٤م : ٥٤ .

(٢) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب : ٤٣٠ .

فهي طريق الحق والخير ، فهي قد تؤدي إلى ظهور مأساة مسار العالم ، أما اللا معقولة فهي تؤدي إلى نظام استبداد في الحياة البشرية أي تكون مكرهة[١] ، يدلُّ هذا أن الوجودية متعلقة بالإنسان برغباته وأحلامه التي في داخله ، ويسعى إلى تحقيقها تلبية لرغباته ، وأن مشكلتها ((هي مشكلة الهدف الإنساني أو بالأحرى فقدان الهدف فأقوى دوافع الإنسان سلبية ، النفور من الموت أو الألم والحاجة للأمن والطمأنينة))[٢]، إنّ الخوف من الأشياء السلبية هي مشكلة الوجودية ، وتقوم الوجودية على الذاتية الفردية ، أي أن الإنسان بوصفه فرداً حرّاً له الحقّ في اتخاذ قراراته لأنها ((تضع الوجود الإنساني مكان الوجود المطلق وتقول: ليست ثمة كون غير الكون الإنساني ، كون الذاتية الإنسانية)) [٣] ، ومن هنا نراها تعني بالفرد ونوازعه الداخلية ، وذلك من أجل ((معرفة السوي من اللا سوي والصحيح من المرضي ، وتهتم بأمر الجماعات لتميز بين الوحشي والمدني أو بين المتخلف والمتقدم ، وهكذا يمكن التمييز بين حضارتين الحضارة المقولة وحضارة القول ، ففي الحضارة المقولة يخضع الناس للفحص والدرس من أجل توظيفهم واحتوائهم وتوحيدهم ، فالإنسان الحديث موظف لا سيد ، [...] ، وفي حضارة القول يبرز التأكيد على فرادة الإنسان بإظهار أجلى خصائصه، أي إظهار ما به ، يستقل الفرد ويتميز عن غيره أو ينفرد به))[٤] ، هنا

---

(١) ينظر : الوجودية ، تأليف جون ماكوري ، ترجمة : د. إمام عبد الفتاح إمام ، مراجعة : د.فؤاد زكريا ، مطابع الأبناء ، الكويت ، سلسلة عالم المعرفة ، د.ط ، ١٩٨٢ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٢٦٠ .

(٢) ما بعد اللا منتمي فلسفة المستقبل ، كولن ولسون ، ترجمة : يوسف شرور وعمر يمن ، مؤسسة جواد للطباعة ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٧٨ : ١٣٤.

(٣) الإنسانية والوجودية في الفكر العربي ، عبد الرحمن بدوي ، دار القلم ، بيروت – لبنان ، د.ط ، ١٩٨٢م : ٧٧ .

(٤) التأويل والحقيقة ، قراءات تأويلية في الثقافة العربية ، علي حرب ، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ٢٠٠٧م : ٧٨ ، ٧٩ .

يؤكد على الصفة الفردية للشخص التي ينفرد بها عن غيره ، وتنصُّ على الحرّية ، ولكن في نهاية هذه الحرّية تجد الاستبداد ، والإنسان المستبد هو الذي يسعى إلى تحقيق غايته في الغلبة ، والحصول على المال واللذة ، وتحقيق شهواته فهو لا مانع لديه من استعمال الجميع لتحقيق هذه الغايات ؛ لذا فهو يحطم كُلّ من يقف بطريقه لتحقيق غاياته ؛ لأن قواه العقلية لا سيطرة له عليها ، قد فلت زمام الأمور من يده ، وغلبت عليها شهواته ، فهو يندفع كالعاصفة لتحقيق شهواته[١] ، بذلك فاننا نجد الإنسان من حيث وجوده إما ينبع من نوابع الخير أو الشر ، وذلك بحسب تفكيره وثقافته التي تميّزهُ عن غيره، وهو إما أنْ يكون إنسانياً بطبعه أو غير إنساني ، والإنساني يتسم بطبع جيد فهو صاحب فكر وعقل وثقافة وحداثة ، وغير الإنساني يكون ظالماً بائساً مضطهداً ، وتظهر هذه الأمور من خلال سلوكه في الحياة مع الآخرين[٢] .

ويشكل الاغتراب أمراً صمَمَ مظاهر الوجودية والشخصية المغتربة هي التي تبتعد عن الواقع ، ولا تنتمي إليه وتشعر بالغربة نحوه ، وهي من الأنماط السلبية التي يشعر من خلالها الفرد بالتوتر تجاه الواقع[٣]

وهذا الاغتراب ينجم عن عدم تلاؤم أفكار الفرد مع الواقع الاجتماعي الذي يحيط به في الحياة وهو الذي يوقظ الوعي لديه والتصرف بحسب وعيه ، وأنَّ الشخص يتصرف بكلِّ حرّية وبحسب وعيه ، فهو حرٌّ بكلِّ ما يريد فعله وناجم عن تفكيره وأنَّ

---

(١) ينظر : الفكر الاجتماعي في فلسفة ابن رشد (دراسة تحليلية مقارنة) ، د. خديجة الحريري، المكتبة الوطنية ، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٢م : ١٢١ .

(٢) ينظر : الماركسية ، هنري لوفير ، ترجمة : حسين نصر الله ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت – الحمرا ، ط١ ، ٢٠١٢م : ٤٢ ، ٤٣ .

(٣) ينظر : أنماط الشخصية المؤسطرة في القصة العراقية الحديثة ، د. فرج ياسين ، دار التنوير الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ٢٠١٠م : ١٨٦ ، ١٨٧ .

الحرية كما أشار إليها ولسون[١] ((ليست التحرر من القمع السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي ، بل التحرر من (الانا العبثية) من شعوري بلا قيمة حياتي ، وتوتري بسبب عدمية وجودي ، ولا يتم لي ذلك إلا بالاعتماد على إرادة قوية تستند إلى حافز ، يستند بدوره إلى اعتقاد بوجود شيء حقيقي)) [٢] ؛ لذا على الإنسان التحرر من ذاته العبثية .

وظف الروائي الأفكار الوجودية في شخصياته من خلال مواقفها في الرواية للدلالة على أمر معين ويترك المتلقي هو من يستنتج هذا الأمر ، إذ ان ((الشخصية الوجودية تضع نفسها وأفكارها والأحداث التي تخدمها أمام المتلقي ، كما أنه ليس بالإمكان التنبؤ بمستقبلها)) [٣] .

يدعو الإنسان الوجودي إلى الحرّية من أفكار المجتمع التي تقيده ، وهو يعاني صراعاً داخلياً جراء هذه الأفكار ، فأمّا أن يعلن ثورته عليها ومن الصعب تحدي المجتمع بأكمله ، أو أن يستسلم لها فيبقى مهزوماً .

- سينوغرافيا الغلاف ودلالة العنونة :

يشير الغلاف إلى مظهر من مظاهر الوجودية من خلال ما كتب عليه عن الحرية وتساءل الشخصية المثقفة محيّ هل الحرية موجودة أم لا ؟ وهل هي الإيمان

---

(١) كولن هنري ولسون (١٩٣١-٢٠١٣) كاتب انكليزي ولد في مدينة ليستر في انكلترا وهو من مجموعة الشباب المتمرد ينظر : الوجودية الجديدة عند كولن ولسون ، د. سليم عكيش الشمري ، شبكة المعارف ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٠م : ١٩ ، ٢١ .

(٢) المصدر نفسه : ٦٣ .

(٣) المواقف النقدية بين الذات والموضوع ، دراسة نقد القصة القصيرة في العراق ، كريم الوائلي ، العربي للنشر والتوزيع ، د.ط ، ١٩٨٦م : ١١٦ .

العميق الذي يصل إليه الفكر ؟ أم هي الموت ؟ فهو يدل على الوجودية ؛ لأنها تدعو إلى الحرية والموت أيضاً يرتبط بها، لأنه الجانب المأساوي منها .

ففي رواية (الوجه الآخر) فينبئ ما كتب على الغلاف إلى مظاهر الوجودية من وصف لحالة محمد جعفر من انطباع كان يصدمه في وجوه من يعرفهم انطباع يائس بانعزالهم عنه ، وفي محنته ، فهذا يشير إلى يأسه وانهزامه وذكره لكلمة (قد) التي أرقته ليالٍ طوال ، فهي تشير إلى تساؤله والتشكيك بالأمور ، وهو من مظاهر الوجودية أيضاً ، أمّا رواية (الرجع البعيد) فنجد ما كُتِبَ عليها من ذكر جثة هامدة صرعها الرصاص ، ومسيرة المأساة التي تتكون وتتشكل من دون أنْ تُرَى إلا في لحظتها الأخيرة ، وأنَّ الموت والمأساة كليهما من مظاهر الوجودية ؛ لأن المأساة تكون سبباً للانهزامية لدى الفرد لعدم تلاؤم الواقع مع أفكاره فيصدم بما يخفيه القدر له فيكون مهزوماً . وفي رواية (خاتم الرمل) نلحظ أن ما رُسمَ على غلافها من صورة لامرأة تظهر على وجهها ملامح الحزن واليأس ، وهي محاطة بلوحة تحمل أشكالاً مختلفة من صورة رجل ومنزل وحيوانات ، فهي ربما تدلُّ على يأسها من كُلِّ ما حولها ، فهو لا يتلائم مع ما تريد ؛ لذا فهي يائسة ومهزومة فهي دليل الوجودية .

أمّا رواية (المسرات والأوجاع) فنجد ما كُتِبَ عليها من مقولة لباسكال فيما يتعلق بقتل الإنسان ، متعلقاً بالوجودية ؛ لأن الموت عند الوجوديين هو بداية الوجود.

إن روايات التكرلي الست بحسب ظن الباحثة توحي بـ(الوجودية) ، ففي رواية (بصقة في وجه الحياة) يجعل التكرلي الشخصية المثقفة محيّ تبصق على الحياة التي تحمل عادات وتقاليد تعارض أفكاره الوجودية وتجعلها دون طَور التحقيق ويسعى لتحقيق رغباته ولذاته ، أمّا رواية (الوجه الآخر) فتظهر الوجودية من خلال عرضها لوجهين للشخصية المثقفة محمد جعفر ، الوجه الأول هو البقاء مخلصاً لزوجته ، ويتحمل العيش مع عماها ليكون مقبولاً من قبل المجتمع ومسايراً للتقاليد أما الوجه

الثاني فهو الذي يمثل (الوجودية) بدعوتها للحرية من العادات والتقاليد ، وطبقها حينما ترك زوجته التي أُصيبت بالعمى ، وهو بهذا ثار على التقاليد وعاش حياته الباقية حرّاً ومنتصراً في داخله .

وفي (الرجع البعيد) العنوان يتضمن معنى الوجودية التي تنصّ أن الإنسان مصيره من الوجود إلى العدم ، أي من الوجود إلى الزوال والفناء هو الموت فلعل العنوان يرتبط بالآية القرآنية[١] .

فهو يشير إلى أنَّ كُلّ إنسان لابُدَّ أن يعود إلى مصيره المحتوم وهو الموت وإن طال عمره، وقد يتعلق العنوان بمدحت أيضاً في تراجعه عن أفكاره المتصلة بالتقاليد والقيم الاجتماعية والانطلاق نحو رأيه الخاصّ بمسامحة زوجته منيرة والعيش معها بقية حياته ؛ لأنها الحياة والأمل بالنسبة له . ((وتبيّن كاثرين كوبهام أن عنوان الرواية يشير إلى الآية القرآنية ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴾ ، إذ يشكك المشركون بيوم البعث والقيامة ، والرواية مليئة بإيماءات الرجوع للماضي واستعادته ، وانطلاقه من جديد ، وكذلك تشير إلى إنقاذ وإعادة بنائه عبر التذكر والذكريات)) [٢] ، وقد يرتبط العنوان في رواية (خاتم الرمل) بالوجودية ؛ لأنها تقوم على مصير الفناء وهي تتعلق بالولادة والوفاة ، فالخاتم هو دليل الولادة لحياة زوجية وتكوين أُسرة ، بينما الرمل يشير إلى الزوال وعدم الاستمرار ، ونجد العنوان في (المسرات والأوجاع) يشير إلى الوجودية وذلك أنّ المسرات بحسب ظننا ترتبط بالولادة وهي بداية الوجود ، لما يذكره (الروائي) من ولادات عدّة في

---

(١) قوله تعالى : ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴾ (سورة ق : الآية ٣) .

(٢) دراسة الرجع البعيد إمكانيات البقاء والتجديد ، كاثرين كوبهام ، ترجمة : زيد العامري الرفاعي ، صوت اليسار العراقي ، ٢٠٠٩ : Webmaster asaotaliassar a ara

الرواية ، أما (الأوجاع) فتتعلق بالموت ، وذلك لما قابله من موت شخصيات عدّة في الرواية وما يصاحب هذا الموت من أوجاع وأحزان للأشخاص المقربين من الشخصية التي قُدر لها الموت ، ويوحي عنوان رواية (اللا سؤال واللا جواب) إلى الوجودية ، فهي تقوم على لا سؤال ، وكذلك لا جواب فهذا يعني لا يوجد الجواب الوافي للإنسان عن ضالته فهو دائم الأسئلة ، ولا يسمح بإعطاء أجوبة عليها بوصفها مخالفة لتعاليم الدين وتقاليد المجتمع ، أنّ الوجودية تقوم على مبدأ التساؤل عن سبب وجود الإنسان، لماذا وُجِدَ ؟ وإن مصيره إلى الزوال والعدم، وماذا بعد هذا العدم ؟ ولا يجد جواباً عن تساؤلاته ، كذلك يتساءل عن وجود خالق هذا الكون ويشكك في وجوده والعياذ بالله ، وهذا مذهب الوجودية الملحدة .

- المثقف الوجودي :

تمثلت الوجودية في روايات التكرلي بجانبين :

الجانب الأول : يتمثل بالحرّية من العادات والتقاليد والحرّية باتخاذ القرارات والتصرفات وما يرتبط بها من أمور الولادة وتُعد مصدر الوجودية ويتمثل هذا الجانب بشيء من التفاؤل .

الجانب الثاني : يتمثل بظاهرة الموت واليأس والانهزام ، وهو الجانب التشاؤمي لدى الوجودية .

نلحظ بروز كلا الجانبين في رواياته فتبدأ من الوجود وتنتهي بالعدم .

- الجانب الأول :

يبرز هذا الجانب من مظاهر الوجودية في رواية (بصقة في وجه الحياة) من خلال المواقف والأحداث وحديث الشخصية (المثقفة) محيّ عن الحرّية والتقاليد والأعراف التي لا داعٍ لوجودها ؛ لأنها تحدُّ من حرية الفرد وتقيد تصرفاته، تسجل

الرواية عداء محيّ للتقاليد والسعي للتحرر منها فيقول : ((يبتدئ عداء العالم من خلال تقاليد المجتمع الذي تؤسسه سلالة طويلة من الأغبياء وقصيري النظر ؛ ولأن الفرد لا يلمس لمس اليد جوهر هذا الغباء المطبق ولا سببه فإنه يتوجه إلى العالم ككل بلعناته مغتاظاً من عجزه عن تدميره تدميراً كاملاً)) [١] ، هنا يذكر بداية عدائه للمجتمع بما يحمله من عادات وتقاليد تفرض عليه وعلى الأفراد الباقين ، وهذه التقاليد هي المتوارثة عن الأجداد من جيل إلى آخر ، ويصفهم بالأغبياء ؛ ربما لأنهم لم يلبوا حاجاتهم الداخلية ورغباتهم بل ما يسعون إليه فقط القبول من المجتمع؛ لأنهم لم ينظروا بعيداً من أجل تغيير هذه الحياة التي يراها تجري على وتيرة واحدة، وهي تعاد كلّ يوم كما هي فهو يحاول التغيير بالدعوة إلى الحرية منها ، إلا أنه يصطدم بالعالم وبالرفض من حوله مما يجعله مهزوماً ومتمرداً على هذا العالم ؛ ولذا يقرر الانعزال عن هذا العالم أو تحقيق غايته ومواجهته ، و((تنطوي هذه الكلمات على تقويم ورؤية وهما وإن كانا يرتبطان بوشائج قوية بما كانه التكرلي آنذاك ، فإنها صيغ تهذبُ وتبلورُ ، بكل تأكيد بفعل مرور السنين، وتراكم الخبرة الفكرية والحياتية والصياغة والتهذيب والتطور ، هنا ليست على مستوى التعبير بحسب ، إنما على مستوى رؤيته الأدبية في مجمل عمله التخييلي اللاحق)) [٢] ، أي أنّ أفكاره هذه تبلورت وتطورت عبر السنين اللاحقة ، ونلمس مظهراً آخر من مظاهر حرية الأفراد من التقاليد السائدة ، إذ يتحدث محيّ عن ابنته فاطمة وما يحدث من انحلال اجتماعي ، وذلك بسؤال الشاب عنها ، فيقول : ((ولقد أديتُ واجبي قبل وقت طويل حين أولدتها وأخرجتها للحياة ، وأنا الآن لا أملك إلا أن أرقب حياتها كيف تجري وكيف تتقضى)) [٣] ، يشير محيّ إلى ابنته فاطمة

---

(١) بصقة في وجه الحياة : ١٢ .

(٢) المجتمع اللا اجتماعي : ٤٧ .

(٣) بصقة في وجه الحياة : ٢١ .

فهو ووالدتها السبب في وجودها ؛ لأن هذا القدر بأنْ يوجد الإنسان عن طريق الولادة ، وهي أُولى مظاهر الوجودية وبعدها يكون الإنسان حراً ؛ لأنه يولد حراً ولا حقَّ لأحد أن يقيد تصرفاته، فهو حرٌّ بنفسه ويفعل ما يجده يتلاءم مع ذاته ورغباته ، وما يراه صحيحاً في رأيه وإنْ خالفه العالم أجمع ؛ لذا يرى إنّه لا حقَّ له في تقييد تصرفاتها ، وأنْ كان يجد هذا الأمر غير صحيح في بعض الأحيان ؛ إلا أنّه بسبب فكره الوجودي برر تصرفاتها وأنْ كان يحمل بعض الألم لتصرف ابنته فما هو إلا بقايا وازع ديني، ولا يقوى بتنفيذه على أرض الواقع ؛ لأنه يؤمن بالحرّية وأنّ فاطمة لها الحقّ في تصرفاتها كما له الحرّية بتصرفاته ؛ لأنَّ الحرّية مرتبطة بحرية الآخر كما يقول جان بول سارتر : ((إن الحرية بما في تعريف للإنسان لا ترتبط بالغير ، لكن بمجرد الالتزام، سأكون مضطراً أن أُريد حريتي في الوقت نفسه الذي أُريد فيه حرية الآخرين ، إنني لا استطيع أن أتخذ حريتي هدفاً إلا إذا اتخذت من حرية الآخرين هدفاً أيضاً))[١] ؛ لذا فلا حق له التدخل بحرية ابنته ، وانطلاقاً من النزعة الوجودية لديه، نجد محيّ ينفصل عن حياته الواقعية محاولاً إظهار وجوديته فهو يقول : ((ايها العالم البعيد ، إنك لم تعدّ لي عالماً أسكنه ، إني لا أشبه شيئاً فيك، لا أشبه شيئاً البتة، إنني فريد في جوهري لأنني ضيعت كلّ شيء ؛ ولأنني انفصلت عنك إلى غير رجعة)) [٢] ، هنا يشير إلى ابتعاده عن تقاليد هذا العالم الذي يعيش فيه ، فهو يعلن غربته فيه وانقطاعه عنه ؛ لأنه لم يحقق له ما يريد ولم يهدأ من نفسه ، وهو بهذا قد قضى على صراعه وانقاد لشهواته ، فهو اعلان له عن التخلي عن تقاليده التي حاول التمسك بها ، لكنه لم يفلح في ذلك ؛ لأن رغباته كانت أكبر من قدرته ، وهو بهذا القى فلسفة الدين وأحل

---

(١) الوجودية منزع إنساني ، جان بول سارتر ، ترجمة : محمد نجيب عبد المولى ، زهير المدنيني ، التنوير للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠١٢م : ٧٤ .

(٢) بصقة في الوجه الحياة : ٦٧ .

محلها فلسفة الإنسان كما أكد فيورباخ ((إنَّ تحرر الإنسان من الاغتراب الديني هو الشرط الأساسي لتحرر الإنسان الكامل، بعد أن ألقى كل فلسفة ودين ليفرض مكانهما فلسفة الإنسان ، ديناً جديداً يجعل من الإنسان إلهه الوحيد)) [١] ، فهو انقاد إلى أفكاره تاركاً خلفه كُلّ ما كان يحمله من دين ولو في ضميره وهذا وصف مختصر لكينونته، ومحيّ يفتخر بوجوده ويقول : ((أجل ، إنني متيقن بأني الشخص الوحيد الذي حاول أنْ يجرد مواضيع حياته مما لصق بها من آراء قديمة ، ونظرات عتيقة، واعتبارات نخرها تراب الأيام وإني الشخص الوحيد الذي أراد أن يضع نظرته في الحياة فوق كل النظرات وفوق كل التقاليد وفوق جميع الكائنات، وإني الشخص الوحيد الذي احترم نفسه ، وجرب أن يطبق قيمه الخاصّة على حياته))[٢] ، فهو يثبت وجوده ويظهره للعالم أجمع ويبين مدى شجاعته في مواجهة هذه التقاليد من آراء قديمة ظل أسيراً لها حقبة طويلة وغيرها من أُمور طالماً كان مستسلماً لها، وعانى بسببها ، ولكنه قرر أنْ يفرضَ نظرته وفكرته الخاصّة على الحياة ، وهو بهذا احترم نفسه وجعلها تحقق ذاتها بدلاً من انقيادها لأفكار الآخرين ، فهو حقق حريته في إبداء فكرته ونظرته بعد أنْ كانت مجرد أفكار بل جعلها حقيقة، ولكنه اظهر الجانب اللا إنساني في وجوديته القائم على الأنانية وحبّ الذات والانقياد إلى اللذة والشهوة ، ومهما كان الثمن فهو يعدُّ نفسه شجاعاً ؛ لأنه حقق ما لم يحققه غيره .

تجدر الإشارة إلى عناية محيّ بفاطمة وهي الدافع له في الدعوة للحرية فيقول: ((وكان اول شخص اهتممت به اهتماماً خاصّاً ووجدته كالجوهرة المخفية في الرماد ... هو فاطمة هذه المخلوقة اللطيفة البديعة ، هذه الفتاة العابثة اللعوب ، هي الحياة

---

(١) الوجودية الجديدة عند كولن ولسون : ٤٤ .

(٢) بصقة في وجه الحياة : ٦٩ .

بكل معانيها وهي اللذة بأدق صورها وأجملها)) [١] ، بيّن مدى عنايته بفاطمة وهي الحياة بالنسبة له إذ يربط بين وجودها والحياة التي يحياها، أدرك أن الحياة ما هي إلا لذة جنسية ، وما من حاجز أو سدّ بينه وبينها وهو يصارع عواطفه مع فاطمة ومع الموروث الأخلاقي والقيم البالية برأيه ما عليه إلا أنْ يحاربها بسفه دعواها ، فقرر أنْ ينسف هذه التقاليد ويذهب إلى فاطمة ويرتمي في أحضانها ويتبع لذته ويشبع شهواته ، ويذكر محاولة اغتصابه لها وهي تقاومه قائلة: ((كلا ، كلا ، لا أريد ... لا أريد رباه انقذني ، فصرختُ فيها محتدا : إعملي ما تشائين ولكن لا تتصوري إن نداءك يصل قلب هذا المخلوق ؛ كلا ... حتى أنه ليس بمخلوق ألم أكن على حقٍّ ؟؟ تباً لي [...] الحرية ! آه ... ما هذه الكلمة الغريبة عن ذهني المتعب... عن روحي المتعبة ؟؟))[٢] ، يبين محيّ بأنّه طبق حريته على أرض الواقع بعد أنْ كانت مجرد أفكار ، وهي محاولة اغتصاب إبنته فاطمة ، وقد شبه نفسه إنّه ليس بمخلوق ويضع علامة الاستفهام عندما يقول ألست على حقٍّ ربما يقصد بأنّ المخلوقات جميعاً لديها قلوب ولكنّه بلا قلب ؛ لأنه انقاد لتحقيق رغباته وشهواته ويقول إنّ هذه الكلمة الغريبة (الحرّية) على ذهنه المتعب ؛ لأنها قادته إلى نهاية لم يعرف عواقبها فهو رجل مستبد رجل مرفوض من المجتمع ، يتحين الفرصة لإشباع شهواته ، امتلأت نفسه باللذة الجنسية فاندفع لتحقيقها فمحيّ بما يملكه من حرّية مطلقة يتحول إلى إنسان مستبد غرضه إشباع غريزته ليس إلا وإن كانت إبنته فيتحول إلى وحش كاسر ينقض على فريسته ، ليشبع جوعه الجنسي ، ((إن هناك كثيراً من الإشارات التي تبرهن على أهمية الطبائع والغرائز ليس فقط كوجهات ومحفزات لأفعال الشخصية إنما كشروط فنية لبناء

---

(١) المصدر نفسه : ٧٥ .

(٢) بصقة في وجه الحياة : ٨٨ ، ٨٩ .

الشخصية الروائية الناجحة والسوية)) [١] ، أي إن الغرائز لدى الشخصية هي التي حركت أفعالها وجعلتها تنمي الحدث في الرواية ، وفي (الوجه الآخر) يشكل الشرف سمة أساسية من سمات المجتمع وتقاليده ، ونلحظ محمد جعفر يستهزئ بها ويقول : ((إن الشرف لا يوقف آلام البشر ولا حتى آلام فرد مفرد . ولكنك تستطيع أن ترفض هذا الألم بضمير مطمئن وأنت في فراش وثير دافئ وبين أحضانك امرأة ناضرة . ستكون آنذاك ، رغم أنف الأخلاقيين ، إنساناً شريفاً ! يا للسخف !)) [٢] ، هنا يثور على التقاليد والشرف اللذين يميزان أفراد المجتمع الأسوياء ويدعو إلى التحرر منها ، ولا يجد معنى للشرف مادام الشخص يعيش آلاماً لا يقوى أحداً على تخليصه منها ، وهذا الشرف هو ما موجود من أعراف دينية في ضمير البشر ، لكنه يقضي عليها عندما يحقق رغباته وشهواته ، ويطيع لذته الجنسية التي يجد فيها تخليصاً له من آلامه ، وبذلك سيكون إنساناً تخلص من آلامه وعاش عالمه وبذلك سيفرض أفكاره على الأخلاقيين بإصراره على رأيه فيقول (!يا للسخف) وقبلها علامة تعجب من كلمة شريف أي أنّه يستهزئ بقيم الأخلاقيين الذين يتخذون من الأخلاق ستاراً لهم وهم يتظاهرون بها فقط ؛ لأنه بمجرد تحقيق حريته في تصرفاته يثبت وجوده ، ويرغم الآخرين على الاعتراف به بوصفه فرداً شريفاً في المجتمع وإنَّ فكرة محمد جعفر هي فكرة قلقة وتشير إلى قيم الوجود .

أمّا رواية (الرجع البعيد) فتؤكد على ضرورة التحرر والانفلات من العادات والتقاليد البالية ، ولكنها على العكس من (بصقة في وجه الحياة) و(الوجه الآخر) ؛ لأن كلاً منهما دعا إلى الحرية من قيم صحيحة ، ودعا للتخلص منها من أجل تحقيق سعادته الشخصية ، أمّا (الرجع البعيد) فدعت للحرية من التقاليد البالية والدعوة

---

(١) موسوعة السرد العربي ، د. عبد الله إبراهيم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، ٢٠٠٨ : ١٥٨/٢ .

(٢) الوجه الآخر : ٦٦ .

للتسامح مع من يخرج عن قيم الشرف والرغبة في مساندته للإصلاح ، كما وجدنا هذا بموقف فؤاد صديق عبد الكريم من إبنة جيرانه التي أحبها قبل أن يعرف إنها مومس واستمر بحبها حتى بعد أن عرف بحقيقتها ، ((لقد طهرته تلقائياً بوجودها في نفسه وأشعلت فيه شعلة لا تموت . وكان بودّه أن يرفض المقولات التي ورثها عن آبائه وأجداده والتي ترسم خطوطاً لبدايات الحياة ونهاياتها ؛ كان بودّه أن يقف على قمّة توهّجه بحبّها . وأن لا ينتهي معها أيّ شيء ؛ أن يدومَ كل شيء دوام الحياة))[١] ، نجد فؤاداً بحبه لابنة الجيران يتمنى البقاء معها ، وعدم فقدانها ؛ لأنها سكنت في ذاته وغيرته نحو الأفضل بوجودها ، فهو يشعر بالأمل لوجودها في حياته ، ولكنه عندما عرف أنّها (مومس) صُدِمَ وتحطمت آماله في البقاء معها ، فانهزم وانكسر ، لكنه تمنى لو يلغي المقولات التي ورثها عن آبائهِ وأجداده التي تنصُّ على ضرورة الأخلاق والالتزام بالشرف ؛ لأنه من يتخلى عن الأخلاق لا يمكنه أن ينتمي إلى المجتمع الأخلاقي ، فهو منبوذ فيه ، فالتراث القديم والقيم الاجتماعية بنت سوراً كبيراً بينه وبين حبيبته ، ولا يمكنه تخطي هذا السور ؛ لأن المجتمع سوف يلومه ، وأن فؤاد التكرلي ذكر القيم والتقاليد أكثر من مرة في روايته (الرجع البعيد) والتي تحدُّ من سعادة الأفراد وتكون عائقاً دون تحقيق رغباتهم ، فنراه من خلال كتاباته يثور عليها ربما ؛ لأنها تظلم المرأة وتجعل الحقَّ للرجل في كلِّ الأمور ، وربما لكونه رجلاً يبحث عن الأسباب التي جعلت المرأة تخطو هذه الخطوة الخاطئة ، هل هو المجتمع الظالم الذي لم يترك لها وسيلة للعيش وكسب الرزق ؟ أم قد تكون ضحية نزوة لرجل كاسر متوحش ؟ الوجودية تنقد الفعل الذي يقوم على قرار غير واعٍ خاضع للعادات والتقاليد والطرق التقليدية ؛ لأنها أقل من الفعل البشري الحقيقي[٢] ، أي أنها تدعو للحرية من التقاليد

---

(١) الرجع البعيد : ٣٦ .

(٢) ينظر : الوجودية ، جون ماكوري : ٢٦٩ .

المخالفة للوعي البشري ، وتبين الرواية أن من ظواهر الحرية في الوجودية اتخاذ القرار ، فيتخذ عبد الكريم قراراً بإجراء الامتحان وهو سيكون بعد يومين ويذكر محاولة قراءته أحد الكتب في مكتبته ولكن صحته تمنعه وهو يصف نفسه فيقول : ((كنت أشعر أنّ الدّخول ضمن خطّة إنسانيّة، أو بالأصحّ ضمن حياة إنسانيّة معلومة قد يتيح لي أن أكون إنساناً سويّاً ، عادياً رضيّ النّفس ويُخيل إليّ أن ما يبعدني عن الشعور بأنّي داخل إطار حياتيّ تقليدي ، هو انفلاتي – فكراً وعاطفة – عند أوّل ثغرة في زماني الشّخصي))[١] ، نرى عبد الكريم اتخذ قراراً لإجراء الامتحان ، أي الاستمرار في الوجود ، واتخاذ القرار والالتزام يُعَدُّ من مظاهر الوجودية ؛ لأنها تدلُّ على استمراره في الحياة ، واتخاذ ذلك القرار دليل على الإصرار في إثبات الرأي على الرغم من الظروف التي أعاقته المتمثلة بسوء حالته الصحية ، إلا إن أفكاره الوجودية تؤدي به إلى الرغبة في تحقيق ما يريد ، على الرغم ممّا أثر به عند أول ثغرة في حياته فقدانه صديقه فؤاد الذي اختاره من بين الجميع ليكون ظله وليبوح له بكلِّ ما يشعر به ، وإن فقدانه سبب له نكسة أثرت على مجرى حياته ؛ لأن الصداقة واختيار الصديق المقرب تختلف عن بقية الأشخاص الذين نعرفهم معرفة سطحية والصداقة من ضمن اتخاذ القرار ، التي يقول بها كيركجور في كتابه (إما [...] أو)، إن اتخاذ القرار يقوم بشكل رئيسي في ثلاث حالات هي الزواج ، والصداقة، ورسالة الحياة ، وإن الصديق يختلف عن الناس الذين نعرفهم ويعني أن يكون الأصدقاء معدودين ؛ لأن الشخص لا يستطيع تكوين علاقة عميقة مع عدد كبير من الناس[٢] ، إنَّ ما يجعله إنساناً غير تقليدي مثل باقي الناس – كما يذكر – هو إنه عاطفي وضعيف من أول تجربة في حياته هزته وهزت كيانه ، إلا أنّه على الرغم من ذلك استمر بوجوده ومارس حريته في اتخاذ قراراته

---

(١) الرجع البعيد : ٢٠١ .

(٢) ينظر : الوجودية جون ماكوري : ٢٦٤ ، ٢٦٥ .

لمواجهة الحياة ، ويدعو مدحت للحرية من التقاليد ، وذلك من خلال اشتياق مدحت لزوجته منيرة بعد أنْ هرب منها من جسدها المتلاين من ابتسامتها ، وهي التي منحته سرها ومأساتها ، وهي لم تختر أنْ تكون معيبة لقد حدث لها ذلك ، لم تفعله هي ، وأنَّه سوف يذهب إليها ، ولن يعتذر لها لتلك العزيزة سيقول إنه جاء لها من أجلها هي زوجته ؛ لأنه انتصر على كلّ أفكار الفناء فيه[١] ، تؤكد الرواية على الحرّية من التقاليد البالية مما نجده في موقف مدحت من زوجته منيرة التي لا ذنب لها بما حدث من فقدانها عذريتها فكان رغماً عنها ، وهي التي أمنته على سرها ، لكنه تركها من دون أن يكون عوناً لها ، وأنْ يتسامح معها، فكان في صراع داخلي بين أنْ يستجيب للتقاليد البالية وأن يقتلها ليتخلص من عارها، وبين أنْ يقضي على هذه التقاليد فقرر الذهاب إليها وقتل ما ورثه من آبائه وأجداده ، وأنْ يستمر معها في الوجود ، فلم يرسم المستقبل عن طريق خياله بل حاول تحقيقه على أرض الواقع ، باتخاذ القرار الذي يريحه وناجم عن تفكيره وثقافته ، ونجد ثقافة مدحت خليطاً من التراث الفكري والفكر الوجودي الذي سيطر على التراث وقضى على ما ترسب منه في ذهنه ، أنّ التكرلي وظف فكره في شخصيته مدحت ، ولا يمكن فهم شخصياته إلا من خلال فهم الفكر الوجودي : ((إن تجربة التكرلي القصصية لا يمكن فهمها إلا على ضوء المسار العام لحساسية أدبية وثقافية أوربية تستند إلى تراث فكري وروائي ضخم باعتبارها امتداداً للحساسية الأدبية العصرانية للتراث الفكري العدّمي والوجودي في الأدب المعاصر))[٢] ، إنَّ فكر التكرلي كان مزيجاً من التراث الفكري المترسخ في ذهنه، وكذلك الفكر الأوربي المعاصر ولاسيّما الوجودية والعدم؛ لذلك نراه داعياً للحرية من التقاليد .

---

(١) ينظر : الرجع البعيد : ٤٧٤ ، ٤٨٩ .

(٢) مدارات نقدية في إشكالية النقد والحداثة والإبداع ، فاضل ثامر ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٧م : ٣٨٦ .

تسجل رواية (خاتم الرمل) مظهراً آخراً من مظاهر التحرر من التقاليد متمثلاً بتصرف هاشم مع خطيبته ومعاتبة الدكتورة سلمى له فتقول : ((لماذا تعاملها هكذا ؟ سنة ونصف ! يا لله ! إنه أمر ينافي كلّ الأعراف البشرية ، وكلّ الأديان ، وكلّ التقاليد ، ألا ترى ذلك)) [١] ، نلحظ معاتبة الدكتورة سلمى لهاشم واندهاشها من تصرفه من خلال علامة الاستفهام ، وكذلك تعجبها من فعله من خلال علامة التعجب ، وتطلب منه أنْ يتخذ قراراً بشأن آمال وألا يتركها معلقة هكذا ، وأنَّ هذا لا يرضاه أي دين من الأديان السماوية ، لكنّه يرفض أنْ ينصت لحديثها وأنْ يلبي ما تريد ؛ لأنَّ الأفكار الوجودية تسيطر عليه فهو حرٌّ باتخاذ قراره تجاه آمال وأنْ يبقيها على هذه الحال ولا حقَّ لأحد في التدخل في قراره ، وهو يثور على هذه التقاليد والأعراف الدينية التي تقيد تصرفاته ويرفض أية نصيحة من الآخرين ويوجه تصرفاته من قبل قراراته الذاتية فقط ، ومن دون أي قيود وقد تناسى خطيبته من دون أي أعذار ، وفي رواية (المسرات والأوجاع) تتسرّب الوجودية في أغلب أفكار شخصياتها المثقفة ، ونلمس من الصفحات الأولى للرواية تزايد آل عبد المولى عن طريق الولادة ، فأصبح لديه الكثير من الأبناء فيقول ((وكانت العائلة قد ازدادت عدداً بولادة سيف الدين وسور الدين)) [٢] ، من هذا المنطلق نجد الرواية تشير إلى مظهر آخر من مظاهرها هو بدايتها بداية وجود الإنسان بالولادة وولادته حراً ، وهو حرٌّ بأفعاله ، والولادة بداية تأريخ حياتنا ووجودنا إلى هذا العالم ، فإن ما يقرُّ من أحداث في أذهاننا متصل ببداية وجودنا بولادتنا ، ولها تاريخ محدد هو تاريخ وجود الإنسان وأن الولادة هي من نتائج اتخاذ القرار بالزواج .

---

(١) خاتم الرمل : ١٠ .

(٢) المسرات والأوجاع : ٧ .

تستمر (المسرات والأوجاع) على مسيرة ما سبقها من روايات في الدعوة للحرية من التقاليد متمثلة بسيرة توفيق وسلوكه : ((تعرف وهو يدخل عامه السابع عشر ، على بعض الأمور التي ما كانت لتسر والدته كثيراً ، كانت عواطف الغريزة، مع انتفاضة المراهقة [...] ، وكان الأصدقاء يفاخرون دوماً بغزواتهم الجنسية في بيوت الرذيلة ، وهو متردد لا يستجيب لنداءاتهم ، لا عن خجل بل لتهجسه وخشيته مما لا يعرف [...] فساورته رغبة غيرت من وجهة طريقه المعتاد وجعلته يسلك ذلك الزقاق ذا الشبهات المغرية [...] ، تغلب على شعور النفور الذي انتابه عقب اتصاله بتلك المرأة [...] وتفكيره بأن تجربته الأُولى كانت رائعة من كل الجوانب)) [١] ، في هذا الموقف نستنتج قضيتين : الأولى أنّ توفيق وهو في طور نمو الشخصية يجدُ عندهُ استعداداً لتخطي التابوهات والسعي إلى الحرّية الشخصية التي ستتطور فيما بعد إلى مواقف واضحة ، والأخرى أنَّ الروائي يومئ إلى أنّ الإنسان يولدُ حراً بطبعهِ ولا يحتاج إلى أن يتبنى فكراً يدعوه إلى ذلك ، ومن ثمَّ فإن الوجودية تظهر هنا بوصفها سلوكاً طبيعياً كما تبدو .

نجد تصميم توفيق على النجاح وإصراره على ذلك من أجل تحقيق مستقبل جيد ، فهو دليل على الإصرار واتخاذ القرار باجتياز الامتحان .

يُعدُّ اتخاذ القرار من ظواهر الوجودية بموقفه هنا يقود إلى الاغتراب، فنجد ما يدلُّ عليه في الرواية من ذكر حبّه لآديل زوجة صديقه سليم مروان واختلائه بها[٢] . قرار لقائه بآديل كان بدافع من اغترابه واتساع أفق ثقافته فلقاؤهما خارج حدود الشرعية ، كانت آديل تعاني من اغتراب أيضاً مع زوجها الذي لم يجمع ما بينهما غير الجسد ؛ لذلك كان اتصالها معه هو قمة الوجودية ؛ لأنهما لا يباليان للعادات والتقاليد المهم

---

(١) المسرات والأوجاع : ٢٥ .

(٢) ينظر : المصدر نفسه : ٢٧ .

هو إشباع اللذة الجنسية ، ذلك بحكم ثقافته الوجودية التي اكتسبها من مطالعته للكتب والروايات المترجمة ، كان يجد المرأة ملكاً مشاعاً يمكن له أن يقترب حتى لزوجة أقرب الناس إليه .

وفي رواية (اللاسؤال واللاجواب) تبدو مظاهر الوجودية ، من خلال تصرفات الشخصية عبد الستار وكلامها الذي يحمل أفكاراً وجودية من خلال تذمرها من الواقع الذي تعيشه ، فالعوز والفقر والجوع يؤدي بها ألا تتلاءم مع المجتمع والحياة ، ومن ثمَّ الانهزام واليأس والعزلة، وكذلك الحرية من التقاليد التي تمنعها من الحصول على وسائل العيش .

وتبين الرواية (اتخاذ القرار) بالزواج من قبل عبد الستار فهو يقول : ((لم يكن زواجاً مثالياً ، ولا كانت ظروف هذا البلد المدان مثالية))[١] ، تبرز أولى ظواهر الفكر الوجودي وهو اتخاذ القرار بالزواج من قبل عبد الستار من ابنة عمته زكية بعد زواجها الأول من شهاب أحمد بعد أنْ تخلت عنه وعن حبها له، فيكون هذا القرار بداية لوجود الإنسان عن طريق ولادة الأطفال وتكوين الأسرة ، أي بالولادة تظهر الوجودية وجود البشر ومن ثم ممارسة حرّيتهم بالحياة ، ونراه يربط حادثة زواجه وهي ليست مثالية بحادثة بلده العراق وما فيه من حصار مدمّر، أي أنّه يربط الوضع الخاصّ بالوضع العام من عدم ملائمة مع الواقع ، بعد أنْ أشرنا إلى اتخاذ القرار بالزواج وتكوين الأسرة بالولادة نجد التكرلي يبين موقف والد عبد الستار من زوجته وأُسرته وطريقة تعامله معهم نجد عبد الستار يتحدث عن والده الذي كان مدرساً ومحباً لقراءة الكتب فهو مثقف ثقافة تقليدية ، فقد كان قاسياً بعض الشيء مع والدته[٢] .

---

(١) اللا سؤال واللا جواب : ٨ .

(٢) ينظر : المصدر نفسه : ١٠ .

يتحدث عن وضع والده وهو استاذ في الثانوية المركزية لمادة اللغة العربية أنْ يفعل مثل هذا الفعل وهو القسوة المريعة من قبله أنْ يقوم بضرب والدته، فهو يفعل هذا بدافع الحرية ، إذ يرى نفسه حراً بكلِّ تصرفاته ، ولا حقَّ لأي أحد أنْ يوجهه ويسيره حسبما يريد بل حريته نابعة من وجوده ، وأنَّ الحرّية أما أنْ تتخذ طابع الخير فهي الحرية المعقولة ، أو أنْ تتخذ طابع الشر فهي حرّية غير معقولة ، والإنسان هو الذي يختار أي الطريقين يتجه ، ولكن الظروف المحيّطة به هي التي تؤدي إلى توجيهه أما للخير أو الشر ، وأنَّ ظروف المثقف العراقي القاسية أدت به إلى التمرد على الواقع واليأس والضيق ، ممّا يجعله يتصرف بهذا التصرف ، إذ إنّ إبنه عبد الستار لا يستطيع التدخل ، يذكر بعدها انصراف والده للقراءة في مكتبه ثم يقبل والدته من صدغها وينصرف ، فهذا يدلُّ على أنه وجودي لأنّه حرّ في تصرفه متى يريد أنْ يقسو فهو يقسو ، ومتى يريد أنْ يعطف فهو يعطف وعلى من حوله أنْ يتقبلوا ما يفعل ! .

يذكر عبد الستار حالة خلوته مع زوجته زكية فيقول : ((قفزت إلى السرير قبلي [...] لم نكن نملك إلا ما منحتنا إياه طبيعة عاقلة ومتسامحة ، وكنا منتصرين))[١] ، إنَّ الوجودية تنصُّ على الحرّية في إشباع الغرائز الجنسية ، واللذة والشهوة دون قيود وعوائق ، وأنّ الفرد يشعر بقيمة الوجود والحرّية عندما يشبع لذته وشهواته ، والمرأة هي الحضن الدافئ الذي يمتصُّ غضب الرجل ويأسه وحزنه، فعندما يلقى رفضاً من الحياة وظلماً يلجأ إلى المرأة الذي يعدُّ مواقعتها نصراً له على كلّ الظروف القاسية ، فهو يحقق نصراً على الرغم ممّا يحيط به من هزيمة ، يقول علي حاكم : ((إنه رغم الحالة غير الطبيعية التي دخل فيها عبد الستار حميد زهدي ، ورغم جميع الاحباطات والخراب الذي يعيشه هو وعائلته ومجتمعه ككل ، كانت ثمة فسحة عجيبة وفرها التكرلي لشخصيته هذه ، وان لم تنتشلها بالطبع من عالم البؤس والشقاء الذي يرسف

---

(١) اللا سؤال واللا جواب : ٧٦ .

فيه الجميع ، مثّل الجنس في هذه الرواية الملاذ الدافئ واللذيذ الوحيد ، بل هو كان الانتصار الوحيد ، فكان ذلك ربما الباعث الوحيد في المضي في الحياة والاستمرار مع العائلة ، كان الجنس الذي يمارسه عبد الستار حميد زهدي مع زوجته انتصاراً في بلد مُنهزم شرع يخسر كل شيء في انحداره إلى الهاوية ، ووسط عائلة باعت كل ما تملك من أجل العيش يوماً آخر ، وفي مجتمع خرب)) [١] ، إلى جانب الفكر الوجودي الداعي للحرية الذي وجدناه في روايات التكرلي الذي يظهر فيه طموح الشخصية في تحقيق أفكارها ، وكذلك قوة إرادتها باتخاذ قراراتها بنفسها ، وذكر الولادة التي هي مصدر الوجود والجانب التفاؤلي بالحياة ، نجد بالمقابل له التشاؤم ، متمثلاً بالجانب الثاني .

– **<u>الجانب الثاني :</u>** ويشمل الموت ، واليأس ، والانهزام ، فالموت وهو نهاية الحياة والانهزامية واليأس للشخصيات، أي الانتقال من الوجود إلى العدم ، وإنَّ العدم بداية للوجود ؛ لأن ما بعد الموت حياة لا نستطيع معرفتها لموت الأشخاص .

وفي رواية (بصقة في وجه الحياة) يؤكد الروائي أفكاراً سابقة متمثلة بتفكير محيّ الشاذ نحو إبنته فاطمة وهو يحاول قمع هذا التفكير بعد أنْ سيطر عليه لكنّه عانى ألماً بهذا الأمر . يصور محيّ تفكيره الشاذ نحو ابنته فاطمة فهو يقول: ((طردت من ذهني هذه الأفكار ، ولقد كلفني ذلك ألماً نفسياً عميقاً [...] وكأننا لاشيء غير أب وابنته ، آه ... وما نحن غير ذلك ؟ [...] إنني أخشى من الأفكار التي تريد أن تولد في ذهني ، الأفكار التي حبلت بها عواطفي زمناً وهي الآن على وشك الوضع [...] رحمتك يا ربي ، لا تدعني أكفر بك وبما أنزلت ، لا تدعني ... لا تدعني)) [٢] ، يذكر محيّ ألَمه وصراعه النفسي بين شهواته ولذته الجنسية تجاه إبنته ، وبين ما

---

(١) المجتمع اللا اجتماعي ، دراسة في أدب فؤاد التكرلي : ٩٣ .

(٢) بصقة في وجه الحياة : ٢٤ ، ٢٥ .

يعرفه من عرف وشريعة دينية بأنّ هذا الشيء محرم ، فهو لا يريد السقوط في هاوية المحارم ، وذلك لمخافة الخالق سبحانه وتعالى ؛ وكذلك لأنّ المجتمع سيعدهُ سفاحاً ، فهو يشعر باغتراب (ديني) ؛ لأنه يحاول أنْ يحقق لذته ولكن الدين يمنعه وهو يكاد يحقق لذته متفادياً الدين عندما يقول "أفكاري على وشك الوضع" ، ولكنه بعدها يعود إلى الخالق (الله) سبحانه وتعالى ويرجوه بأنْ يذهب عنه هذه الأفكار ، ويبين فيورباخ إنَّ في الاغتراب ((تقذف الذات الإنسانية بجوهرها وحقيقتها خارجاً عنها ، ثم تعود الذات تتأمل الجوهر وتعيده ، فـ(الله) إذاً تموضع الجوهر الإنساني ، أي إن الإنسان يبعد عنه كلّ صفاته الجوهرية الإلهية ، ثم يدعوها إلهاً ، وهو صورة الكمال الإنساني ؛ لأن الدين في حقيقته عبادة الذات الإنسانية لحقيقتها وجوهرها ، وهذا هو أساس اغتراب الإنسان عن ذاته ؛ لأن عبادة جوهر الذات الخارج عنها يجعل الفرد منقسماً ومزدوجاً ، كونه يرى حقيقته ناقصة ومشوّهة بالخصائص السلبية ، فيما يشعر بحاجته إلى جوهره الإلهي الكمال وكلما اسقط صفاته على الإله زاد فقره ؛ لأن الإله هو كلّ شيء فيما الإنسان لا شيء))[1]، إنّ محيّ انصرف في البداية إلى لذته ، ولكنه بعد ذلك رجع إلى خالقه وطلب العون والخلاص من الهلاك ، هذا ما تنصه الوجودية من ظاهرة الاغتراب الديني ، فهو مثقف انهزامي يعاني الانهزام لصراعه الداخلي مع أفكاره الوجودية ، وهو يطردها بصورة مؤقتة نظراً للوازع الديني .

ومن مظاهر الوجودية الخوف والقلق ، نرى محيّاً وهو يتحدث عن خوفه: ((دخلت غرفتي والعرق يتصبب من وجهي فشعرت أول دخولي إنني خائف، وأنني يجب أن أعمل شيئاً فحاولت جهدي التغلب على هذا الخوف ، لكن محاولاتي لم تجدِ ولم تزده الساعة التي قضيتها في غرفتي إلا قوة وعنفاً وسيطرة))[2] ، إنَّ الشخصية

---

(١) الوجودية الجديدة عند كولن ولسون : ٤٤ .

(٢) بصقة في وجه الحياة : ٤٢ .

ينتابها القلق والخوف من المجهول ، وهذا الخوف ناجم عن عدم الاستقرار والأمان والقلق ، وخوفه نجمَ ربما عن أفكاره بمحاولة تحطيم القيود الاجتماعية ، فهو مغترب عن المجتمع ؛ لأنّه لا يجد نفسه متلائماً معه بل يريد مخالفته وإنّه يفتقر إلى الشجاعة اللازمة في هذا الوقت لتحقيق أهدافه ؛ لذلك فهو يشعر بالخوف من البوح بها وحاول التخلص من هذا الخوف ، لكنه زاد فهو منعزل ، إنهزامي في مواجهة مشكلاته المختلفة ، وهي من صفات الوجودية .

ونلحظ كذلك تغير صفات محيّ حين تحدثه زوجته وتقول : ((إنك متغير يا محيّ، متغير تماماً ، طباعك مختلفة هذه الأيام ، لا تخرج من البيت، لا تتكلم كثيراً، تنظر إلينا نظرات عجيبة كأننا غرباء عنك)) [١] ، يتبين من هذا الموقف أنّ طبيعة الأفكار التي احتوت محيّ معلقة تتجه به إلى الابتعاد تماماً عن البيت من خلال ممارسة طقوس الصمت في البيت ، لا ترغب بالاختلاط بالأسرة ، ومن ثم المجتمع لأنها مغربة عنه، واختارت الصمت ؛ لأنها اختارت العزلة لما فيها من حلٍّ للتخلص من الوضع الذي لا يلائم أفكارها ، ويعتبر هذا بداية مخاض الوجودية لديه.

وتسجل الرواية مظهراً مهماً من مظاهر الوجودية وهو الموت ، أي العدم فبعد أنْ انتصر محيّ على صراعه الداخلي واستقر بفكره الوجودي ومارس حريته، كانت خسارته إبنته فهو يقول : ((أخيراً ... أخيراً ولكن ما أغلى الثمن ، قضيته أنا بمفردي ، بصقت على قيودي فنثرتها أشلاء قتلتها قبل دقائق [...] ، لقد أتوا أظنهم سيقتلونني حسناً)) [٢] ، هنا يمثل محيّ تحدياً للعالم من حوله بتحقيق غايته ولم يبال لما يحدث فكان ثمن هذا التحدي هو قتله إبنته فاطمة مع أنّها تمثل الحياة بما فيها من جمال وتمنى لو لم تمت ، وذلك لشعوره باليأس والألم ؛ لأنه من نقلها من عالم الوجود إلى

---

(١) بصقة في وجه الحياة : ٥١ .

(٢) المصدر نفسه : ٩٤ ، ٩٥ .

العدم ، وعلى الرغم ممّا حدث يبقى مثقفاً وجودياً يرفض الاستسلام كما يقول التكرلي عن الأشخاص في الرواية : ((فالإنسان مهما ضعف لم يعد يقف أمام مصيره يتخاذل ويستسلم))[١] ، إن ما يهم محيّ على الرغم من ألمه وحسرته بانهائه حياة إبنته هو تحقيقه غايته وهدفه وعدم استسلامه .

أمّا (الوجه الآخر) فتبرز ملامح الوجودية في أحداثها إذ نجد مظهراً آخر من جانبها المأساوي من خلال حديث محمد جعفر عن بعض المخاصمات بينه وبين زوجته ، وصفها بالسخيفة ، فيقول (الروائي) : ((وكان ينهزم بعد كلّ موجة من موجات الحقد هذه ، شاعراً بأنه قد يقتلها لو بقي وقتاً أطول)) [٢] ، هنا المثقف يذكر انهزامه أثناء مواجهته موجات الحقد ، أنه يختار الانهزام بالابتعاد عن زوجته خلال المخاصمة بينهما ، فهو لا يقوى على مواجهة المشاكل في المجتمع ومع الآخرين ، مهما كان نوعها ومدى بساطتها ، فيجد في قتل زوجته حلاً لمشاكله ؛ لذلك يختار الابتعاد والانعزال عنها ، وتفكيره بقتلها نابع من أنانية تناست حبّ هذه الزوجة وسعت لتحقيق رغباتها ، وهو عكس محيّ إذ قرر إنهاء وجود إبنته بقتلها وشرع بذلك تحقيقاً لرغباته .

تطرح (الوجه الآخر) ظاهرة الضعف والانهزام ، فيصفُ التكرلي عدم مساعدة محمد جعفر للشاب : ((فإن استنجاداً في غير محله يُحدِث له آلاماً طويلة في المعدة ، وليس هناك غير سبب واحد هو الضعف الذي يستقر في صميم شخصيته وفي صميم بنيته)) [٣] ، ويربط التكرلي ظاهرة الألم (الجسدي) بالألم (النفسي) فمحمد جعفر عانى الآم المعدة ؛ لأنّه إنسان مهزوم بائس أناني ، وأنّه عندما لا يستطيع

---

(١) إشكالية العلاقة بين الثقافي والسياسي ، المثقف العراقي شاهداً : ١٧٢ .

(٢) الوجه الآخر : ٧ .

(٣) المصدر نفسه : ١١ .

مساعدة الآخرين ويعلم إنّه أمر خاطئ ، لكن جبنه وأنانيته تمنعه من المساعدة ، ممّا يؤدي إلى الألم النفسي ، وبالتالي الجسدي وربما كان الفقر سبباً في الانهزام والقلق في مواجهة الحياة والخوف من عدم القدرة على إكمال الحياة بكرامة؛ لذا هو بعيد كلّ البعد عن التصرف الشجاع ، وعلاقته مع الآخرين لا تكون إلا في نطاق العمل .

نلمس ظاهرة اليأس التي لازمت محمد جعفر كما يقول الروائي : ((إن هذا النصب الصغير من الزجاج يرمز لحياته – دين غير مدفوع ، عمل لم يتم ، إنه لم يكمل مشروعاً مهماً في حياته ، كلّ شيء يموت بين أصابعه فجأة ولا يبقى له إلا الحسرة على إمكانية لا يدري أكان يملكها أم لا)) [١] ، ويبدو إنَّ عامل اليأس مسيطرٌ على محمد جعفر إذ إنه يشبه حياته بـ(استكان من الشاي) لما فيه من قطع سوداء، فإن هذه القطع السوداء هي الجوانب المظلمة في حياته ، إذ كانت يأساً في يأس ، دين غير مدفوع للسيد هاشم ، وكما أنّه لم يحقق أي مشروع مهم في حياته يحسن حالته المعيشية ويغير من وضعه ، نراه يذكر الموت ، إذ إنّه قمة اليأس وسوء الحظ ، ولا يبقى من يعزيه سوى الحسرة ، فنرى حياته مغطاة باليأس والألم تمثل جانباً تشاؤمياً من الحياة . ويعدُّ يذكر ظاهرة الموت الدليل على يأسه ووجوديته يذكر الروائي : ((إن هناك أمراً واحداً يستحق أن يفكر فيه ، كيف نعيش في هذا العالم الذي ليس لنا ، الذي لم نملكه يوماً ، لم نملكه لحظة ؟؟ كيف نعيش لنموت آخر الأمر ؟؟ وهل هناك أمام الموت حياة أفضل من الأُخرى ؟؟)) [٢] ، يتحدث التكرلي بلسان الشخصية فهو دليل على تضمين الروائي أفكاره في شخصيته واتحادها مع الشخصية في نظرتها للحياة ، وهي نظرة نابعة من الفكر الوجودي ، فهو يذكر هذه الحياة والعيش فيها ، فهي ليست ملكاً للإنسان ، وإنما قُدِرَ له الوجود والعيش فيها وكيفما كانت حياته ، وأن

---

(١) الوجه الآخر: ١٧ .

(٢) المصدر نفسه : ٦٦ .

هذه الحياة لابدَّ أن تكون لها نهاية ونهايتها الموت ، ونراه يضع علامة السؤال أي تساؤله عن سبب وجوده لتكون نهايته الموت، ومن ثم يعود ليذكر علامة السؤال فيسأل هل هناك حياة بعد الموت؟ وهل هي أفضل من الأخرى؟ لكننا لا نعلم لأن الإنسان يكون قد مات ، فلا نجد من يحدثنا عن حياته بعد الموت ، ونجد كثرة الأسئلة في هذا النصِّ من التكرلي عن طريق شخصيته المثقفة محمد جعفر عن هذه الحياة والوجود والموت ، فهو يمثل الفكر الوجودي الذي يتضمن التساؤل عن الأمور كما وجدناه في الرواية .

ونرى عبد الكريم في (الرجع البعيد) يشهد هذه الظاهرة بموت صديقه (فؤاد) في بداية الرواية ويختمها بموت أخيه مدحت في نهاية الرواية ، أن ما شهده من ظاهرة موت في بداية الرواية قد سبب له الحزن واليأس والانهزام ، أمّا ما شهده من موت في نهاية الرواية على الرغم من ألمه ؛ إلا أنها فتحت له باب الأمل بالاقتراب من حبيبته منيرة مرة أُخرى .

أمّا حادثة موت فؤاد فكان لها الأثر الكبير في نفس عبد الكريم وأثرت به[١] .

تشير الرواية إلى الموت الذي هو مصير كلّ الموجودات البشرية وحادثة موت فؤاد قد أثرت على عبد الكريم بصورة سلبية فجعلته يعيش أزمة نفسية لا يستطيع التخلص منها ، فهو يائس ولا يستطيع مواجهة الواقع بقوة إرادة ، بل بات مهزوماً منعزلاً خائفاً ، ربما من مصير مشابه لمصير صديقه فؤاد وأنّ خوفه أدى إلى اضطراب اعضائه فأصبحت ذراعاه ترتعشان من خوفه وألمه وحسرته ، ((وهو ما يعانيه الوجوديون من إحساس أليم بالضيق والقلق واليأس والشعور بالسقوط والإحباط ؛ لأن الوجودية لا تمنح شيئاً ثابتاً يساعد على التماسك والإيمان وتعتبر الإنسان قد ألقي

---

(١) ينظر : الرجع البعيد : ٢٦ .

بـه فـي هذا العالم وسط مخاطر تؤدي بـه إلـى الفنـاء))[١] ، إنّ من مظاهر الوجودية الإحساس بالألم المرير .

تزخر الرجع البعيد بمظاهر الخوف والقلق ، وخوف عبد الكريم وقلقه ينتقل إلى شخصية أُخرى وهي منيرة التي يشبه قلقها بقلق صديقه فؤاد ، أي أنّها شخصيات غير مستقرة ، يذكر عبد الكريم منيرة في حالة دخولها عليه للسؤال عنه، فهو يقول : ((ثم رأيت القلق في عينيها ، كانت خصلات شعرها الأشقر مطويّة على جبهتها دون عناية ، وكانت تعبث بشفتها السُفلى كلّما توقّفت عن الكلام، وكانت عيناها قلقتين ، ذلك القلق أين رأيته مرّة أين واجهته متى انتصب في ما مضى أمامي ؟ كنت انظر إليها ذائباً في علاقتي بشعاع القلق هذا ، بروح القلق المنبعث منها كانت منصهرة ، مثلي ومثله يومذاك ، بقوّة لا انفكاك منها ، وكنت أحسّ بهيئة فؤاد وملامحه الغامضة تحيطه وتحيطني وتربطنا إلى ذكراه القريبة))[٢].

يرى قلقها مشابهاً لقلقه وكلاهما ليسا مرتاحين ، ثمة شيء ما يهدد هدوءهما النفسي فمنيرة ترى نفسها الإنسانة المنكسرة الضحية المذبوحة وما تعانيه من قلق تجاه مصيرها في المستقبل ، فهي تشبه فؤاد بقلقها ؛ لأن كليهما صُدِما من أقرب الناس ففؤاد صُدِم بحبيبته بأنها مومس ولم يحتمل ذلك ففضل الموت فهو منهزم ، أما منيرة فقد صُدِمت باغتصابها من إبن أُختها ، إلا أنها استمرت بالحياة ورفضت الاستسلام ، وهي تشابه عبد الكريم بالقلق والخوف من مستقبل يحمل لهم مصيراً كمصير فؤاد فعبد الكريم يخشى هذا المصير لخوفه ويأسه من الحياة لفقدانه صديقه، اما منيرة فتخشى هذا المصير ؛ لأنها تعلم أنّ ما حدث لها يجعل المجتمع يحكم عليها بالقتل ، وبهذا فإن عبد الكريم مثقف عانى اليأس والانهزامية .

---

(١) الوجودية ، يوحنا بيداويد ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، ٢٠٠٩/٦/٢٥ ، موقع صيد الفوائد : www . said . net

(٢) الرجع البعيد : ٢٨ .

يذكر الروائي كثيراً ظاهرة الموت فجواب عبد الكريم لوالد فؤاد عندما سأله هل كان صديقه يحتضر كما يقولون : ((كنت أحيا بعد أن عانقت الموت... موته ، لم يحتضر لم يتعذّب لا يمكن لهذه الأمور ان تلتصق به ، لقد مات بين ذراعيّ ، انطفأ مثلما ينطفئ النهار)) [١] ، فالموت ظاهرة بارزة في روايات التكرلي، ويأتي ذكرٌ آخر للموت ممّا يدلُّ على الوجودية فعبد الكريم يصف حاله بأنه كان على هاوية الموت ، ولكن قُدِّرَ له العيش والحياة ، فقد كان مع صديقه عندما مات ، ولكن شاء (الله سبحانه وتعالى) أنْ يحيا ويموت صديقه وهو قد عانق الموت ، موت صديقه الذي ودع الحياة بين ذراعيه ، وإنه لم يحتضر لم يتعذب ، فهذا يدلُّ على أنّه كان إنساناً نبيلاً لم يعمل ما هو سيء ليحاسب عليه ويجعله يتعذب بموته ، ويصفه بالنهار ؛ لأنه كان نهاراً بالنسبة لعبد الكريم وأن بموته الساكن انطفأ النهار فقد غادر الحياة بسكوت ، ((وليس للموت في ذاته عند سارتر أهمية خاصّة ، إنه فقط العبث الأخير ، وهو لا يقلّ عبثاً عن الحياة ذاتها، فالموت يظهر كجزء من (الصفقة) على حد تعبيره)) [٢] ، إنَّ الموت هو نهاية الحياة وهو مثل الحياة وتكملة لها لا يقلُّ عن أهمية الحياة ولا زيادة عليها ، ولكن بها تنتهي أفكاره . تأتي صورة أخرى لتصوير حالة الانهزام والهروب من الواقع من خلال تناول مدحت الشراب وسكره : ((كانوا يصرخون لسبب لم يعرفه ، ويضحكون رافعين كؤوسهم إلى أعلى ، تناول قدحه هو الآخر وعبّ منه [...] ، تناول مدحت كأسه ودلق محتوياتها كلّها في جوفه بسرعة)) [٣] ، يرد هنا ذكر (الشرب والسكر) أشخاص عدّة انضمَّ إليهم مدحت ، للتخلص من الألم الذي يعيشه والتخفيف من صراعه الداخلي بين حبه لمنيرة وبين التقاليد ، وأنَّ تجمع هذا العدد غير

---

(١) الرجع البعيد : ٤٧ .

(٢) الوجودية جون ماكوري : ٢٨٧ .

(٣) الرجع البعيد : ٣١٠ ، ٣١٢ .

القليل من الناس للشرب يدلُّ على أنَّ الإنسان غير منتمٍ للواقع ، فهو مغترب عنه ويحاول التخلص من همومه ومشاكله عن طريق الهروب منها ، وذلك بالتقليل من أثرها عن طريق تعاطي الكحول[١] ، كما ذكرناه عن حسين فقد هرب من مسؤوليته بالطريقة نفسها ، الشخصية هنا تنصرف عن الواقع الذي صدمت به إلى عالم الخيال عن طريق السكر فهي بهذا مهزومة ؛ لأنّها لا تقوى على مواجهة الواقع .

ثم يذكر التكرلي صورة الموت الملازمة للإنسان ، وفي أية لحظة تنهيه وتنهي طموحاته ، فبعد أن تذكر مدحت منيرة وفكر بالعودة إليها ، وهو في طريقه إليها أصابته رصاصة من رصاصات المتصارعين على السلطة في فخذه الأيمن فمات نتيجة لنزفه ولم يلقَ حبيبته[٢] ، بعد أنْ فكر مدحت بحبيبته والعودة إليها ، ظهر الموت في طريقه فجأة وهو مصيره المحتوم ، وقضى على طموحه وآذى كُلّ من حوله ، لكن نهاية مدحت قريبة جداً ، ولم تترك لمدحت وقتاً ليحقق أفكاره الداخلية ويجعلها حقيقية بعد أنْ كانت في الوعي الذاتي ، اظهر الروائي أفكاره الوجودية على شخصياته عن طريق حوارها وتصرفاتها ، ففي (خاتم الرمل) تلمس الباحثة وجودية الرواية من خلال حوار ومواقف الشخصيات المثقفة فيها ، فنجد هاشماً وهو مهندس وفنان أيضاً ، مما يدلُّ على ثقافته وتعلمه ، فيتحدث عن خاله رؤوف ورغبته في لقائه الذي يذكره بوالدته ، يتحدث عن خاله رؤوف فيقول: ((أردت أن أراه لحاجة لم أعرفها ، إذ ، معه يصير أيّ شيء خارقاً ، فينزاح القلق لبعض الوقت))[٣] ، هاشم عاش قلقاً يائساً في داخله ، إذ إنّه لا يعرف ما الهدف من حياته وما الحاجة التي يروم إلى تحقيقها ، وما ينقصه هو الأمان فهو في قلق دائم لكن مع خاله يشعر بالأمان ، وأنّ كُلّ شيء يكون

---

(١) ينظر : ما بعد اللا منتمي فلسفة المستقبل : ١٣٠ ، ١٣١ .

(٢) ينظر : الرجع البعيد : ٤٨٩ ، ٤٩٠ .

(٣) خاتم الرمل : ٦ .

خارقاً وممكن الحصول بحسب ما يريد ، وبذلك سوف يزول عنه القلق ولو لبعض الوقت ، فحديثه مع خاله هو نوع من التواصل الاجتماعي وعدم العزلة ، ولكنه مرتبط بالماضي أي إنّ هذا التواصل ليس للحديث عن الحاضر ، بل يعدُّ تواصلاً بذكرى والدته بالماضي ، وقد أحبَّه لحبِّ والدته له ، والتذكر يرتبط بالزمن المرتبط بالوجودية وهاشم متعلق بكلِّ ما يتصل بالماضي تاركاً الحاضر والمستقبل ؛ لأنه لا يجد فيه ملاذاً له فهو يائس من حياته وما وجوده فيها إلا كمصير محتوم ، ومما يدلُّ على اغتراب الشخصية انفرادها وانعزالها مع أقرب الناس إليها والدها[١] ، وهاشم يعيش حالة من الانفراد وعدم الانسجام مع الآخرين ، ومع والده الذي يظن بأنّه يكرهه ، وذلك لعدائه للعالم وعدم الثقة به ؛ لأنه لم يجد من بعد والدته من يغمره بذلك الحب أو مجرد المقاربة له ، فهو معزول عن المجتمع ، وتأكيداً لصفة من صفات الوجودية وهي العزلة والاغتراب عن المجتمع فلا يجده يلائم أفكاره ، وأنّ أغلب شخصيات التكرلي في رواياته وأقاصيصه : ((أُناس متمردون رافضون لما تعارف عليه المجتمع من قيم وتقاليد ، ولما هو أكثر من القيم والتقاليد في بعض الأحيان ، بحيث يبدو الأمر معه إن البيئة والتقاليد العراقية التي يعيش فيها هؤلاء الأبطال إنما تقدم في هذه القصص من أجل أن ترفض ومن أجل أن يتضح كم هو ضروري تغيرها)) [٢] ، كما في حال هاشم الذي اختار عالماً خاصاً ينفرد به عن غيره يجعل له قوانينه الذاتية المتماشية مع وعيه الداخلي ولا دخل لأحد بتصرفاته ، والحال نفسهُ مع رؤوف الذي يختار الانعزال عن المجتمع وعن من أحبهم لينتظر مصيره النهائي بعد حقبة من الوجود والحياة لينقاد إلى العدم والزوال وهو يختار هذه العزلة استقبالاً للعزلة الأبدية ، وتُبرز الرواية ظاهرة الفناء بعد الوجود الدنيوي من خلال حديث رؤوف : ((وكنت أُريد

---

(١) ينظر : خاتم الرمل : ١٦ .

(٢) الأدب القصصي في العراق : ٢/٢٤٠ .

أن تساعدني في إيجاد عنوان دار العجزة ؛ لأذهب فأقيم فيها أيّامي الأخيرة ، ولعلّ الله (سبحانه وتعالى) يرأف بي هناك فأرحل دون أن أزعج أحداً))[١]، يذكر هنا الفناء والعزلة كما في حالة خاله رؤوف ، ويعدُّ الجانب المأساوي للوجودية ، وإنَّ الفناء نهاية العالم الدنيوي الموت والانتقال إلى عالم الآخرة ، ويتمنى من الله أنْ يرأف بحاله ويرحل من دون تعب أو مرض ، وهنا بذكره (لله) سبحانه وتعالى تدلُّ على الوجودية المؤمنة بوجود (الله) وإنّ وعي الإنسان بالموت هو دليل على أنّه موجود إنساني وليس حيوانياً[٢] ، والانهزام بوصفهِ مظهراً وجودياً يتمثل في شخصية هاشم الذي لم يواجه خطيبتهُ ، وفي موقف رؤوف حين أخاف السلطان العثماني بتحركاته، فحاولوا قتله ولكنّه هرب ، برمي نفسه من نافذة عالية إلى البحر فعاد إلى بغداد مهزوماً نفسياً[٣] ، ممّا أدى به أنْ يعيش أزمة نفسية أثارت لديه القلق والخوف والخجل والانكماش من أي فعل ، أي أنَّ الظروف الخارجية هي التي تؤثر في الافراد وتجعلهم غير أسوياء فتحول الشجاعة إلى جبن ، كما أنَّ الوجودية تصف الجبان : ((على أنه الجبان يمكن أن يكون بطلاً ، وأن البطل يمكن أن لا يكون بطلاً وذلك من خلال الالتزام الكلي ؛ لأن ما يدفعك نحو الالتزام الكلي ليس حالة خاصّة أو فعلاً خاصّاً)) [٤] ، بمعنى أنَّ الإنسان رهين ظروفه .

وينطبق هذا على حالة رؤوف إذا استلبت الحياة شجاعته وجعلته منعزلاً .

---

(١) خاتم الرمل : ١٧ .

(٢) ينظر : الوجودية جون ماكوري : ٢٨١ .

(٣) ينظر : خاتم الرمل : ١٨ .

(٤) الوجودية منزع إنساني : ٦٠ .

ومما يشير إلى حالة العزلة التي يعيشها هاشم نراه يقول : ((إنّي لا أُريد التّواصل المطلق مع البشر ، إنّ نفسي بطبيعتها موزّعة ، متنافرة الأجزاء ، ولقد صعب عليّ، ولا يزال كما يبدو ، أنّ ألمَّ بكلّ الأفكار وأن استوعب كلّ شيء))[١] ، يشير هنا إلى يأسه ورغبته في العزلة عن المجتمع ، وعدم الاختلاط به وهو بهذا لا يستطيع التلاؤم والتعايش مع الآخرين ؛ لأن وفاة والدته سناء هو الظرف الأساس الذي جعله يعيش هذه العزلة وعدم محاولته التخلص منها والارتباط بالآخرين ، فكل شيء أصبح لديه طبيعياً ، رأي العالم فيه وما يفعله، وإنْ كان أنانياً أو خاطئاً فهو يائس من هذه الحياة ، لذلك لا يهمه أي شيء وتبين الوجودية إنَّ ((الظرف الإنساني هو مجموع الحدود الما قبليه التي ترسم وضعيته الأساسية في الكون))[٢] ، إنَّ ظرفه القاسي بعيشه يتيماً بفقد والدته أثر عليه ، ولكنه مع هذا التزم برغبتها في أنْ يكون مهندساً مثل جدّه ، وأصبح مهندساً فعلاً وأنّ الالتزام من مظاهر الوجودية.

تختم الرواية بحادثة مقتل هاشم فهو يصف الرجل الذي قتله ويذكر الحوار بينهما : ((ابتسم في وجهي بتهذيب شديد :- الأستاذ هاشم السّليم ؟ كانت في لهجته لكنةٌ لم استطع تحديد أصلها ، نظرت إليه ، في عينيه كانتا صغيرتين سوداوين باردتين ، لم يعجبني أن أجيب ، كان بإمكاني جسدياً ان أصدّ الشرّ الّذي قد يبدّر منه ضدي ، كرّر : – العفو ... الأستاذ هاشم ... بنفسه ؟ ولسبب مبهم هززت له رأسي بالإيجاب ، لم تأخذ منه عملية إشهار المسدس وتصويبه بثبات إلى جبهتي إلاّ جزءًا من الثّانية [...] لم يبق من كلام آخر وكنت ... كنت بمفردي ...))[٣] ، يذكر حادثة قتل هاشم الذي لم يبالِ للموت بل استقبله بكلّ شجاعة وهو يعلم أنّه نهاية وجوده ،

---

(١) خاتم الرمل : ٣٤ .

(٢) الوجودية منزع إنساني : ٦٤ .

(٣) خاتم الرمل : ١٥٤ .

وظل ساكتاً على الرغم من معرفته بأنه سوف يُقتل وكان باستطاعته أنْ ينجو من القاتل ويقاومه ، ولكنه لم يفعل ولم يبال ، وهو يرى المسدس يتجه إلى مقدمة رأسه ليرديه قتيلاً ، فربما ذلك ليأسه من الحياة التي لا معنى لها من دون وجود والدته ويكفيه ما عاشه من ألم لفراقها ، وهو يرفض فكرة موتها ويشعر بها دائماً حية وإلى جانبه فقرر اللحاق بها إلى العالم الآخر ، وأنَّ والدته تركته وهي في سن الحادية والثلاثين ، وهو أيضاً فارق الحياة في سن الحادية والثلاثين .

انتقل هاشم من عالم الوجود إلى عالم العدم والزوال ، وهي نهاية الوجودية وربما بدايتها ؛ لأنه لا يعرف ما يحدث بعد الموت .

بعد أنْ لاحظنا ظاهرة الموت ؛ بسبب القتل أو الحوادث في رواياته تجدر الإشارة إلى رواية (المسرات والأوجاع) بما فيها من ظاهرة الانتحار ، أي رغبة الفرد في الابتعاد عن هذا العالم إلى الأبد ، إذ ينتقل التكرلي من فكرة رغبة الشخصية في البقاء إلى انقضاض الموت عليها فجأة فيسلبها وجودها ، وهو بهذا ينتقل إلى رغبة الشخصية بالانعزال والتخلي عن هذه الحياة بانتحارها .

تسجل الرواية حادثة انتحار الدكتور عبد الجواد محمود كما في الرواية : ((كان د. عبد الجواد محمود يكتب بحثاً عن الأفكار الفلسفية التي استنبطها بياجيه من بحوثه العلمية في الجينات ، حين هاجمه الوحش ، هكذا تخيلت حادثة انتحار الأستاذ في كلية العلوم بإحراق نفسه))[١] ، هنا ترد حادثة انتحار الدكتور عبد الجواد محمود فهو الانتقال من عالم الوجود إلى العدم والزوال وهو الموت ، لكن بإرادة الشخص هو الذي يختار الموت، وذلك عن طريق الانتحار الذي يمكن تحقيقه من أجل الخلاص من الواقع الموجود الذي يسبب للشخص الألم والعزلة واليأس ، وذلك لعدم تلاؤمه مع ما

---

(١) المسرات والأوجاع : ١٠٩ .

موجود في المجتمع فلا يستطيع المقاومة ويتعب من حياة العزلة؛ لذا يقرر الانتحار، كما يقول ولسون عن المرحلة الوجودية تقوم على : ((الاعتراف والإدراك بأن مشكلة التلاؤم عند الإنسان يجب أن تكون مع الحياة نفسها وليس مع مجرد المجتمع)) [١] ، إن الانتحار يقوم على أساس تقليل القيمة لحياة البشر وتكون بسبب القلق واليأس والخوف وغيرها من مظاهر الوجودية .

تؤكد الرواية على فكرة التخلي عن هذه الحياة وعدم الرغبة فيها من المثقف توفيق وهو مظهراً للفكر الوجودي لديه فيقول : ((لست زاهداً بالحياة بل مرتداً عنها، ولا أنا كاره لها إنما مشمئز منها : ولا أدري إن كنت قلت هذا أم لا ، ولكن دواخلي الغامضة تسوقني أحياناً إلى تصرفات لا أُحبذها دائماً ؛ يتجمع فيّ شعور ، لا أعرف بالتحديد مسبباته ، حتى يفيض دون توقع ويدفعني إلى أعمال غير مستحبة، وتجنباً لما قد أعمله ولا أُريده ، انكفأت اقرأ بنهمٍ غير عادي ، ليل نهار ، في البيت، في المكتب ، في المقهى ، في أي مكان يمكنني فيه أن أفتح الكتاب دون ازعاج))[٢]، نجد كلام توفيق يدل على الأفكار الوجودية وهو مؤمن بها، فهو يصف حاله بأنّه ليس متمسكاً بالحياة بل بعيداً عنها ؛ لأنها لم تعطه ما يريد ، فهو لا يكرهها ولكنه منزعج منها ؛ لأنها لم تلبِ طموحاته وسلبته أغلى الأشياء حبيبته آديل والقدرة على (الإنجاب) وكذلك سلبته وظيفته ، وهذه الأمور وغيرها من نوازعه الذاتية تدفعه إلى فعل أشياء مضطراً إلى عملها ، ولكنه كاره لها غير أن ظروف الحياة تجبره على القيام بها وللتخلص من الشعور الداخلي الذي يدفعه إلى فعل هذه الأشياء غير المستحبة ، كأن يستجدي مالاً أو عواطف ؛ لذلك انصرف إلى القراءة والانعزال عن

---

(١) الوجودية الجديدة عند كولن ولسون : ٢١٩ .

(٢) المسرات والأوجاع : ١٥٧ .

الناس بالقراءة ليلاً نهاراً ، أي استعان بالقراءة لمواساته في عزلته ، فينسجم في التفكير فيما يقرأ وبذلك يمنع الأمور التي لا يرغب في حدوثها.

تبرز ظاهرة اليأس والانهزامية والخوف بصورة واضحة في (اللا سؤال واللا جواب) التي تعدُّ سمة مميزة للوجودية ، كما نلحظه من كلام الشخصية المثقفة عبد الستار فيقول : ((ما أُريد أن استقصيه ، [...] ، بل هو المعنى المبهم الذي يدفعني دون إرادتي ، أنا الإنسان الفرد ، نحو مصير مجهول ، إذ لا مظهر واضحاً دون سبب يتخفى في باطنه أو خلفه مثل المرض المميت ، يبدأ بحمى خفيفة أو لطخة صغيرة حمراء أو وهن عابر ثم يحث خطاه ، خلال الزمان ، ويتقدم ببطء لينقض في لحظة ، فيضرب ضربته القاضية)) [١] ، هنا يتحدث عن حاله ومصيره المجهول فهو في حالة يأس وقلق وخوف صادر من قرارة نفسه ، فهو لا يعلم ما يخبؤه له القدر ، فهو الإنسان المنفرد ، أي الموجود الإنساني وما يحصل له من حالة عدم وعي ، لابدَّ إنها صادرة من عوامل داخلية نفسية تؤثر فيه رويداً رويداً حتى تقضي عليه ، فهي مثل المرض المميت الذي يبدأ بأبسط الأعراض ثم يتطور، إذ لم يجد علاجاً ويقضي على صاحبه فهو يخشى العدم ، يخشى نهايته الحتمية أنْ تأتيه بفترة مبكرة من حياته .

تبين الرواية آثار الانهزامية واليأس على المثقف عبد الستار بذكر حالة الغيبوبة التي تحدث له : ((كان محشوراً بقوة في زاوية ضيقة تحت السرير ، منكمش كالعادة ، على نفسه ضاماً ساقيه وذراعيه إلى جسده ، وهو في ارتجاف دائم، يهمهم همهمة حيوان حبيس)) [٢] ، هنا يصف حالة الغيبوبة وما يعانيه من خلالها ، فهو لا يشعر بما حوله كأنه في عالم ثانٍ ، ربما هو عالم العدم الذي هو نهاية الوجود فيرحل فيه فترة مؤقتة وبعدها يعود إلى عالمه عالم الوجود والوعي الذاتي ، فيصف حالة همهمته

---

(١) اللا سؤال واللا جواب : ٨ .

(٢) المصدر نفسه : ٤٣ .

كالحيوان لا يُفهِم ما يقول وإن الحيوان هو من الموجودات ، فله وجود وعدم ، ولكنّه لا يعي ما الموت لعدم امتلاكه العقل للتفكير ، فهو يصف كلامه كأنّه همهمة حيوان ؛ لأنه في غيبوبة فلا يوجد ما يميّزه عن الحيوان ، وتراوده هذه الحالة نتيجة لظروف قاسية أحاطت به ، وذكريات مؤلمة عاشها من قسوة والده على والدته ، وكذلك ترك زكية له في بادئ الأمر ، وحالة الحرمان في ظروف الحصار، كلها أدت إلى اصابته باليأس والانهزام فلم يستطع التحمل ؛ وبسبب هذا الضغط أصبح يمرُّ بحالة من الغيبوبة التي تسبب له الغم واعتقاده أنه سيصاب بالجنون ، أي فقدانه عقله الذي يميّزه عن الحيوان .

إنَّ ((الوجود كشف الحجاب عن نفسه فجأة وفقد النظرة الآمنة للحالة المجردة التي كانت عجينة للأشياء ، هذا الأصل كان معجوناً بالوجود ، واختلاف الأشياء وفرديتها إن هي الا مظهرٌ أو تمويه ذات ، مخلفاً حشداً بشعاً كلها كانت بلا نظام عارية عراءً مرعباً فسحاً)) [١] ، أي إنّه لم يعد يحتمل الواقع وما خلّفه له من يأس وألم وذكريات مؤلمة أدى به إلى الكبت والانهزام الداخلي ، فأراد أنْ يتخلص منها ، لكنها خلفت لديه شيئاً بشعاً هو سيطرة العالم الداخلي عليه عالم الغيبوبة ؛ لأنّه لم يستطع المقاومة ومواجهة الواقع ؛ لذا سيطر عليه اليأس وادى به إلى الانتقال لعالم الغيبوبة ، إذ إنه لم يسمع صوت زوجته وابنتيه ، وصور التكرلي حالة عبد الستار وكلامه في غيبوبته ربما لأنه أراد تصوير الحياة الثانية بعد الموت ليبين أنّ الوجود لا ينتهي بالموت .

تبين الرواية رؤى سابقة وهي الخوف ، ذلك مما نجده من حديث عبد الستار فيقول : ((الكتابة فعل خطير ، اكتشفت ذلك الآن ، وفي هذه الساعة الضائعة في الليل ، أنا خائف ولكني لا أدرك ذلك ، لا أعرفه ، كنت أعيشه وأنا أجهله ، لكنني ،

---

(١) ما بعد اللا منتمي : ١٣٠ .

لحظة أن كتبت إني خائف على هذه الورقة ، شعرت بأطرافي ترتجف خوفاً وهلعاً ، أنا اكتب بأني خائف ، إذاً فأنا في الحقيقة خائف)) [١] ، يُظهِر عبد الستار رغبته في الكتابة ويذكر بأنها فعل خطير وذلك ربما يقصد أن الكاتب إذ لم يَتَوَخَ الحذر في كتاباته فسوف تقوده إلى المهالك ، فنرى أنه كلام الروائي فؤاد التكرلي على لسان الشخصية عبد الستار .

إنَّ عبد الستار مثقف مهزوم يعيش حالة الخوف من كلِّ ما يحيط به من ظروف من غيبوبته من خوف الهلاك من الجوع ، الخوف من المصير المجهول ، فإن كُلّ هذه الأمور أدت إلى تكوين اليأس والإحباط والقلق لديه ، فإن الظروف القاسية الخارجية هي التي أدت به إلى هذه الحالة وجعلته إنساناً متوتراً خائفاً ، وليس بطلاً مواجهاً فهو لا يدري هل هو يُعَظِم الأمور وأنَّ ما حوله سوف يزول ؟ وأنَّ ما يمر به هو حقبة مؤقتة ؛ أم أنها الحياة التي خط له القدر طريقها القاسي ، أنَّ لكلّ إنسان قدرة محددة لمواجهة هذه الحياة ، فإن قدرته لا تقوى على مواجهة هذه الظروف ، فيقابل فعل خوف الكتابة بالجانب النفسي له ، أي أنّ خوفه النفسي من هذه الحياة قد أدى به إلى الخوف من الكتابة ، فهو يصف ارتجافه وهو يكتب (إني خائف) فهو في الحقيقة خائف ، ربما أراد بها الروائي إلى إن فعل الكتابة هو فعل صادق ، ويعبر عن دواخل الشخصيات بصورة صادقة ، ليؤكد التكرلي أنّ ما ينتج من أفكار في رواياته ، ما هي إلا أفكاره وآراءه قد مثلها برواياته ليوصلها إلى المجتمع .

نجد التكرلي في آخر رواياته (اللا سؤال واللا جواب) يربط بين ظاهرة الوجود والعدم السمتان الأساسيتان للوجودية ، فبعد أنْ عرضنا تحليلاً لبعض الظواهر الوجودية المتمثلة بجانبين جانب الحرية والولادة واتخاذ القرار ، ومن ثم انتقلنا إلى جانبها الآخر وهو الانهزامية واليأس والموت ، نجد التكرلي يذكر نصاً في روايته يربط بين كلا الجانبين الوجود والعدم ، الولادة والموت أنّه أراد أنْ يختم فكره الوجودي بالربط

---

(١) اللا سؤال واللا جواب : ٥٥ ، ٥٦ .

بين هذين الجانبين ، وان احدهما يؤدي للآخر وهو مصير كلّ إنسان ، كما سجلته الرواية من حديث عبد الستار فيقول : ((كانت قطرات المطر تتسايل باستمرار على الزجاج ، من المحتمل أن تكون قطعان البشر مثل هذه القطرات المائية ، يتسايلون على الدوام ويمسحهم الزمان هكذا مثل هذه الماسحة يستضيئون بالحياة برهة قصيرة ثم يمسحون)) [١] ، تؤكد الرواية على الترابط الوثيق بين الولادة والموت بين الوجود والفناء ، من خلال وصف عبد الستار لقطرات المطر فهو يشبه قطرات المطر النازلة من السماء بالإنسان عندما تولد فيه الروح ، أي ولادته بداية الوجودية وتتسايل باستمرار على الزجاج ، أي الإنسان في تواجد مستمر على أرض الواقع ، فهو يعيش في هذه الحياة ويسر بما فيها لكن حقبة سعادته تكون قصيرة مقارنة بحقب بؤسه وأوجاعه ، ومن ثم يُمسَحُ من هذه الحياة إلى العدم أي بالموت ؛ لأن عالم الوجود هو حقبة قصيرة يحياها الفرد ، أما العالم الأزلي بعد الموت فهو البقاء الحقيقي الوجود الطبيعي ، فيشبه الظروف القاسية والأمور المؤدية بحياته بالماسحة التي تمسح قطرات المطر بكلّ قوة وقسوة وتزيلها، أي تنتهي حياة الأفراد بكلّ قسوة .

قد اقتصر فصلنا هذا على دراسة الفلسفة الوجودية التي تميّز بها فؤاد التكرلي وظهرت آثارها واضحة في رواياته من خلال مواقف الشخصيات وحوارها، فتبرز آثار الفلسفة الوجودية التي تمثلت بجانبين الجانب الأول : اتسم بشيء من التفاؤل المتمثل بالحرية واتخاذ القرار والولادة ، أما الجانب الثاني : فتمثل باليأس والانهزام والخوف والقلق ويترأسها الموت ، فالسمة الأساسية التي اتسم بها مثقفوه هي الانهزامية .

---

(١) اللا سؤال واللا جواب : ٩٣ .

الفصل الثالث
الفرويدية ومؤثراتها في المثقف

- مدخل :

شكل الجنس هاجساً وجودياً فاعلاً في معظم كتابات التكرلي السردية ، ومنها بالطبع رواياته ؛ لأنّها لم تكن مشاهد عابرة ؛ ولأنه رّكز في توصيفات معينة من أهمها جنس المحارم ، كان لابُدَّ من الوقوف عليه ، إذ أنّ للمثقف من شخصياته الروائية ، تعامل وموقف منهُ ومن ثم فإن الوقوف على هذه المشاهد وتحليلها هو في جانب من جوانبه، وكشف عن موقف المثقف وعن وجوده وعن عمق ثقافته أو سطحيتها ، إذ غالباً ما يكشف المثقف عن طلاء خارجي يعكس مواقف خارجية ليست متأصلة في ذاته .

ومن أجل الكشف عن تلك المشاهد والمواقف منها ، فإن الوقوف عند خلاصة نظرية فرويد الجنسية ، أمر تحتمه منهجية الرسالة ، فقد وضع ((سيجموند فرويد (١٨٥٦-١٩٣٩) نظرية عن الشخصية نموها وبناؤها ، وقد وضع هذه النظرية بقصد فهم سلوك المرضى وتوجيه هذا السلوك وعلاجه . وتتضمن نظريته عدّة مراحل يمرُّ فيها نمو الطفل الجنسي ، وفي ضوء نجاح الطفل في المرور من مرحلة إلى أخرى تتوقف شخصيته في مرحلة الرشد)) [١] ، وبذلك يمكن معرفة التعريف العام لها هو ((الفرويدية : مدرسة في التحليل النفسي أسسها سيجموند فرويد وهي تفسر السلوك الإنساني تفسيراً جنسياً ، وتجعل الجنس هو الدافع وراء كل شيء ، كما إنها تعتبر القيم والعقائد حواجز وعوائق تقف أمام الإشباع الجنسي مما يورث الإنسان عُقداً وأمراضاً نفسية)) [٢] ، هذه النظرية تثور أيضاً على القيم والعقائد بوصفها مسببةً الأمراض والعقد ؛ لأنها تَحول دون تحقيق الأفراد رغباتهم ، يبين فرويد مدى أهمية

---

(١) علم النفس ومشكلات الفرد ، د. عبد الرحمن محمد عيسوي ، منشأة المعارف بالاسكندرية، مصر ، د.ط ، د.ت : ٤١ .

(٢) الفرويدية ، موقع قناة الديار الفضائية : ٢٠١٣/٦/٩ . www . al dixar sat . net

مرحلة الطفولة وتأثيرها في الفرد ، وإنّ الليبيدو هو الذي يسيطر على سلوك الإنسان وغرائزه ؛ لذا فالطفل عن طريق علاقته بوالديه الولد يتعلق بأمه والابنة تتعلق بأبيها بأمور مادية وعاطفية ، وعند الصبي تمثل العقدة الأوديبية الأُم هي الليبيدو ، أما عند البنت فتتمثل بعقدة الكترا التي ((تشير إلى تعلق اللاوعي للفتاة بأبيها وعدائها لأُمها))[١] .

وفي عقدة الكترا يكون الأب هو الليبيدو ولكن بعد سن الرابعة والخامسة يشعرون بالذنب ، لذا يقل أثر الليبيدو وتقوى الأنا للتخلص من القلق ، وبذلك يشعرون بالحب والحنان تجاه الأب والأم ، وهذا لا يعني الغاء أثر الليبيدو ولكن زوال بعدها الأوديبي ، وذلك عن طريق التسامي إذ يستطيع جمح رغباته عن طريق الهوايات يزول تأثير الليبيدو ولكن في سن المراهقة تعود إليه العقد الأوديبية، لاسيّما منع التواصل بين المراهقين ، ممّا يؤدي إلى الانفصال العاطفي عن الأسرة وأنْ يتولد لديه صراع بين نزواته من جهة والقوى التي تقف بوجه تلك النزوات من جهة أخرى ، وتبقى العقدة الأوديبية في اللاوعي لدى الشخص[٢] .

بما أنَّ عنصر الليبيدو هو سر عقدة اوديب والكترا يمكن تعريفه بأنه ((الطاقة النفسية المتعلقة بالغريزة الجنسية)) [٣] ، بمعنى أنَّ الليبيدو هو الدافع للغريزة الجنسية .

يرى فرويد أن العقل عند الإنسان ثلاثة أقسام هي :

---

(١) عقدة الكترا ، غسان لافي طعمة ، موقع العروبة ، الأربعاء ٢٠٠٦/٣/١٥ :
E-mail : ouoba athawra . com

(٢) ينظر : الوجودية الجديدة عند كولن ولسون : ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ .

(٣) ثلاث نظريات في الجنس ، سيجمند فرويد ، ترجمة : محمد عثمان نجاتي ، مكتبة أصول التحليل النفساني ، ط٤ ، د.ت : ٢٦ .

١- **الهو** : الذي يقوم بإشباع اللذة للتخفيف من التوتر عن طريق الحلم ، فهو يخفف من حدة التوتر ، وهذه الوظيفة هي المرحلة الأولى للحياة وهي يطلق عليها فرويد مبدأ اللذة .

٢- **الانا** : وهي مرتبة بالواقع وتراعي الواقع في تصرفات الشخص ، ويتحكم بها التفكير والعقل وتقوم بالتحكم بالهو وتظهره بطريقة مقبولة في المجتمع ومتلائمة معه .

٣- **الانا الأعلى** : هو المرتبط بالتصرف المثالي للإنسان ، وهو القانون الأخلاقي في الإنسان ، وهو أنْ يكون تصرف الطفل مشابه لسلوك والديه ، وبذلك يقاس حسن سلوكه أي أن يقتدي بهما[١] .

بمعنى إنَّ هذه العوامل الثلاثة هي الأساس في تكوين شخصية الفرد .

إنَّ الوالدين إذا استطاعا أنْ يعطيا الحب لابنائهما من دون إيقاظ الغريزة الجنسية ، يستطيع الأبناء في المستقبل اختيار الموضوع أي الحبيب ، وعندما تنمو الغريزة الجنسية في فترة المراهقة ينفصل الابناء عن آبائهم ، ولكن إذا نمت الغريزة الجنسية لدى الابناء في أثناء فترة الطفولة مع الإفراط في توزيع الحنان عليهم يؤدي إلى تكوين ابناء عصابيين وبالتالي عدم استطاعتهم العيش بدون حب ، وسوف يتوجه نحو المحارم ، وكذلك الفتيات اللواتي لا يستطعن التخلي عن حب والديهن يمكن أن يملكن قدرة كبيرة على الإغراء ، ولكن حبّهن يتميّز بالبرود الجنسي ؛ وذلك لأنه حب مشابه لحب الوالدين[٢] .

---

(١) ينظر : أصول علم النفس الفرويدي ، كلفن هال ، ترجمة : محمد فتحي الشنيطي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٩٧٠ : ٢٥ ، ٣٣ ، ٣٥ .

(٢) ينظر : في سبيل الموسوعة النفسية الجنس عند فرويد ، عرض وتقديم : د. مصطفى غالب، منشورات مكتبة الهلال ، د.ط ، ١٩٧٨ : ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ .

ويرى فرويد إنَّ الإنسان الذي يأتي المحارم هو المتوحش كما في الطفل أيضاً ، فإن عقدة آوديب تشمل الأطفال الذكور عندما يحبون والدتهم حباً جنسياً، ويؤدي إلى الزنا بالمحارم ، ويرى فرويد إنَّ الدين والأخلاق هما عصاب وسواسي وإنَّ إتيان المحارم يأتي عن طريق غريزة طبيعية ، وليست كراهية طبيعية كما في الكراهية الفطرية ، بعدم اللعب بالنار ؛ لأنه يحرق الأصابع ، وإنَّ فرويد يؤكد كلامه بالاستشهاد بكلام فرايزر الذي يتبين من خلاله أنَّه بدلاً من التخلص من الزنا بالمحارم باعتباره وجود وكراهية طبيعية ، يجب الاعتراف بوجود غريزة طبيعية تدفع لإتيان المحارم على الرغم من أنَّ إشباع هذه الغريزة الطبيعية أمرٌ مؤذٍ للمجتمع ، وبذلك يرى فرويد هذا الكلام مؤكداً لأفكاره حول عقدة آوديب[١] ، يبين فرويد إن الزنا بالمحارم غريزة طبيعية لدى الأفراد وإن كانت ذات تأثير سلبي على المجتمع .

وقد ميّز فرويد عاطفة المرأة عن الرجل إذ إنّها الأكثر عطفاً وانقياداً لها[٢] ، يعد فرويد العاطفة عند المرأة أقوى من العاطفة عند الرجل والأكثر تحكماً بها .

أمّا عن علاقة الطفل بوالديه ونمو الغريزة الجنسية لديه بفعل المحيّط الأسري، قد يكون له شذوذ جنسي متمثلاً بالرغبة في اشتهاء المحارم ، ((يقول علماء النفس إن المعايير تنظم السلوك الاجتماعي في كلِّ المجتمعات، ومن هذا السلوك ، السلوك الجنسي لدى الأفراد ، السلوك الجنسي بكلِّ اعتداله وتطرفه وشطحاته ، ففي هذا السلوك عوالم وغياهب غير مألوفة ونزعات غير واقعية ، ورغبات جنونية ، إنه الجنون تماماً في ما يفكر به البعض ، مما تطرف سلوكه الجنسي وبلغ أوجه في الاشتهاء ، حتى غمر هذا الاشتهاء كلّ مناحي العقل وأحاله إلى رغبات جامحة ، وأحال صاحبه

---

(١) ينظر : طريقة التحليل النفسي والعقيدة الفرويدية ، رولان البيز ، ترجمة : د. حافظ الجمالي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بغداد ، ط٢ ، ١٩٨٤ : ٣٩٢ .

(٢) ينظر : النظرية الجنسية ، فرويد ، ترجمة : أحمد طلعت ، مكتبة النهضة ، بغداد ، د.ط ، ١٩٧٩ : ١٧٩ .

بكلِّ ماضيه وعواطفه وتحضره الإنساني إلى رغبة حيوانية تحركها الأهواء ، والبحث عن اللذة من طرف واحد ، إنَّنا نناقش الاشتهاء في هذه السطور ولنا في التاريخ أعظم العبر والدلائل ، ألم يعبر سوفوكليس عن عقدة أوديب عندما جعل بوكاستا تقول مخاطبة أوديب : كم من فان قبل ضاجع في الحلم أُمه ، ولكن يسهل عبء العيش لمن لم يلق إلى ذلك بالا)) [١] ، نستطيع القول إنَّ الزنا بالمحارم ما هو إلا نتيجة لشهوة جنسية مشابهة لغريزة حيوانية ، ولكن تفسير فرويد للجنس يدعو إلى أمور مخالفة للتقاليد والأعراف ؛ لأن ((الفرويدية تدعو إلى التحرر من كل القيود ؛ لأنها تسبب العقد النفسية والاضطرابات العصبية ، وبذلك تريد للمجتمع ان يكون بلا دين ولا أخلاق ولا تقاليد فتتسع هذه الرذيلة والفساد)) [٢] ، بحسب ما ينص فرويد في نظريته إنَّ الزنا بالمحارم هي غريزة طبيعية؛ لذا نجد اختلاف التعامل معها من قبل الأشخاص لاسيّما المثقفين منهم ، وأنّ المثقفين يتعاملون مع الزنا بالمحارم كلاً بحسب ثقافته التي اكتسبها ، فالمثقف الوجودي يرى أنّ له الحرّية في ممارسة هذه الغريزة ؛ لأن أفكاره تدعو إلى التحرر من أي قيد ، أما المثقف بشكل عام ، فهو يتقيد من هذه الغريزة ، وإنْ كانت رغبته بها موجودة ؛ لأنها مرفوضة من قبل المجتمع ، فهو يحاول التخلي عنها وردع هذه الأفكار والتخلص منها ، وذلك عن طريق عملية التسامي فهو يوجه الاتجاهات الجنسية ، ويفرغ رغباته عن طريق ممارسة نشاطات خاصة كالكتابة والرسم وغيرها من الهوايات ، فهو يظهر رغباته بشكل إيجابي ؛ وذلك لأن ما يتحكم بالمثقف هي ثقافته وليست غرائزه ، إن الموضوع والوسيلة هو الهدف الذي يخفف التوتر ، وإن كان موضوع إشباع الغريزة غير مهيأ يلجأ إلى اختيار موضوع بديل لتخفيف التوتر ،

---

(١) الجنس بين الرغبة والاشتهاء والتابو – المحرم ، أسعد الامارة ، الحوار المتمدن ، العدد ١٣٤٩ : ٢٠٠٥/١٠/١٦ ؛ المحور فلسفة علم النفس ، وعلم الاجتماع :
www.ahewar . ova/index . asp

(٢) الفرويدية ، اعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي : www. Said-hes-feraa

وهو عملية الانتقال من موضوع لآخر من أجل إيجاد الوسيلة التي يخفف بها هذا التوتر الجنسي[١] .

نجد ذلك واضحاً عند مثقفي التكرلي فهاشم ينصرف إلى التفنن في تصميماته الهندسية ، وكذلك توفيق عندما كان محامياً فهو يحصل على إشباع فموي ؛ وذلك من خلال وظيفته التي يقوم بها ، فهي تخفف عنه الغريزة الجنسية ولو بشكل بسيط، كما يقول فرويد : ((الطاقة التي تمنع من التعرض في مسالك مباشرة تتسرب إلى قنوات مفيدة اجتماعياً ومبتكرة ثقافياً ، وأن هذا التوتر مسؤول جزئياً عن العصبية عند الرجل المتمدن ، ولكنه مسؤول عن اسمى ما يقدمه الجنس البشري))[٢] ، إنَّ المثقفين يتعاملون مع الرغبات الجنسية بصورة مقبولة اجتماعياً وتتحكم بها الثقافة والعقل عدا محيّ فقد برزت غريزته الجنسية وطبقها ولم يحولها إلى جوانب مقبولة اجتماعياً ؛ لأنه محكوم بأفكار وجودية تدعو إلى التحرر من الأعراف الدينية والتقاليد الاجتماعية .

- دلالة العنونة :

تدلُّ رواية (بصقة في وجه الحياة) من دلالة عنوانها على الزنا بالمحارم بحسب ظن الباحثة ، ذلك ببصقه على الحياة التي تمنعه من ممارسة حريته في إشباع غريزته الجنسية والاستمتاع بلذاته ، فنجد محيّ يقع تحت سيطرة الهو ويحولها إلى واقع ، فيحاول اغتصاب إبنته ولم يبالِ لما سيحدث .

أمّا رواية (الرجع البعيد) فتبدو الإشارة إلى الزنا بالمحارم من خلال العنوان، فالرجع البعيد ربما يعني رجوع عدنان إلى مبدأ الهو العنصر الأول لتكوين الشخصية ، والذي يقوم على إشباع الغريزة الجنسية واللذة دون أي اعتبارات للعادات والأعراف

---

(١) ينظر : أصول علم النفس الفرويدي : ٩٣ .

(٢) المصدر نفسه : ٩٨ .

الدينية ، فالمهم هو إرضاء الشهوة والغريزة على حساب العقل ، لذا اغتصب خالته ولم يلجأ إلى مبدأ التسامي ليجمح سلوكه الشاذ عن طريق هواية يمارسها بل طاوع لذاته .

وفي رواية خاتم الرمل توحي دلالة العنوان إلى الأثر النفسي متمثلاً بعقدة آوديب المتعلقة بشخصية هاشم من خلال علاقته بوالدته ؛ لأن الخاتم رمز الزواج والارتباط ، ووصفه بالرمل يدلُّ على عدم تحقيق هذا الأمر واستحالة حصوله ؛ لاستحالة إدخاله في الأصبع ، وإذا حاول إدخاله تهشم وتفتت ، فهو يدلُّ على تهشم علاقة هاشم بأية امرأة عدا والدته التي ظلَّ وفياً لحبها حتى بعد وفاتها.

وفي رواية اللا سؤال واللا جواب ترى الباحثة أنَّ بنية العنوان ترمز إلى الزنا بالمحارم ، كأن الشخصية المثقفة عبد الستار يوجه كلاماً إلى القارئ بأنْ لا يسأله عن دوافعه وغرائزه الجنسية المتوجهة نحو إبنة زوجته هيفاء ؛ لأنه حرّ في رغباته لذلك سوف لن يلقى جواباً لسؤاله .

- المثقف والزنا بالمحارم :

تشكل رواية بصقة في وجه الحياة بؤرة مهمة في إبراز ظاهرة الزنا بالمحارم وما احتوته على عقدة الكترا أيضاً ، ولعل الروائي ناقمٌ على هذه الأمور وعرضها لتجنب العمل بها ، ويبرز ذلك من خلال المقدمة التي كتبها بعنوان نص ملعون والنهاية المأساوية لشخصيته المثقفة التي مارست الزنا بالمحارم محاولاً بذلك الاصلاح الاجتماعي عن طريق كتاباته ، احتوت هذه الرواية على شخصية المثقف محيّ معاون الشرطة المتقاعد وهو متزوج وله ثلاث بنات صبيحة ، ساجدة، فاطمة كانت الأخيرة الحياة بالنسبة له وأُعجب بها ، فيقول : ((إني أراها أجنبية عني ، أُعجب بها لا كما أُعجب بابنتي ، بل بفتاة صغيرة جميلة تتفجر شباباً ورغبة في الحياة ... وليس غير [...] وهي تكلمني بصوتها العذب اللين كلاماً لم ينته يوماً [...] فإذا تكلمت تلاينت

بالألفاظ))[١] ، تسير الرواية حول إعجاب الأب بابنته فاطمة وهي أُولى بوادر الزنا بالمحارم لما وجدناه من الحوار الداخلي للشخصية، فنظرته إليها نظرة جنسية ، وليست نظرة أبوية ، تقوم على إعجابه بمفاتنها بحركاتها وبكلماتها ، وبكلِّ ما فيها ، لكنّه يخفي هذا الإعجاب ؛ لأن الظروف المحيّطة به لا تسمح بذلك ، أن ما يريده إطفاء لذته وشهوته الجنسية بابنته، ولا يرغب بممارسة غريزته بمحلها الصحيح مع زوجته بل مع فتاة جميلة كابنته فاطمة التي أثارته حركاتها وتصرفاتها ، فسببت له هذه الإثارة ، أن الأب لما يعانيه من هواجس نفسية ومشاكل في حياته جعلته مثقفاً مضطرباً نفسياً فمن السهولة أنْ ينقاد لهذه الإثارة الجنسية كما يقول فرويد : ((أنَّ الإثارة الجنسية تحدث بهز الجسم هزاً آلياً إيقاعياً، ويمكن أنَّ نميّز ثلاث طرق تحدث بها هذه الإثارة ، الجهاز الحسي للأعصاب الدهليزية ، والبشرة والأجزاء العميقة والعضلات والأبنية المفصلية)) [٢] ، وفاطمة هي التي شجعت والدها على اشتهائها وكان ذلك عفوياً ، وقد قامت بهذه الأفعال ؛ لأنها فتاة جميلة مدللة تحب أن تُظهِر جمالها بكلِّ شيء .

تُظهر الشخصية تفكيرها الغرائزي بحديثها : ((كانت تحتضن اللحاف بصورة شاذة كعادتها منذ كانت صغيرة ابنة أربع سنوات ، وكانت ساقها اليمنى عارية حتى نهايتها [...] اضطربت أنفاسي وتسارعت فرفعت نظري من ساقها إلى وجهها [...] فأنزلت عينيّ إلى صدرها فرأيتُ شق ثوبها يبدي قسما من نهدها القوي [...] فملكني دوار عجيب واتكأتُ على المنضدة))[٣] ، تستمر مظاهر (الزنا بالمحارم) بالظهور والانقياد إلى مبدأ (اللذة) ويقوم على تحرك (الهو) لديه الذي يحرك الغريزة الجنسية، وما يهمه هو الإطلاع على هذه المخلوقة والتمتع بجمالها ، ولا يهمه من تكون إذ أثارت عنده الشهوة ، ومن شدّة قوتها أصابه الدوار ، وهو دليل ضعفه أمام غريزته،

---

(١) بصقة في وجه الحياة : ١٧ .

(٢) في سبيل الموسوعة النفسية الجنس عند فرويد : ١٠٠ .

(٣) بصقة في وجه الحياة : ٢٢ .

فهو يصف ساقها ونهديها وشفتيها فهذا الوصف يتكرر عند التكرلي في جميع الروايات دون بقية الأعضاء لدى المرأة ، فنجد ذلك واضحاً من التفسير الفرويدي أن الثدي هو المصدر الذي يتناول من خلاله الطفل غذاؤه من الأُم ، وهو الذي يثير المحبة وأيضاً عندما يكبر وينفصل عن مصدر غذائه ، فهو يمرُّ بمرحلة الكبوت فهو يشعر بالحب تجاه الأشخاص الذين يقفون إلى جانبه ، وتكون علاقته بهم كما هي علاقة الطفل الرضيع بأُمه ، ذلك من خلال عناية الأُم به ، تحيطه باحاسيس وجدانية تصدر عن حياتها الجنسية ، فهي تهزه وتحضنه وتقبله ولكنها تجنبه أي إثارة[١] .

إنَّ التكرلي مال إلى وصف النهد في كلِّ رواياته ؛ لأنه مصدر الحبّ ومصدر الصلة بالحياة ، وبعد أنْ كان مصدراً لإشباع حالة الجوع أصبح وسيلة لإشباع الغريزة الجنسية ، فكان محيّ ميالاً للزنا بابنته ؛ لأنّه لم يجد الجمال لدى زوجته ، وبفكره الوجودي أباح لنفسه ذلك وانقاد لمبدأ اللذة .

تؤكد الرواية موقف محيّ ورغبته في ابنته فهو يصفها : ((ولقد أثار استغرابي ما بدأت ألاحظه في وجهها وفي جسمها وفي حركاتها ، فها شفتاها بتقوسهما وحمرتهما الصارخة تظهران مغريتين شديدتي الشهوة ، [...] لم استطع النوم حتى هذه الساعة من الليل ، كانت غريزتي الجنسية ثائرة ، ولقد صدمني هذا الأمر ؛ لظني بأنها على وشك الخمود إلا قليلاً ، فاقتربت قبل ساعات من الزوجة "العزيزة" ؛ إلا ان اشمئزازاً شديداً فاجئني وطردني عنها))[٢] ، مازال إعجاب محيّ مستمراً بابنته ، فهو دائم الوصف لما تحمله من مفاتن، فهو يساير غريزته الجنسية، ولا يقف بوجهها بل يطاوعها ؛ لأنّ همه الوحيد هو إشباع هذه الشهوة ، ذلك نتيجة لعوامل في طفولته أثرت عليه في حياته في الكبر ، كما يقول فرويد : ((إن الغريزة الجنسية عند الراشدين

---

(١) ينظر : ثلاث نظريات في الجنس : ١٦٧ .

(٢) بصقة في وجه الحياة : ٢٣ ، ٢٤ .

تنشأ عن تجمع عدد من دوافع الطفولة في وحدة واحدة وفي دافع له هدف واحد)) [١] ، إنَّ من عوامل داخلية عدّة لدى محيّ أثّرت في أنْ يتجه إلى هذا الاتجاه ، ومن ثم نجده يصف إبنته بأنّها موضع اللذة والاشتهاء فهو يصف شفتيها ؛ لأنها مصدر العاطفة والحب فالشفة مع الثدي تسد حاجة الطفل من الجوع والحُبّ ، وعند الكبر تسد حاجته من الحبّ والجوع الجنسي .

ويرى فرويد إنّ الحياة الجنسية لدى الأطفال تبدأ بـ(الشبقية الفمية) وهي في مرحلة مبكرة جداً ، وبذلك فهي مصدر الحب والحنان الذي يلاقيه الطفل من أُمه، أن الغريزة الجنسية هي بمثابة غريزة التغذية أي غريزة إشباع الجوع ، ولا توجد كلمة مقابلة لكلمة الجوع الجنسي ، لذا استعمل كلمة (الليبيدو) [٢] ، فهو يذكر عدم استطاعته النوم ؛ بسبب غريزته الجنسية التي لا يستطيع التحكم بها كما يريد ، فهو لا يستطيع النوم ، وذلك لقلقه بسبب عجزه الجنسي يقول : ((صدمني هذا الأمر لظني إنها على وشك الخمود)) وتتفق الباحثة مع نجاة تميم في كلامها فهي تقول : ((إن اضطرابه النفسي وعجزه الجنسي يجعلانه يعاني أكثر)) [٣] ، ويصف حالهُ عند اقترابه من زوجته بالاشمئزاز ؛ لأنه يعقد مقارنة بين ما تمثله الزوجة من قبح أو بعد عن الزوج وما تمثله هذه الفتاة فاطمة من جمال يرى فيها قمة اللذة والإشباع ، وتؤكد الرواية على عجزه الجنسي فمحيّ يقول : ((أنا الرجل المتزوج أن من الصعوبة بمكان أن أُشبع هذه الرغبة فحاولت .. إلا إنني فشلت لم يشعر بفشلي أحد، فكثيراً ما رقدت بجوار زوجتي ساعات دون أن يخطر لها إنني أُحاول عملاً فلا استطيعه)) [٤] ، من هنا تستطيع

---

(١) ثلاث نظريات في الجنس : ١٨١ .

(٢) ينظر : المصدر نفسه : ٢٦ ، ١٨٤ .

(٣) فؤاد التكرلي وسر عقدة أوديب ، نجاة تميم ، الحوار المتمدن : ٢٠١٢/٢/٢٠ :
www . ahe war or .

(٤) بصقة في وجه الحياة : ٢٧ .

الباحثة أنّ تنطلق معززة رأيها في عدِّ المثقف لا يتقبل زوجته ، وهو يتجه إلى هذه الفتاة فاطمة . أنَّ هذا الفشل الجنسي قد أثّر على الشخصية كثيراً فسبّب لها القلق والخوف ، وربما اتخذ (الروائي) من فشل محيّ جنسياً رمزاً إلى النقص ، بأن الإنسان ليس كاملاً ؛ لأن العملية الجنسية هي المصدر للتكاثر وضعفه جنسياً قد يدلُّ على أن الأشخاص الذين يمارسون (الزنا بالمحارم) ما هم إلا فئة قليلة وضعيفة في المجتمع ، وأنَّ ظاهرة الشذوذ الجنسي موجودة وفي كلِّ المجتمعات ولكن باعداد قليلة ، تجدر الإشارة إلى الهدف الذي يروم محيّ تحقيقه فيقول : ((هنالك أمامي الشيء الذي أبحث عنه ، ولقد اضعته زمناً ولا أزال كذلك بفرق واحد هو إنني في إثره الآن ، ولن أفقده مطلقاً هذه المرة)) [١] ، هنا يشير إلى هدفه الذي يسعى إلى تحقيقه من أجل إشباع رغباته التي تركها حقبة طويلة من الزمن ؛ لأمُور داخلية في وعيه منعته منها ، أمّا بعد التخلص من هذه الأمور فوجد نفسه أمام هدفه (إشباع غريزته الجنسية) فهو مصر على تحقيقه منقاداً إلى عنصر الهو الصوت الداخلي يناديه لإشباع لذته تاركاً الأنا الأُمور العقلية التي تتحكم بالهو بدوافعه الداخلية ، والأنا تجعله مقبولاً في الواقع الاجتماعي، لكنه ثائرٌ على هذه الأنا ويستعمل أنانيته بالتوجه نحو اللذة وتحقيقها ، وهي تؤدي إلى الانحراف الجنسي في المجتمع .

نلحظ أنَّ محيّ يصور نفسه الجامحة التي تميل إلى الزنا بالمحارم فيقول : ((واخذت كالذئب أفكر في نفسي وفي الرغبات التي تجول فيها))[٢] ، هنا يعترف محيّ بأنه يحمل بداخله مشاعر غرائزية ، وهي تحيل على شبق جنسي بدلالة حيوانية، فهدفه الحصول على فريسته وإشباع غريزته غير مبالٍ بالفريسة وما يحدث لها ، فتسيطر عليه

---

(١) المصدر نفسه : ٣١ .

(٢) بصقة في وجه الحياة : ٤٢ .

الأنانيـة وحـب الـذات ، التـي أعمـت بصـيرته عـن الشـعور بـالآخرين، فـالمثقف هنـا مضطرب نفسياً همه مصلحته الخاصّة وليست مصلحة الاخرين .

وتتجلـى آثـار ظـاهرة (الزنـا بالمحـارم) واضـحة فـي الروايـة مـن تصـرف ابنتـه صبيحة فمحيّ يتحدث عنها عندما كانت بمفردها في المنزل وهي ترتدي ثوباً ملتصقاً على جسدها بصورة شاذة ، وحاولت لفت انتباه والدها ليرى جمال جسدها ، فراح ينظر إليها مرات عدّة ، ومن ثمَّ غضَّ النظر عنها منتظراً ابتعادها عنه ، لكنّها جلست قربه ملتصقة بجسدها الساخن بأعلى ساقيه فحاول الابتعاد عنها ، إلا أنّه شعر بالقلق اللذيذ والخوف الرائع ، وكذلك يصف رائحة عرقها ممزوجة برائحة العطر ، وبذلك أثارت لديه الرغبـة الجامحـة وحـاول الابتعـاد عنهـا ، لكنّهـا نادتـه ليفـك لهـا عقـدة الحمالـة وكـان الغرض إشباع لذتها ، وقد ابتعد عنها في اللحظات الأخيرة قائلاً لو فعلت ما تريد لما لامني أي أحد ؛ لأنّ الجميع يعلم إننا حيوانات[١] .

تبرز هنا ظاهرة جديدة من ظواهر الزنا بالمحارم وهي عقدة الكترا التي تمثلت بابنة محيّ ومحاولتها إغراء والدها وإشباع لذتها عن طريقه ، فإن عقدتها هذه ارتبطت بمسألة نفسية ، أنَّ البنت تحب والدها منذ الطفولة ؛ لأن الأطفال عند الولادة تولد معهم الغريزة الجنسية وتنمو مع الكبر فهي تحب والدها وتغار من والدتها لما تجده من مشاركتها لها بحبيبها ، وعقدة الكترا لا تزول عند الكبر بل على العكس تزداد ، ومن غير الممكن أن تمتلك والدها ، وأنَّ غيرتها من والدتها تقربها من والدها ، وأنّها تكون ذات شخصية وقحة سليطة ، وهذه العقدة تنمو من خلال الإفراط بالمحبة والدلال من قبل الوالدين فيؤدي إلى إبراز الغريزة الجنسية بصورة مبكرة ويتوجه بها نحو الأشخاص الذين أحبهم في الطفولة فـ(الليبيدو) يُمارِس الجنس مع المحارم ، أما إذا لم يفرط في الدلال فيحسن اختيار الارتباط جنسياً ولا يتصل بالمحارم ، فنظراً للمخاصمات التي

---

(١) ينظر : المصدر نفسه : ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ .

تحدث بين الوالدين والزواج غير السعيد يؤدي إلى المرض العصابي ومن ثم الاضطراب الجنسي[١] ، مما أدى بصبيحة للتوجه نحو هذا السلوك (الألكتري) إذ انطلقت من مبدأ الهو لإشباع لذتها وإنْ كان والدها ، لتخفف من التوتر لديها بالرغبة في الزواج أما محيّ فتحكم به مبدأ الأنا فتصرف بايعاز من العقل ليكون سلوكه مقبولاً اجتماعياً وموقفه ، هذا يناقض موقفه مع فاطمة الذي انقاد لمبدأ الهو لإشباع لذته ، فهذا يدلُّ على أنه مثقف غير ثابت الأفكار.

نقف عند مظهر آخر من مظاهر الزنا بالمحارم يتذكر محيّ حادثة قتل الشيخ لزوج ابنته فهو يقول : ((حادثة ماضية كنت حققت فيها عندما كنت مأمور مركز في احدى نواحي أربيل كان المتهم شيخاً جاوز الخمسين [...] وكان قد سيق إلى المركز بعد شروعه بقتل زوج ابنته ، حين حاول هذا الأخير منع الشيخ المذكور من معاشرة ابنته أي زوج المجني عليه)) [٢] ، يبدو هذا الشيخ صورة لمحيّ فهو سار على أثره بعد أن كان يُعيب تصرفه وشعر بانتصاره على كبرياء هذا الشيخ بعد معرفته الحقيقة ، أنَّ محيّ ما هو إلا نسخة عن هذا الشيخ الذي قتل زوج ابنته ؛ لأنّه كان عائقاً دون اتصاله الجنسي بابنته الفاتنة التي كانت قمة اللذة الجنسية في تفجير هذه الغريزة وإفراغها في المحارم ، فيتولد لديهم سلوك عدواني تجاه كلّ من يقف بوجه هذه الغريزة ، فتكون لذتهم مثل السيل القوي الذي يحطم كُلّ من يقف أمامه ، فهم لا يترددون عن القتل لمواجهة كُلّ من يتحداهم فمحيّ مثقف اختار الحرّية في تصرفاته وشهواته ولا يبالي لأيٍ كان ، وما محيّ إلا امتداد لشخصية هذا الشيخ فهو يقول : ((كنت ميتاً رغبة فيها ، وكان الأهل جميعاً يتوقعون أمراً مجهولاً، لكنهم لم يفهموا قط ، لماذا كنت أصرخ فيهم[...] قضيت أنا بمفردي بصقت على قيودي فنثرتها أشلاء ، قتلتها قبل

---

(١) ينظر : ثلاث نظريات في الجنس : ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٦ .

(٢) بصقة في وجه الحياة : ٨٠ .

دقائق ، خنقتها بهاتين اليدين وهذه الأصابع التي أراها تدب على الورق ، لم يكن لي مفر من ذلك ، أبت إلى آخر نفس كان لها في الحياة ، ولقد توقعت منها أن تأبى بعد ذلك ولكن ...)) [١] ، إنَّ محيّ انتصر على الوازع الداخلي لديه وتوجه نحو ابنته في محاولة إشباع شهواته والتخلص من القلق الذي سكن داخله تجاه إعجابه بها ، فتوجه نحوها وحاول اغتصابها ؛ لأنّه كما يقول إنّنا حيوانات والمهم إشباع لذته ولا شيء غيرها وتحطيم من يمنعه ، فقد منعته ورفضت أنْ يتصل بها جنسياً ؛ لأن هذا الأمر لا تتقبله النفس الإنسانية ، ولا الأديان ، ولا المجتمع ، ففضلت الموت على يديه على أنْ تطاوعه في رغباته وهو فضل موتها على أنْ تكبح هذه الشهوة واللذة التي طالما انتظرها ، وأنَّ موقف فاطمة على العكس من موقف صبيحة فهي ترفض فكرة الزنا بالمحارم على الرغم من إنّها عاشت في البيئة الأسرية نفسها ، ولكن فاطمة اطلعت على العالم الخارجي واختلطت بالمجتمع ، فانفتح تفكيرها واكتسبت شيئاً من الثقافة ، أما صبيحة فبقيت تحت تأثير الجو الأُسري لذلك أرادت الاتصال بوالدها جنسياً فموقفه منها رافض نتيجة لوازع داخلي، أما موقفه من فاطمة على العكس من موقفه من صبيحة ؛ لأن جمال إبنته قضى على كُلّ وازع داخلي لديه فانتصر الهو على الانا لديه ؛ لأن الشخص عندما يجد عوامل خارجية مؤثرة فيه بصورة كبيرة ، ينتصر على الوعي الذي بداخله ويتوجه نحو الشهوة ، فإن طريقة كلامها وتصرفاتها بالخروج مع الشباب أدى إلى تشجيعه على هذا الفعل ، وهي كانت تعاني من القلق الأخلاقي : وهو أن يشعر الفرد بالذنب من عمل معين قام به لا يُرضي الوالدين لِذا يشعر بتأنيب الضمير والخوف من عقابهما[٢] ، ولكن انتهى بها المصير أنْ تُصبِح ضحية سفاح المحارم والدها الذي انقاد لغريزته تاركاً إياها جثة هامدة .

---

(١) بصقة في وجه الحياة : ٩٣ ، ٩٥ .

(٢) ينظر : أصول علم النفس الفرويدي : ٨١ .

إنَّ التعليم يحدُّ من العملية الجنسية ويعمل مثل الحاجز يحول بينه وبين الزنا بالمحارم؛ لأن القوى العقلية هي التي تقوم بتعطيل الغريزة الجنسية ، ولكن هذا النمو في الواقع أمر محدد وثابت من الناحية العضوية عن طريق الوراثة[١] ، ولذلك كان محيّ منقاداً من خلال تصرفاته بعوامل داخلية وراثية ، ولم يمنعه التعلم من ذلك ، أنَّ العقل لم يمارس وظيفته في المنع ، ولكن ترك المجال للغريزة والعوامل الوراثية ، فهذا يدلُّ على أنَّ الزنا بالمحارم واقع منذ القدم وفي كلِّ المجتمعات .

إنَّ محيّ استلب ابنته جسدياً ، فضلاً عن استلاب المجتمع لها بتفضيل الرجل عليها ، أي أنَّ المرأة عانت حالة الاستلاب من المجتمع الذكوري ، وسبب هذا الاستلاب هو جسدها .

بعد أنّ عرضنا محاولة اغتصاب محيّ لابنته فاطمة وهي محرمة عليه، نجد ما يقابلها في رواية (اللا سؤال واللا جواب) من إعجاب الشخصية المثقفة عبد الستار بابنة زوجته هيفاء وهي بمثابة إبنته ، فعلى الرغم من خفوت ظاهرة الزنا بالمحارم في هذه الرواية ، إلا أن الروائي أشار إلى بعض البدايات لها ، وهو إعجابه بهيفاء لكنه لم يلبِ نداءه الداخلي ولم يتبع مبدأ الهو بل ما تحكم به هو الأنا أي مراعاة المجتمع وتقاليده على العكس من محيّ الذي انقاد للذته ولم يبال لتقاليد المجتمع .

إنَّ بروز بدايات هذه الظاهرة من إعجاب عبد الستار بهيفاء الفتاة الجميلة التي كانت تشبه والدتها في سن الشباب ، فيعجب بمفاتنها ، ولا يتحمل وجودها بقربه من دون أنّ يفعل أي شيء ، ففي حالات الغيبوبة التي كانت تحدث له تكفلت هيفاء بعملية ربطه حفاظاً على سلامته ، وذات مرة ربطت الحبل بقوة : ((طلب برقة من هيفاء أن تخفف من ربط الحبل على كتفه اليمنى ، فقد شدّتها بقوة أكثر مما يجب ، كان وجهها متوردا محمراً وشعرها الأسود الكث يتناثر على كتفيها وحول وجهها ،

---

(١) ينظر : ثلاث نظريات في الجنس : ٩٧ .

مالت عليه فأخذ فخذها اللين ينام على ساقيه وأحسَّ ببطنها تلتصق بجانبه، أخذت ببطء شديد ترخي الحبل حول كتفه وقد اقترب وجهها من وجهه لم يدر خلال لحظات ، وهو في خضم ارتجاف لم يعهده قبلاً كيف رفع رأسه وقبلها في خدها ، كان ناعم الملمس طرياً ابتسمت ثم قبلته هي الأُخرى من وجنته))[1] ، إنَّ تجليات الظاهرة في النص السابق ، وعمقها يظهر لنا بوضوح أنّ هذه الشخصية تعيش حالة من الابتعاد عن الواقع ؛ لأنّه لا يرى في زوجته ما يمكن أنْ يشبع رغبته أو لأنْ الواقع قد صهره صهراً وأثقل عليه ، فكان الاتجاه إلى إبنة زوجته من باب امتعاضه من الواقع وتحميله الآلام التي يعانيها ، أنَّ طبيعة العلاقة بين هذه الفتاة وبين عبد الستار تشهد مداً وجزراً وكأن هناك أصابع خفية تحرك هذا العالم ، ولفرط إحساس عبد الستار بالفراغ فإنّه يتجه إلى إشباع رغبته من هذه الفتاة ولو عن طريق النظرة أو الملامسة مكتفياً بذلك ؛ لأنّه لا يريد أنْ يجعل العلاقة تتطور ثم تنتهي نهاية يمكن أنْ تبعد عنه الفتاة من خلالها ، ونظراً لثقافته فهو يجعل عقله من يتحكم به وبغرائزه الجنسية ، أي يربط الهو مركز اللذة بـ(الأنا) لإخراج سلوك ملائم مع الواقع في المجتمع ، وأن نوبات الغيبوبة التي تنتابه يبتعد بها عن العالم الذي يعيشه ويدخل في عالم الخيال ، ويحاول التخلص من هذه الحالة لكن بصعوبة بعد أن تحاول زوجته وبناته من إيقاظه ، أنَّ هذه الحالة هي دليل على انهزامية الشخصية وعدم مقدرتها في مواجهة الواقع أو التعايش معه ؛ لأنه لا يلبي حاجاتها وتلقيها مصاعب الحياة ؛ لذلك هربت إلى عالم الخيال ، وأصبح هذا العالم هو المهيمن عليها كلما ازدادت أزمتها .

أمّا حالة النوبات الجنسية الشديدة التي تنتابه فجأة مع زوجته فهي وسيلة للشعور بالانتماء إلى هذا العالم والمقدرة على البقاء فيه بكلِّ ما يحمله من قسوة على عبد الستار ، وهو يعدّ اتصاله الجنسي بزوجته نصراً على هذا العالم القاسي ؛ لأنَّه

---

(١) اللا سؤال واللا جواب : ٨٢ .

يفعل ما يريد وبكلِّ حرّية دون قيود وحدود ، وأنَّ اتصاله بالمرأة يعد قمة الاتصال الاجتماعي ؛ لأنها النصف الثاني في المجتمع ؛ لذا فإن اتصاله بالمرأة هو الوسيلة التي تعيد ارتباطه بعالم الواقع ، فهي تحمله من عالم الخيال إلى عالم الحقيقة.

إنَّ المثقف في هذه الرواية يهرب من عالم الواقع للتخفيف من ألمه إلى عالم الغيبوبة الذي أصبح حالة مَرَضِيَة مصاحبة له ؛ لأن التكرلي وجد هذه الحالة أفضل للمثقف من العيش تحت ظلم المجتمع وقسوته ، أمّا بقيت رواياته كانت الخمرة هي الوسيلة للهروب من الواقع وتخفيف الألم ، وبما أنَّ حالة الحصار وقلّة المال لا يمكن للروائي أنْ يجعل المثقف يهرب من الواقع عن طريق الخمرة ؛ لذلك اختار له حالة الغيبوبة .

أمّا رواية (خاتم الرمل) فتتجلى فيها (عقدة أُوديب) التي تقود منُ أصيب بها إلى الزنا بالمحارم فنجد التكرلي جعل الشخصية المثقفة هاشم تُعاني من (عقدة أوديب) لكن الأُم الحبيبة قد ماتت قبل أن تتضح الشخصية المثقفة هاشم ويحدث أي شيء ممّا يقوده إلى (الزنا بالمحارم) مع والدته فهو كان إبنُ تسع سنوات .

كانت شخصية هاشم ناقمة على جنس النساء ظاهرياً وترفض الاتصال بهن، وأنَّ أُعجب باحداهن إلا أنّه يقاوم ذلك الإعجاب ، ولا يحاول الاتصال بأية واحدة منهن ، إذ إنَّه ترك خطيبته آمال وذلك وفاءً لحب والدته التي يجدها الوحيدة التي تستحق ذلك الحب ، وأنَّه على الرغم من إعجابه بالدكتورة سلمى إبنة عم آمال إلا أنَّه لم يحاول التعرض لها ؛ لأنَّه كان يجد النساء في عالم معزول عن عالمه الخاصّ الذي كان يضمه هو ووالدته سناء فقط التي أعطاها الروائي هذا الاسم وهو الرفعة والسمو ليخصها عن بقية النساء ، وترفعها عليهن بحسب نظرة ولدها هاشم ، ولعل اتجاه هاشم إلى حبِّ والدته ؛ لأنها الوحيدة التي حنّت عليه وأشبعته حباً مما جعله يتعلق بها تعلقاً شديداً .

يذكر هاشم قسوة والدهِ على والدته فعندما يتشاجران يختبئ فيقول : ((إذ تبحث عنّي بخطواتها المضطربة فتلقاني – أو لا تلقاني – مختبئاً في زاوية من الدّار ، فتمسك بي تحتضنني بشدّة إلى جسدها النحيل ، فينتقل إليّ ارتجافها وذعرها المستور ونداوة عرقها المتسايل ويأسها)) [١] ، إنَّ هاشم يصف الشجار بين والديه ، والفرق بين قسوة والده وحنان أُمه ، فهي كانت تعلم بخوف ولدها ولا يهمها أي شيء سوى أنْ تَلقَى ولدها وتزيل منه الخوف والرعب ، ويصف خطواتها من لهفتها للوصول إليه بأنها خطوات مضطربة غير معتدلة من شدّة شوقها للوصول إلى ولدها الحبيب .

إنَّ العلاقة المبنية على الشجار بين الزوجين كما ذكرنا سابقاً تؤثر على النمو الجنسي المضطرب لدى الابناء ، وبالتالي تؤدي إلى عدم القدرة على اختيار شريك الحياة بالمستقبل وهذا ما نجده فعلاً عند هاشم في أنَّه لم يستطع اختيار شريكة حياته، إذ أنَّ آمال التي اختارها تركها في يوم الزواج ؛ لأنّها لم تكن حبيبة لتحلَّ محل والدته، وتعطيه الحبَّ الذي عاشه معها .

تظهر الرواية اضطراب الشخصية المثقفة ووالدتها وخوفهما من المستقبل المرعب ، فيقول هاشم : ((أيامنا معاً مهدّدة منذ البداية ، وكنا نحسُّ ، أنا وهي ، بخطر يكمن في ركن مظلم من العالم ، يتحفّز كالوحش لافتراس أوقاتنا الجميلة))[٢]، يشعر هاشم بالخوف والقلق الذي يهدد حبهما والبقاء معاً ، وهذا الشعور نابع من (عقدة آوديب) خوف الصبي من والده بعد قبوله بعلاقته مع والدته، وأنّه لا يرضى بهذا الحبّ الذي اشتركا فيه معاً ، لأنهما كانا ضعيفين تجاه والده، مما جعله يشترك بالكثير من الخيارات مع والدته ، وفعلاً قد تحقق المصير القاسي ففقد توفيت والدته وتركته وحيداً يعيش على ذكراها ، أنَّ هذا العالم لم يتركهما ليعيشا معاً إلى الأبد بل

---

(١) خاتم الرمل : ٢٠ .

(٢) خاتم الرمل : ٢٠ .

ماتت (والدته) في سن (الحادية والثلاثين) ؛ لأن والده بأفعاله استلبها منه إلى الأبد ، فهو يصف العالم وبما فيه والده يتحين الفرصة لأقتضاض لحظاتهم الجميلة ، وما هذا العالم إلا وحش كاسر يقضي على كلِّ شيء جميل .

تبرز الرواية مؤشرات واضحة لـ(عقدة اوديب) من خلال وصف هاشم لجلوسه مع والدته لمراقبة الشمس عند المغيب فيقول : ((نجلس بسكون ملتصقين أمام الزّجاج الرّائق ، نتملّى من رؤية ملكة النّهار تمارس بجلال طقوس الاحتجاب اليومي)) [١] ، هو يصف جلوسه مع والدته ملتصقين أي مرتبطين مثل العاشقين ، في عالم يصفه كأنه عالم الخيال وهما في هذا العالم من الحبِّ ، لا يمكن أن يظهر على أرض الواقع ، وقد فضل وصف حياتهما بالحلم ؛ لأنه أراد أن لا يعود إلى عالم الواقع وذلك لغياب والدته عنه ؛ لذا أراد أن يبقى في عالم الخيال ؛ لأنه افتقد المتعة في هذا الواقع الذي لم يعدّ يشعر معه بأية عاطفة بعد وفاة أُمه .

يصف استحواذ والدته عليه لشدّة حبها له فيقول : ((وكانت أُمي سناء تبذل جهدها كي نبقى أنا وهي ، في زاوية أو ركن لا يشاركنا فيه أحد ، كنت أميل إلى الدّخول في حلبة الآخرين ، لكنها كانت تستحوذ عليَّ وتغرقني بحنان وحبّ لا فكاك منهما [...] ووالدي ينادي منتظراً قرب الباب الخارجي دون فائدة لم تكن تريد أن أُفارقها أو يشترك آخرون في العناية بي)) [٢] ، يبين النصّ محاولة هاشم الارتباط بالآخرين لكن والدته لتعلقها به لم ترضَ بذلك حتى أنّها أبعدته عن والده ؛ لأنّها كانت تشعر بأنَّه ملكها وحدها فقط ، وإنَّ حبه لها فقط ولا حقَّ لأحد أنْ يسلبها ذلك الحبّ وأنْ كان والده ، وبذلك عاش هاشم بعيداً بمشاعره عن والده وعن الآخرين ، فهي كانت السبب في عزلته عن الآخرين وعن آمال في المستقبل ، فقد جعلته والدته يتعلق بها

---

(١) المصدر نفسه : ٢١ .

(٢) خاتم الرمل : ٥٩ .

حدِّ الجنون فيجدها الأُم ، والحبيبة ، والصديقة ، وهذا الحبُّ يؤدي إلى تقمصه فعل والده وتتملكه الغيرة منه وقد تتطور الحالة إلى الرغبة في الممارسة الجنسية مع والدته ويشعر بالعداوة مع أبيه ، ورفض هاشم للزواج وذهابه ليلة زواجه إلى زيارة قبر والدته دليل على أنَّه لا يرغب في ممارسة الجنس مع أية فتاة، بل الحقّ برأيه أن يكون ما يحمله من حبٍّ وحنان ورغبة جنسية هو فقط ملك لوالدته فشعر بخيانته لأُمه وتركهِ الاخلاص لحبها ، وذلك بزواجه ؛ لذا قرر ترك آمال والذهاب إلى حبه الحقيقي والدته .

يستمر هاشم بموقفه المعزول عن العالم ، وحنينه إلى والدته فقد لجأ لسماع (ليليات شوبان) [١] في محاولة لنسيان الواقع المرّ ؛ لأنَّه كان يجد في هذا النوع من الموسيقى العزاء والسلوى ، ((فمثلاً الشخص الذي يحب قصائد شكسبير الغزلية وأشعار وليمان وموسيقى تشايكو فسكي ورواية (بروست) فهو تعبير عن حنين للجنسية المثالية فإنهم لم يكن بوسعهم أن يحصلوا على إشباع تام لرغباتهم الجنسية في الحياة الواقعية فقد تحولوا إلى ابتكارات خيالية)) [٢] ، إنَّ سماع (هاشم) لـ(ليليات شوبان) يدلُّ على حنينه لإشباع رغبته الجنسية لكن حبّه لوالدته يمنعه من ممارسته بصورة طبيعية ؛ لذلك لجأ إلى هذا الاتجاه للتخفيف من حدة رغبته ، يستمر هاشم باعتقاده بأنَّ والدته مازالت بقربه وتزوره في محنة ، فيتذكر أنَّها أتت لزيارته عند مرضه فيقول : ((امتلأت روحي وفاضت سروراً ومحبة وعرفاناً بالجميل ، هي ذي إذن قد اجتازت العقبات ووفت بعهدها ، وها هي من وراء الأحجار والمطر والرّيح تمسك بيدي وتؤكّد ليّ بأنَّ حبّها هو الحياة والخلق واللاّ نهائي ، وأنيّ أنا الكون وما سيكون وما لا ينتهي ...))[٣] ، ويذكر هاشم والدته بأنَّها قد جاءت لزيارته كما وعدته بأنَّها لن تتركه أبداً ، وقد

---

(١) ينظر : المصدر نفسه : ٧٤ .

(٢) أصول علم النفس الفرويدي : ٩٨ .

(٣) خاتم الرمل : ١٠٥ .

تجاوزت كُلّ الظروف والمصاعب كي تصل إليه ، وهي تمسك بيده أي إعادة حبّهما لعهده (الحب الأوديبي) وتؤكد له بأنَّ حبّها هو الحياة بالنسبة له ، فهو يحبُّ لأجل حبّها والخلق واللا نهائي ، أي لا نهاية لحبهما معاً ، وأنَّ هاشماً هو الكون الذي يحيا فيه هذا الحبّ وما سيحدث وما لا ينتهي أي هو المستقبل غير المنتهي لحبهما ، أنَّ شدّة حبّه وولهه بوالدته جعله لا يجد سوى حبّ والدته ؛ لذلك كانت الفاصل المانع للارتباط بالآخرين لاسيّما الزوجة ، يتحدث هاشم عن عمله الهندسي فيقول : ((أسرعت إلى مكتب أضع عليه بعض الأوراق والخرائط ، فجلستُ متحمّساً وأمسكت بالقلم ثمّ خطّطت بعض المنحنيات الملتفة التي لا تحوي أية خطوط حادة أو منكسرة ، أردت أن تتّحد الجدران فيما بينها أنْ تتحاضن وتتماسك بالأيدي لا أنْ تتخشّب واحداً جنب الآخر)) [١] ، وهاشم الفنان المثقف يتعامل مع مهنته المعمارية بحسه الفني ؛ ولذلك تتسرب إلى أعماله مكبوتاته ، إذ يرسم الجدران بصورة متحاضنة ممّا يدل على رغبته بأن يبنى هذا العالم على الحبِّ وتدمير كلّ قسوةٍ وطردها من الحياة ، فهي تعبر عن خوالج نفسه ، وهي دليل على التسامي كما يُعرف : إنَّ الموضوع أو الوسيلة هو الهدف الذي يخفف التوتر وإنْ كان موضوع إشباع الغريزة غير مهيأة تلجأ إلى اختيار موضوع بديل لتخفيف التوتر [٢] ، وقد استحوذ عليه العمل الهندسي، وكأن هذه الخطوط الهندسية تمثل لديه طابعاً ، أو مَعْلَماً ، أو واقعاً جيداً ، وهو بأمس الحاجة إليها لما فيها من جمال وحبّ ، إذ تمثل حبه وعشقه لوالدته التي لم يجد عنها عوضاً ولا في خطيبته التي هجرها ، فأخذ يتفنن في رسم المخطوطات الهندسية ويضفي عليها شيئاً من حالته النفسية التي كانت تحلم بالهناء والراحة ، وأنْ تذكره دائماً لاحتضان والدته له ، جعل تصميماته الهندسية للجدران تتحد فيما بينها تتماسك

---

(١) خاتم الرمل : ١٠٧ .

(٢) ينظر : أصول علم النفس الفرويدي : ٩٣ .

وتتحاضن بالأيدي ، أي أنَّ مشاعره أثرت على تصاميمه كما في المقولة التي تنصّ: ((تأثير عاطفة الحب في الخلق الفني))[١]، إنَّ سبب ذلك الإبداع هو تأثير حبّ والدته عليه والاستمرار بحبِّه لها .

تؤكد الرواية الحبّ المتبادل بين هاشم ووالدته ، هنا يذكر هاشم ذات مرة سمع صراخ والديه جراء مشاجرة بينهما وإنَّ أُمه قد لحقته وقالت له : ((لا عليك ، لا عليك أنت يا حبيبي ، لن ينال منّي ، أبداً أبداً ، أنت ملاكي يا بنيّ وأنا مثلك أنت لي ، أنت لي ، ولن أكون لأحدٍ بعدك ، أكانت تلك هي كلماتها حقاً ؟ أم أني أتذكّر ، هاذياً مثلها ؟))[٢] ، يذكر هاشم المشاجرة بين والديه كالعادة ولكنّه عندما سمع الصراخ لم يكن صراخ والده ، فهو يصفه بأنَّه الرجل المطعون في قلبه أي أنَّ والدته هي التي طعنته ، ذلك ربما برفضها له ، لأنَّها منذ ولادتها هاشماً جعلت نفسها ملكاً لهاشم وحده ليس لغيره ، ويتضح رفضها زوجها بكلِّ ما فيها من قوى ، وترفض أنْ تعيش معه زوجاً لها وله حقوقه ، فهي تقول : "لن ينال مني أبداً – أبداً"، فهي تؤكد بعدم نيله منها بكلمة أبداً ، أي أنّها تحرم نفسها على والده وتجعلها ملكاً لولده فقط طفلها ، ملاكها ، حبيبها ، فهو لها ليس لأحد غيرها ترفض أنْ يشاركها به أي أحد فتقول : (لن أكون لأحد بعدك) أي إنّها ملك لهاشم فقط ولا أحد يملكها غيره .

بعدها يذكر هاشم هل كانت تلك الكلمات التي يتذكرها كلماتها حقاً أم هو يهذي مثل والدته ولا صحة لهذا الكلام ، فهذا التشكيك في الكلام ربما بوصفه يتعجب من حبِّ والدته العشقي الشديد له وحبه لها على الرغم من أنّها والدته وكلما تَذَكر كلمات والدته أصبح أكثر تمسكاً بها وبذكراها .

وبخصوص شخصية هاشم يقول علي حاكم : ((هذا الخليط المحيّر من الصور المتنافضة يزيدها هاشماً التباساً في عقله ، ويجعله غير واثق من سير تفكيره ،

---

(١) طريقة التحليل النفسي والعقيدة الفرويدية ، رولان البيز : ٣٨٤ .

(٢) خاتم الرمل : ١٣٦ .

والتكرلي يظل بمهارة محافظاً لهاشم حتى النهاية على التباسه وغموضه (الدستوبفسكيين) ظل هاشم ذو الحادية والثلاثين ، وهو نفسه عمر أُمه حين توفيت ، الغنى ورثه عن أُمه ثروة جيدة ، وصاحب المنزلة الاجتماعية الرفيعة ، والمهندس عاشق الموسيقى ، ولكنه المتوحد ، ظل مشدوداً بخيط مشيمي لطبق أُمه ، وقبرها إن صورة الأُم التي تظهر الرواية في أحداثها الأخيرة قد تهدف إلى تقديم تفسير لشخصية هاشم نفسه ليكتسي ما درج عليه هاشم من تفسيرات ومواقف ثوباً جديداً))[١] ، إنَّ هنالك دوافع عدّة ؛ لأن لا يرتبط هاشم بأي امرأة ، من هذه الدوافع تعلقه بأُمه هذا التعلق الذي استحوذ عليه ، حتى بعد وفاتها مما جعلها تبدو لديه رمزاً لا يمكن تدنيسه بالزواج ، ثم أنَّ هاشماً يشعر بداخل نفسه بضعف عارم يحويه ؛ لذا كان عدم زواجه يرجع إلى كونه لا يريد أنْ يكون مع الزوجة مؤلفاً لثنائي ضعيف .

نقف على انموذج آخر لزنا المحارم ، ذلك الذي يمثل بعداً رمزياً في تصورنا ، ففي رواية (الرجع البعيد) نجد شخصية جاهلة غير مثقفة هي عدنان ترتكب الزنا بالمحارم لشخصية مثقفة وهي منيرة وبأسلوب متوحش ، على العكس من رواية بصقة في وجه الحياة التي حاولت فيه الشخصية المثقفة محيّ من اغتصاب ابنته فاطمة وهي شخصية غير مثقفة ؛ لكنّها لم تخضع له ولم يستطع تحقيق غايته ، إن الروائي يذكر حادثة اغتصاب منيرة بأنها مأخوذة من الواقع وليست خيالاً ، أي أنَّ هذه الظاهرة موجودة في المجتمع العراقي حقيقةً ، سواء بدرت من أشخاص غير مثقفين أو أشخاص مثقفين ثقافة بسيطة ، وأن الغرائز تتحكم بالمثقف الاعتيادي الذي لا تكون ثقافته من العمق ، بحيث يمكنه أنْ يبني مواقف من خلالها مما جعلها موجودة على أرض الواقع[٢] ، ولكنهُ يُحَمِلَها بعداً رمزياً .

---

(١) المجتمع اللا اجتماعي ، دراسة في أدب فؤاد التكرلي : ١٠٨ .

(٢) يقول (فؤاد التكرلي) : ((وفعل اغتصاب ، سفاح المحارم ، هذا لم يكن ابتداعاً من فراغ ، فهو كان حدث فعلاً ، ولكن في مكان آخر وظروف أُخرى ، وعن ذلك يكتب التكرلي : التقيت أحد معارفي في

تسجل الرواية هذه الظاهرة عن طريق ما يرويه الروائي على لسان شخصيته أُم مدحت ليبين صلة القربى بين كُلّ من عدنان ومنيرة فهي تقول : ((هذا الطارق المجهول هو عدنان إذن ، عدنان ابن مليحة ، مليحة أُخت منيرة ، مليحة أُمّ عدنان))[١] ، يبين (الروائي) صلة القرابة الموجودة بين عدنان ومنيرة فهو إبن أُختها وقد قام باغتصابها من أجل إشباع لذته وهي خالته فبانقياده لمبدأ الهو المسيطر عليه قام بهذا الفعل .

إنّ عدنان : ((مراهق مستهتر ، فاير دمّه لا شغل لا عمل سيّارة تحته ورايح لبغداد وراجع لبعقوبة وهلمّجرا شكو عنده ؟))[٢] ، يشير الروائي إلى مغتصب منيرة الشخصية المثقفة من قبل شخصية جاهلة، فيحملها الروائي أبعاداً أُخرى وهي اغتصاب الثقافة من قبل الجهل ، أي أن الجهل هو الأقوى في تلك الحقبة وعلى الرغم من ذلك ؛ إلا أن الثقافة تستمر بالوجود وتقاوم الجهل فيمثل الجهل بعدنان ، فيصفه شاباً غير واعٍ فهو مراهق عمره سبعة عشر عاماً ، وقد ترك الدراسة للترف العائلي وعدم الانضباط ، وانشغل بملذاته وقد انتمى إلى أحد الأحزاب وهو شاب مستهتر مترف العيش لا يأبه لأي أحد حتى لأخوته ، فهو قاسٍ وإن هذا الجهل وعدم التعلم ساعده في الاندفاع وإشباع حاجته الجنسية بوصفه حيواناً هائجاً لا يهمه أي شيء .

ذات مساء من سنة ١٩٦٣ ، لا أذكر أين التقينا ولا كيف استدار الحديث بنا نحو شؤون عاطفية وشخصية جداً ، حدثني انه تعرف خلال السنة الماضية على فتاة تشتغل معلمة في احدى المدارس الابتدائية ، وقد توثقت بينهما العلاقة سريعاً ، فحدث لهما يوماً أن اختليا ببعضهما ومارسا الجنس ، ففوجئ إذ وجدها غير عذراء ، وأبدى له استغرابه وانزعاجه لهذا الاكتشاف ، فقد كانا متفقين على الزواج مستقبلاً [...] قال انها اضطربت قليلاً ثم أخذت تبكي بحرقة وهي تحكي له بين الدموع ان ابن أُختها فض بكارتها حين كانت تزورهم في مدينة (العمارة) قبل شهر)) . الأعمال الكاملة المقالات، فؤاد التكرلي، المدى ، ط١ ، ٢٠٠٢ : ٤٩/٦ .

(١) الرجع البعيد : ٦٠ .

(٢) المصدر نفسه : ١٠٠ .

يتبين في الرواية أنَّ عدنان كان سكيراً وكثير الشرب[١] ، يدلُّ تصرفه هذا على استهتاره ، فهو يشرب الخمرة إثباتاً لرجولته ، وتخفيفاً من توترهِ ، ووجد في شربه للخمرة وسيلة للتخفيف من توتره وهروبه من الواقع وما فعله بخالته ، وقد خسرها فهو يحاول التقليل من حدة الألم ومن المتوقع أيضاً أنَّ شربه للخمرة هو لإثبات رجولته ولترفه المعيشي .

تؤكد الرواية إصرار عدنان على التواصل مع خالته عن طريق الحرام فيقول عندما سمع خبر نقل منيرة إلى بغداد : ((ها ؟ لويش ؟ تخلصين منّي تردين؟ يعني هاي هيه ! تنقلين لبغداد وروح يا عدنان ذب نفسك بالشطّ ، هذا تفكيرك؟))[٢] ، هنا يصر عدنان على استلابه جسدياً لمنيرة من خلال إلحاحه عليها للبقاء في بعقوبة وعدم الابتعاد عنه ؛ لأنه يرى لا توجد أية قوى تمنعه من إشباع لذته في إيجاد ما يريد ، فانفعل بشدّة لذهابها عنه ، فكان يلومها وكأنه لم يفعل أي شيء ، وله الحقَّ بالاتصال بها جنسياً ويحاول إرغامها بالبقاء معه والاتصال جنسياً بها ، ولا يبالِ لأي أعراف دينية كما يقول فرويد : ((إن الدين هو عصاب وسواسي وكذلك الأخلاق فهي شبيه بالوسواس [...] إتيان المحارم لا ينبع من كراهية طبيعية بل وجود غريزة طبيعية)) [٣] ، إنَّ عدنان إنقاد إلى غريزته الطبيعية التي همه إشباعها بينما خالته رفضت هذا الاتصال المحرم وحاولت الهرب بدلاً من المواجهة؛ لأنها مثقفة ، مهزومة ، مسلوبة ، ومطعونة من أقرب الأشخاص .

يتحدث الروائي عن حادثة اغتصاب منيرة ذلك بذهابها معه في جولة بالسيارة إلى بساتين بعقوبة ، فأوقف السيارة أمام باب كبير في نهاية الطريق ، وأخذت تركض

---

(١) ينظر : المصدر نفسه : ١٢٢ .

(٢) الرجع البعيد : ١٩٢ .

(٣) طريقة التحليل النفسي والعقيدة الفرويدية : ٣٩٢ .

ولا تبالي لتصرفاته من إهتمام بها ؛ لأنها تدرك أنَّه محرم عليها من ناحية القربى ، وكذلك التقاليد ، والعمر ، والاحترام ، لكنّه انقض عليها تحت شجرة برتقال مليئة بازهار القداح وفض عُذريتها[١] ، يبين هنا حالة عدنان عندما اغتصب خالته بوصفه وحشاً كاسراً لا يهمه أي شيء انقاد إلى لذته فقط ، لا يستند إلى أي مبرر وإنّها مجهولة الأصل ، وهي تعد طبيعية لمن يمارسها ويكون منتقلاً بالعدوى، فعندما يرى شخصاً يمارس (الزنا بالمحارم) يقوم بتقليده ، وإنَّ من يمارس هذه الظاهرة ملتبس الطبيعة يحمل دلالتين متعارضتين هما الشيء المقدس والثاني الخطر الممنوع الدنس[٢] ، نرى هذا متوافراً في شخصية عدنان فهو إنسان متوحش عانى صراعات داخلية بين حبه لميوله وبين ما هو محرم ولا يقبل به الشرع ، لكن غريزته نحو اغتصاب خالته قد تحركت وتغلبت على الأُمور القدسية ، وذلك لتأثير العوامل الخارجية فيه ، فكان تأثيرها أقوى عليه ، وذلك لما شده إليها وهي فتاة جميلة ويرى ابتسامتها وهي ترتمي تحت الشجرة ، وهو شخص مراهق عصابي ويرغب في أنْ ينال الحب الكبير من جميع من حوله ويمارس الجنس مع من يحبّ، وإنْ كان محرماً ، إذ دمرَ سفاح المحارم مظهر الحياة الجميلة في هذه المخلوقة وقد استلبها أعز ما تملك ، استلب عذريتها من غير إرادة فقررت الذهاب إلى بغداد وترك ما وراءها مجرد ذكرى قاسية ، لا تحب العودة إليها ولا حتى مجرد التفكير بها ، فهي ضحية مذبوحة ذُبحت على يد سفاح المحارم وأنْ منيرة لما تحمله من عفوية وثقافة لم تتوقع من إبن أُختها عدنان هذا الفعل فلم تضع بحساباتها جهل عدنان ووحشيته وعدم ثقافته ، وأنَّ فعله هذا يصدر من عدم ثقافته وتخلفه ؛ لأن المثقف ذو الثقافة الواسعة العميقة يتعامل مع هذه الغرائز بذكاء ويُحَكِم العقل ، ويصرفها إلى اتجاهات مقبولة في المجتمع مثل

---

(١) ينظر : الرجع البعيد : ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ .

(٢) ينظر : طريقة التحليل النفسي والعقيدة الفرويدية : ٣٩٤ .

الهوايات على شكل (التسامي) كما في هاشم أمّا الجاهل مثل عدنان فهو يتصرف فقط لإرضاء رغبته الجنسية ولا يبال لما حوله ومحيّ في (بصقة في وجه الحياة) إنقاد إلى غريزته الجنسية رغم ثقافته ذلك كما ذكرنا سابقاً قد تحكمت به عوامل وراثية لهذا الدافع الغريزي ، فأراد التكرلي أنْ يبين أنَّ هذه الظاهرة منتشرة وبين الطبقات كافة سواء كان الواقع فيها وراثي ، أو الجهل ، أو ثقافة غير عميقة .

في هذا الفصل تناولت النظرية الفرويدية وما تشمله من ظاهرة (الزنا بالمحارم) و(عقدة آوديب) و(عقدة الكترا) ، كما تناولت الباحثة (النظرية الفرويدية) وما تحمله من ظواهر ، وذلك لما وجدته متعدداً في روايات التكرلي وبصورة متفاوتة وهي (بصقة في وجه الحياة) و(الرجع البعيد) و(خاتم الرمل) و(اللا سؤال واللا جواب) ، متمثلة بعلاقة الأب بابنته والبنت بابيها والابن بوالدته وزوج الأُم بابنة الزوجة وإبن الأخت بخالته ، وهذه الحالات التي شخصها التكرلي في رواياته معززاً أمر وهو طبيعة المثقف وتوجيهه النفسي تجاه هذه القضايا ، وأنَّ كلّ ما حصل للمثقف كان نتيجة عوامل أثرت فيه تبعاً للبيئة التي عاش فيها ، فجعلت منه مثقفاً مضطرباً نفسياً وتقليدياً في ثقافته .

لاحظنا من خلال دراستنا لروايات التكرلي أنَّ مثقفيه جميعهم يحملون الأفكار الفلسفية وأكثرها بروزاً هو (الفكر الوجودي) وهو الدعوة إلى الحرية في الأفعال ، فهم أحرار في أفعالهم وتصرفاتهم ، وكذلك كانوا شخصيات مهزومة ، ويائسة ، ومصدومة بالمجتمع ، لأنّه لا يوافق أفكارها فهي ثائرة ومتمردة عليه وتحاول التغيير فيه عن طريق أفعالها ، فالمثقف (محيّ ، ومحمد جعفر ، ومدحت ، وهاشم ، وتوفيق ، وعبد الستار) جميعهم يعانون من ظلم المجتمع بقوانينه وهم لا يرضون بواقعهم الذي يعيشونه فيهمون إلى التغيير ، إن كلاً منهم حاول التغيير ولكن أثر المثقف ينتهي بعدم القدرة على هذا التغيير لانصدامه بالأوضاع السائدة (الاجتماعية، والاقتصادية ،

والسياسية) فالاجتماعية هي ما يعانيه المجتمع من جهل، وأمية ، وقلة ثقافة ، أما الأوضاع الاقتصادية فسوء الوضع الاقتصادي الذي أدى إلى انشغال المثقف بالحالة المادية وطلب سبل العيش وترك الثقافة جانباً ، أمّا السياسية فهي التحولات السياسية والانقلابات أدت إلى توتر الأوضاع وعدم الاستقرار مما أدى إلى عدم استقرار الأفكار أيضاً وعدم قدرة المثقف من تحقيق أفكاره .

أمّا الفلسفة الواقعية فنجد التكرلي اعتمد المصادفة في رواياته وهي من أسس الواقعية فجعلها أساساً لأحداث روائية مهمة يسير عليها فكره (كصدفة رؤية أُم مدحت حسين بعد عودته من الكويت ، وكذلك صدفة هاشم عندما رأى الدكتورة سلمى في معرض الصورة ، وصدفة توفيق في رؤيته آديل في المكتبة بعد فراق طويل ، وصدفة عبد الستار عندما وجد عباس كروازة في طريقه ومعه كيس المجوهرات) فكلها بؤر يسير عليها الحدث المهم فلم يختر هذه الصدف اعتباطاً ، قد صور التكرلي حالة الشذوذ الجنسي لدى بعض شخصياته المثقفة والعوامل التي دفعتهم إلى ذلك الشذوذ .

فأختار الشخصيات المثقفة ليحملها الأفكار الواقعية والوجودية والفرويدية ؛ لأنها الطبقة الفعالة في المجتمع والممثلة له والمؤثرة فيه .

تجد الباحثة التكرلي هو ذاته في شخصياته الرئيسة في رواياته فهم شخصيات مثقفة ؛ لأنه ذاته شخصية مثقفة وأنَّ أفكارهم هي أفكاره فمثلَ ذاته من خلال شخصياته الروائية فنراه توفيقاً في المسرات والأوجاع فهو محامٍ وجذَّاب وتعجب به الفتيات ، ويحمل الطيبة تجاه الناس ، وهو محمد جعفر ؛ لأن كلّ إنسان له جانبان في شخصيته الجانب الحسن والسيء فالسيء يظهر لظروف قاسية ، ونراه مدحت في محاولة القضاء على التقاليد البالية ، وعبد الستار ؛ لأنه رمز للمواطن العراقي في ظروف الحصار، وهو محيّ بفكره الوجودي ؛ لذلك فإن شخصيات التكرلي المثقفة هي

بعض تسريبات شخصيّة التكرلي أو هي انعكاس لبعض وعيه الشخصي والثقافي وأن كانت ببعض جوانبه مختلفة .

الباب الثاني
المثقف والموقف

الفصل الأول : المثقف والموقف من التراث .
الفصل الثاني: المثقف والموقف من السلطة السياسية.
الفصل الثالث : المثقف والموقف من المرأة .

الفصل الأول
المثقف والموقف من التراث

الفصل الثاني
المثقف والموقف من السلطة السياسية

الفصل الثالث
المثقف والموقف من المرأة

الباب الثاني
المثقف والموقف

- مدخل :

أوضحنا في الباب الأول صورة المثقف ، كما ظهرت في روايات التكرلي ببعدها الفكري وما مثلتهُ من قيم ومحمولات ، انعكست على طبيعة أدائها ، وفي هذا الباب وهو استكمال للصورة ، سنأتي إلى الكشف عن مواقفه إزاء ما يحيط به ، ولما كان الأمر يتسع لمدركات المثقف جميعها ، مما يشظي الرسالة ، آثرنا تكثيفها بالموقف من التراث والسلطة والمرأة ، بوصفها الأقدر على جلاء موقفه ، كما أنَّها الأظهر تعاملاً لأي إنسان في الحياة .

تحيل كلمة موقف إلى ((وقف ، الوقوف : خلاف الجلوس ، وقف بالمكان وقفاً ووقوفاً ، فهو واقف ، والجمْعُ وقفٌ وقوفٌ ، المَوْقِفَ الذي هو المَوضِعْ بالمُتصدَّى الذي هو المْوضِع ، والمَوْقِفُ : المَوضْعُ الذي تَقِفُ فيه حيثُ كان ، وجاء أيضاً في المعنى اللغوي وَقِفْتُ على ما عِند فلان تريد قد قيمتهُ وتبينتَهُ))[١] ، أمّا الموقف في الاصطلاح : فهو سلطة واعية يمارسها الإنسان تجاه جملة من القضايا ليعبر من خلالها عن رؤيته للعالم .

يبدو أن الموقف هو وجهة النظر تجاه أمر معين ، فإن لكلّ مثقف طبقة ينتمي إليها ويدافع عن حقوقها وآمالها وأهدافها وهو ينطلق من موقف ما محدد يدافع عن انتمائها وفي الوقت نفسه يعارض موقف مثقفين ينتمون لطبقة أخرى[٢] .

إنَّ لكلّ طبقة حاجاتها وأفكارها الخاصّة التي تقيدها السلطة المستبدة وتحيل دون حريتها بممارسة حقوقها ؛ لذا ظهر من يعبر عن أهدافها ويحمل صوتها فحمله المثقف وبرز موقفه معارضاً ومحاولاً الحصول على حقوقه وحقوق الطبقة التي يمثلها ويستمر الصراع بينه وبين الآخر الذي يمثل السلطة ((ويعود سبب الهوة القائمة بين الذات والآخر في المجتمع العربي المعاصر إلى ولادة وعي جديد ، مستند إلى ثقافات

---

(١) لسان العرب ، مادة (وقف) .

(٢) ينظر : المثقف والموقف ، أبو الحسن السلام ، الحوار المتمدن ، المحور العمل المشترك بين القوى اليسارية والعلمانية والديمقراطية ، ٢٠١٠/١١/٢٠ .

إنسانية كالوجودية والليبرالية ، والماركسية ، وما مثلته من سلطة جديدة مصطدمة مع نظيرتها الثقافة التقليدية القارة ، الأمر الذي ولد نزعة طوباوية لدى الذات العربية ، دفعتها إلى تعويض الآخر ذي النزعة الاستبدادية ، الذي تمثله الدولة ، والأنساق الثقافية والاجتماعية))[١] .

لا يمكن أن يكون التوافق بين السلطة سواء الاجتماعية (التراثية) أو السياسية وبين المثقف ؛ لأن الأفكار تختلف وأن أفكار المثقف تنبع من ثقافتهِ التي تتعارض مع الواقع الذي يعيشه فيحاول التغيير ، ولكنه يصدم بعدم القبول بأفكاره من السلطة، ومن بعض أفراد المجتمع ؛ لأنه لا يحمل الثقافة التي يحملها هو كي يستقبل فكرته ويرحب بها .

وتتجه الرسالة لدراسة موقف المثقف في ثلاثة فصول ، تناولت في الأول التراث وموقف المثقف منه وهو ينقسم إلى تراث عربي يشمل التأثر بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية وأقوال الصحابة ، وكتب الثقافة ، أمّا القسم الآخر فيشمل التراث الشعبي من تقاليد ، وأمثال ، وحكم وأغانٍ شعبية ، وفي الفصل الثاني سأتناول فيه موقف المثقف من السياسة المتمثلة بسياسة الدولة ، وقد تمثلت بموقفين ، الموقف الأول سياسة الاضطهاد المباشرة للدولة على الشعب عن طريق سياسة العنف ، والاعتقال، والقتل ، والعزل من الوظيفة ، أمّا الموقف الثاني فتكون بصورة غير مباشرة عن طريق استلاب حقوق المواطنين بعدم توفير وسائل العيش ، ممّا جعله يعاني حالة الفقر ، والعوز ، والحرمان ، وفي الفصل الثالث سأتناول فيه موقف المثقف من المرأة وهو متمثل بثلاثة اتجاهات ، الاتجاه الأول النظرة السلفية الرجعية للمرأة ، والاتجاه الثاني هو النظرة الليبرالية للمرأة ومنحها بعض حقوقها مع عدم مساواتها بالرجل ، والاتجاه الثالث ينظر للمرأة نظرة التقدميين ، أي إعطاء المرأة حريتها ومساواتها بالرجل ، وسنبدأ أولاً بمفهوم التراث .

الفصل الأول

---

(١) فاعلية السلطة في الرواية العراقية (فؤاد التكرلي أنموذجاً) ، محمد عبد الحسين هويدي الخزاعي ، أطروحة دكتوراه ، بإشراف أ.د. لؤي حمزة عباس ، كلية الآداب – جامعة البصرة ، ٢٠١١م : ١٠٩ .

المثقف والموقف من التراث

- مدخل :

يكون من المناسب بدايةً تأصيل كلمة تراث كما وردت في المعاجم العربية، وأصلها كلمة (وَرَثَ) : ((أورثه الشيء أبوه وهم ورثة فلان ، وورثه توريثاً أي : ادخله في ماله على ورثته ، وتوارثوه كابراً عن كابر . و(التراث) : ما يخلفه الرجل لورثته))[١] ، أي ما يرثه الابناء عن الآباء .

وقد ذكر التراث والورث في القرآن الكريم فيما جاء عن التراث في الذكر الحكيم قوله تعالى : ﴿ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴾[٢] ، بما يعني أكل حقوق الآخرين من الإرث .

إنَّ التراث يعود إلى ما حدث في الماضي وهو الينبوع الذي يغرف منه الأجيال في الحاضر ، يرد التراث في معجمات المصطلحات الأدبية بمفهوم ((ما خلفه السلف من آثار علمية ، وفنية ، وأدبية ، مما يعتبر نفسياً بالنسبة لتقاليد العصر وروحه))[٣] ، أي إنه كل ما ورثناه عن أجدادنا من أمور مختلفة وبقيت معلقة في ذاكرتنا ومحددة لتصرفاتنا ، وعلى الرغم من اتفاق الباحثين بأن التراث ينتمي إلى الماضي إلا أنهم اختلفوا في تحديدهم لهذا الماضي ، فبعضهم يراه : ((كلّ ما ورثناه تاريخياً وبأنه كلّ ما وصل إلينا من الماضي داخل الحضارة السائدة))[٤] ، هو بهذا يشمل التراث بأنواعه كافة المعنوي وما يحويه من أفكار وسلوك الأفراد ، والمادي ما يمثله الآثار ، والإنساني الحاضر فينا من ماضي غيرنا ، والقومي : ما هو حاضر فينا من ماضينا

---

(١) لسان العرب ، مادة (ورث) .

(٢) سورة الفجر ، الآية ١٩ .

(٣) معجم المصطلحات الأدبية : ٩٣ .

(٤) توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة ، دراسة ، د. محمد رياض الوتار ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، د.ط ، ٢٠٠٢م : ٢١ .

، فهو بهذا التعريف يربط التراث الماضي بالحاضر مباشرة، فهو ينتمي إلى الماضي البعيد والقريب ، فالماضي القريب متصل بالحاضر ولضيق مجال الحاضر فإنه نقطة تواصل بين الماضي والمستقبل ، وبذلك فإن كلّ ما يوجد في حياتنا من أمور تتصل بالماضي فهو تراث(١) .

إنَّ التراث ضرورة حتمية في حياتنا ونقوم بدراسة التراث لما له من ضرورة في مواجهة الآخر ثقافياً ، ومن ناحية أخرى هو تحقيق ذاتنا أي نكون أنفسنا ، فالعودة إلى التراث في الحاضر الذي نعيشه هي جزء من الدفاع عن الذات، وهي عملية مشروعة تشترك فيها جميع شعوب العالم ، أمّا من الناحية الأخرى فإن التراث مهم في حياتنا المعاصرة ، فيتعلق بمواجهة الذات نفسها ، فإن الارتقاء إلى الحياة المعاصرة في المجالات الاقتصادية ، والسياسية ، والاجتماعية ، والثقافية يتطلب من الأفراد إعادة بناء الذات ، وأنها تنطلق من إعادة بناء التراث ، وذلك بإعادة ترتيب العلاقة بينه مثل شيء رابط ينتمي إلى الماضي والحياة المعاصرة ، أي الحاضر والمستقبل، فالتراث إذن بنية ثقافية ومعرفية في مواجهة الثقافة الغربية، وكذلك إعادة بناء أنفسنا وتحقيق الذات المعاصرة أي إقامة ثقافة ذات ركيزة قوية(٢).

إنَّ ما يعنينا هنا بالدرجة الأساس أن نبين موقف المثقف من التراث ، إذ لم يكن التراث ولا يعني إنّنا نتحصن به ضدَّ المعاصرة ونلائمهُ ، والحداثة من دون أنْ يكون ثمّة معطيات تجمع بين الاثنين ، فعند ذلك سيكون التراث عبئاً ثقيلاً ينوء به المثقف ، وإذا كان ((أي مجتمع هو منظومة من قيم تشكلت عبر مسارات الزمن واختلفت معها ثقافتها المزيجة من أعراف وتقاليد وديانات ومؤثرات أُخرى فإن تعزيز المنظومة وتصحيح التجربة وتلاقي انحناءاتها وفقاً لمعطيات الحاضر ورؤى المستقبل

---

(١) ينظر : توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة : ٤٥ .

(٢) ينظر : المسألة الثقافية في الوطن العربي ، د. محمد عابد الجابري ، مركز دراسات الوحدة العربية ، الحمراء – بيروت ، ط٣ ، ٢٠٠٦م : ٢٥١ ، ٢٥٢ .

من أُولى واجبات المثقف)) [١] ، من هنا تأتي مسؤولية المثقف وتتشكل مواقفه التي يحددها أدونيس بكونه أي المثقف ذا ((صلة نقد وتحليل وتجاوز" ؛ ولذلك لا يكمن دوره "في المحافظة على النظام الثقافي الموروث ، وإنما يكمن في تفجيره وتطويره"))[٢] ، بناءً على ذلك يكون للمثقف موقف من التراث وفيه ويكون التراث عند ذلك هو ((ما يتغيّر أو يتحول لا ما يثبت))[٣] .

رأينا أثر التراث من خلال النصوص التي تحمله ، فبعضها تحمل تراثاً عربياً وبعضها تراثاً شعبياً[*]، وعلى الرغم من تباين الرؤى تجاه التراث من حيث التواصل معه كشفاً أو تأثراً ، منذ القرن الماضي وما قبله بقليل ، إلا إنّه التراث مازال يشكل هاجساً بين الموقفين آنفي الذكر أعني الكشف أو التأثر ، فهناك من دعا إلى إصلاح الثقافة والتعديل من الأمور الموروثة وتحديثها وهم من الباحثين العرب في ميدان الإسلاميات والدعوة إلى إعادة النظر في التاريخ الإسلامي والثقافة العربية وأنَّ الشيء الذي يغذي أفكار معظم المثقفين وطموحاتهم هو الوصول إلى إعادة تقييم ، أو تأويل ، أو قراءة للتأريخ والتراث أي دعوة إلى التجديد والتعديل بالتراث أي بربط الماضي

---

(١) سؤال الثقافة أزمة المثقف قراءة وتعقيب في دراسة الناقد (عقيل صاحب) الثقافة العراقية أزمة الوجود ، د. علي متعب جاسم ، أزمة الثقافة العراقية بعد التغيير ، بحوث ودراسات مهرجان الكميت الثقافي الثاني والتعقيبات المعدة عنها ، اصدارات اتحاد الأدباء والكتاب العراقيين في ميسان ، ط١ ، ٢٠١٢ : ١٧١.

(٢) زمن الشعر ، أدونيس ، دار العودة ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٨م : ١٢٩ .

(٣) الثابت والمتحول ، أدونيس ، دار العودة ، بيروت : ٣ ، ١٠٢/٤ .

(*) ((نحدد النص الثقافي هنا بالمعنى الذي يعطيه إياه (يوري لوتمان من جهة اتصاله بالعالم الدلالي الخاصّ بجماعة اجتماعية سيموطيقية محددة وتحمله الأبعاد الخاصة بمختلف التراكمات) ، المركبات الثقافية والاجتماعية التي انتجها الإنسان العربي في صيرورته)) ، قال الراوي البنيات الحكائية في السيرة الشعبية ، سعيد يقطين ، المركز الثقافي العربي ، ط١، ١٩٧٧م : ٣٢٦ .

بالحاضر[١] ، هناك أيضاً من يتجلى عن القيم والعادات والتقاليد ؛ بسبب عوامل خارجية مؤثرة في سلوك الأفراد وأهمها الاستبداد والظلم ضد المجتمعات المقهورة ، وكذلك عامل الفقر يؤدي إلى تخليهم عن هذه القيم الاجتماعية والدينية التي تتحكم في سلوكهم وتقوي العلاقة بينهم ، وتقوم محلها قيم تتعارض مع قيمهم الأصيلة التي توارثوها وتربوا عليها وذلك لسد حاجتهم[٢] ، هو ما يمكن أنْ يكوّن الرؤية الثالثة للتعامل مع التراث ، ولكن التخلي يكون لحقبة محددة لأن ((التراث الذي وصل إلينا ما يزال يمتد فينا ، وما نزال نحيا بواسطته شئنا أم أبينا ، وَعِينا ذلك أم لم نعهِ يحضر بأشكال متعددة في ذهننا ومخيلتنا وذاكرتنا ، ويتجلى بصورة مختلفة في تصرفاتنا وتعبيرنا وطرائق تفكيرنا ، ومهما حاولنا القطيعة معه، أو اعلان موته نظرياً أو شعورياً ، خطاطاته وانساقه وأنماطه العليا مترسخة في الوجدان ومتركزة في المخيلة))[٣] ، إنَّ التراث صورة لواقع من القدم إلى يومنا الحاضر .

إنَّ التراث ((ليس مجرد تراكم خبرات ومعارف وكتب . ولكنه اعتراف أمام الذات والعالم ، اعتراف بوجود ، اعتراف بشخصية لها وجودها التاريخي والنفسي[...] الخ ، ومن حقها أن تستقل وأن تنمو ، وأن تشق وفق طبيعة ظروفها وأرضها وتاريخها ، وعلى أساس وحدة شخصيتها القومية وتفاعلها الحر مع التراث الإنساني الحضاري الشامل))[٤] ، إنَّه لأي إنسان الحقّ في تكوين شخصيته من خلال تفاعله مع التراث ،

---

(١) ينظر : التأويل والحقيقة : ١٨٤ .

(٢) ينظر : سلطة الاستبداد والمجتمع المقهور ، صاحب حداد ، صفحات للدراسات والنشر ، دمشق – سورية ، ط١ ، ٢٠٠٧م : ٧٩ .

(٣) الرواية والتراث السردي ، سعيد يقطين ، المركز الثقافي العربي ، بيروت – الحمراء ، ط١ ، ١٩٩٢م : ١٢٥ .

(٤) التراث العربي ، (كمصدر في نظرية المعرفة والإبداع في الشعر العربي الحديث) ، طراد الكبيسي ، دار الحرية للطباعة ، (الموسوعة الصغيرة ١٢) ، ١٩٧٨م : ٤ .

ولكن بصورة حرة وغير مقيدة ، وإنَّ أي شخص يلجأ إلى التراث لما غُرِس في ذهنه ونما معه منذ صغره ، وإنَّ أغلبَ القصاصين والروائيين يلجأون إلى التراث ، وذلك ((لا يعني الهرب من الواقع ، ولا يعني في المقابل الحنين إلى الماضي ، سواء أكان الواقع المعيش عقيماً أم لم يكن ، وإنما يعني ردّ فعل لفعل نفسي محكوم بقوى إنسانية يحتكم إليها القاص في حالة التوازن السياسي، والاجتماعي ، والتاريخي بين الماضي والحاضر والمستقبل ، فالقاص يلجأ إلى التراث في حالة فقدان (حلقة الربط) بين الظاهرة ، والأصل في الواقع المعيش، ففي (حلقة الربط) يستمد الفعل الإنساني القدرة على الوصول والديمومة على التواصل ، وبالتالي تحقيق المعطيات الجديدة التي تحمل النمو والامتداد الزمني))[١] ، ومن المناسب القول إنَّ ذلك الأثر تشكل من خلال وعي التكرلي بشخصياته والاعتناء بأبعادها الايدلوجية سواء أكان بما تجسده من محمولات تراثية تشكل مواقفها وتتشكل منها ، أو بالكشف عن محيّطها الشعبي ، وهو جزء آخر من التراث سوف تتعامل معه[٢] ، وما يلاحظ على شخصيات التكرلي الروائية ، الاهتمام الخاصّ بالإنسان العراقي وقدرته المتميزة في استحضار العوالم الداخلية للنماذج الإنسانية أكثر من غيره من الكُتاب ، تلك العوالم الملأى بالأزمات أو حالات التأزم الفريدة وغير العادية واهتمامه المتميز وغير العادي بالجنس ، لاسيّما استخدامه بصورة صريحة أو رمزاً[٣] .

---

(١) قضايا القصة العراقية المعاصرة (دراسات نقدية) ، عباس عبد جاسم ، دار الحرية للطباعة، بغداد ، ١٩٨٢م : ١٤٨ .

(٢) انطلقنا في ذلك من فهم واسع للثقافة والمثقف يرى أن مصطلح الثقافة يشير إلى الثقافة العليا والثقافة الشعبية ، وهو ما يعني ضمناً أن النمط الثاني ، متكوِّن أصلاً وما حصرناه بمفهوم التراث الشعبي . ينظر : مدخل سيسلوجيا الثقافة ، ديفد انغلز ، جون هيوسون ، ترجمة : لمى نصير ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٣ .

(٣) ينظر : الرواية في العراق ١٩٦٥-١٩٨٠ وتأثير الرواية الامريكية فيها ، د. نجم عبد الله كاظم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط١ ، ١٩٨٧م : ٨٤ ، ٨٥ .

إنَّ التكرلي كان على العكس من الروائيين الذين يهتمون بالقيم الاجتماعية ؛ وذلك لانتمائهم القوي فكرياً إلى الحركة الوطنية بينما التكرلي يدعو إلى الحرية من هذه التقاليد وكان أكثر حرّية في الإحساس بقيود هذا الانتماء ؛ لأنه يدعو إلى الفردية ولم يرتبط بأي نشاط سياسي أو اجتماعي فهو ينطلق من موقف فردي ومن خلال ما عاشه في الواقع من تجارب[١] ، بذلك يدعو التكرلي إلى الحرّية الفردية للأشخاص باختيار قيمهم الاجتماعية كما نرى : ((إنَّ الهدف الذي يسعى الخطاب الروائي للتكرلي إليه يرمي إلى تقويض سكونية الشرط الاجتماعي ، عن طريق ترسيخ فكرة أنَّ كلّ إنسان يخلق قيمه الخاصة بعيداً عن الاستلاب وانطلاقاً من فكره الوجودي الذي يؤكد أنَّ قيمة الإنسان تتحقق عندما يرفض القيم))[٢] ، ما يعني أنَّ التكرلي بفكرته وجودي ثائر على العادات والتقاليد على الرغم من وجود موقف تراثي وديني وثقافة دينية لدى شخصياته الثانوية .

- سينوغرافيا الغلاف ودلالة العنونة :

- سينوغرافيا الغلاف :

نجد سينوغرافيا الغلاف في روايات التكرلي بحسب ما نراه توحي إلى التراث ، وأثره يتبين في رواية (بصقة في وجه الحياة) ، ففي هذه الرواية نلحظ أثراً واضحاً للتراث الديني وفي الثورة عليه ، ونلمس ذلك من اللوحة التي يحملها الغلاف الذي يحتوي على صورة فتيات يرتدين ملابس مخالفة للأعراف الدينية ، والتقاليد ، والقيم الاجتماعية ، إذ يشير إلى الثورة على تلك الأعراف والتقاليد .

---

(١) ينظر : مدارات نقدية في إشكالية النقد والحداثة والإبداع : ٣٤١ .

(٢) فاعلية السلطة في الرواية العراقية (فؤاد التكرلي أنموذجا) : ٩٥ .

أمّا في رواية (الوجه الآخر) فنرى رائحة التراث تفوح من غلاف الرواية الذي يحمل صورة امرأة ترتدي ملابس من التراث العربي وهي العباءة التي ترمز إلى الحشمة ذات الصلة بالتقاليد ، وكذلك صورة الرجل وهو ينظر إلى المرأة من خلف النافذة ، أي من خلف حاجز ، أنَّ ذلك يدلُّ على العادات والتقاليد التي تمنع اختلاط الرجل بالمرأة .

وفي رواية (الرجع البعيد) ربما يدلُّ الغلاف على التراث من خلال اللوحة التي وُضِعَت عليه فهي صورة أشخاص يرتدون ملابس تراثية ، رجلان يرتديان الزي العربي القديم هو (الدشداشة) وأحدهم يرتدي (الإيشماغ) والآخر يرتدي (العرقجين) ومعهم امرأة وهي من ضمن نطاق العائلة ترتدي (دشداشة) وبجانبها حقيبة على هيئة تراثية وكذلك (المسبحة) التي يحملها الرجل دالة على التراث الديني بما يتعلق من ذكر (الله الخالق) الواحد الأحد ، وأيضاً صورة إبريق الشاي وأقداحهِ، أمّا الزخرفة على جهتي الغلاف فهي من التراث الفني ، والجهة الثانية منه تدلُّ على التراث بما تحمله من كلام عن العائلة واجتماعها في منزل قديم وعلى الرغم من فقر العائلة ومنزلها القديم إلا إن الروائي يصفها بدفء العائلة يجمعها دفء الحب والحنان ويقابلها ببرودة الشارع ، أي أنَّ خارج المنزل بارداً لما يحمله من قسوة الظروف الخارجية على الأفراد قسوة المجتمع والسلطة ، ويذكر أنّ هذه الرواية تتجلى أهميتها من التقاطها صوت التاريخ المحتجب ، فبذكره التاريخ هو دال على التراث الزمني أي إنه يذكر أحداث تاريخية من التراث الزمني .

وفي رواية (خاتم الرمل) نرى الغلاف يدلُّ أيضاً على التراث لما يحملهُ من صورة لمطربة مصرية قديمة ليلى مراد فهي تشير إلى التراث الغنائي الشعبي ويتعلق ذلك بما تحويه الرواية في داخلها لسماعهِ أسطوانة ليليات شوبان أكثر من مرة دليل على وجود التراث وتأثر هاشم بالتراث الأدبي ، ربما لأنه يعبر عن

حاله ويهون عليه هذه الحياة ، أي أنَّه يتقبل الأُمور التراثية التي تصبره مثل الموسيقى .

وفي رواية (المسرات والأوجاع) ترى الباحثة الغلاف يرمز إلى التراث من خلال اللوحة الموجودة التي تحمل صورة منزل قديم البناء من التراث ونساء يرتدين زياً من التراث العراقي القديم الذي لا تزال أغلب النساء ملتزمات به إلى الآن ، وهي العباءة العربية فوق الرأس والدشداشة العراقية ، وكذلك الزي الإسلامي ، والتراث الديني واضح وهو (الخمار) فهن يغطين وجوههن (بالخمار) ، وما نجده في متن الرواية عندما يلزم (كاسب برهان) زوجته (أنوار) على الحجاب ليخفي جمالها ، فهو يشير إلى التراث الإسلامي وهذا دليل على التراث في الرواية .

وفي رواية (اللاسؤال واللا جواب) ترى الباحثة إنّها توحي إلى التراث من خلال رسم التكرلي لوحة روائية تحتوي على صورة شخص يوحي شكله إلى التراث ، وكذلك ما رسمه من زخارف على الجدران التي خلف صورة الشخص التي تعود إلى التراث الفني ، وحين ننتقل لدلالة العنونة سنلحظ الآتي :

- دلالة العنونة :

إنَّ العنوانات في روايات التكرلي تحتمل تأويلات عدّة ومنها ما أولناه إلى التراث بحسب نظرتنا الخاصّة .

وفي (رواية بصقة في وجه الحياة) ربما يدل على أنَّ الحياة تحمل في داخل طياتها مجتمعاً يحمل العادات والتقاليد التي تمنع الإنسان من ممارسة حريته ، وفعل ما يريد وتحكم على تصرفاته من منظور هذه القيم والتقاليد ، فما عليه هو أنْ يجاري هذه التقاليد لينال القبول من المجتمع ؛ لذلك فهو يبصق على هذه الحياة التي هي استعارة عن المجتمع وتقاليده .

وفي رواية (الوجه الآخر) فترى الباحثة أنَّه يشير إلى التراث من حيث دلالة الوجه الآخر التي تدلُّ على أنَّ للإنسان جانبين جانب داخلي يختص بأفكاره الخاصّة وأحكامه الفردية على الأمور وهي ضدُّ التقاليد ، وجانب آخر هو وجهه المعلن للناس والذي يتعامل به مع المجتمع بحسب أحكامه وتقاليده ليكون مقبولاً اجتماعياً .

وفي رواية (الرجع البعيد) نرى العنوان يدلُّ على التراث العربي ؛ لأنها مأخوذة من التراث الديني مقتبسة من (القرآن الكريم) في قوله تعالى : ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴾[١] ، ما يدلُّ على التراث معنى (الرجع البعيد) فهو العودة إلى التراث البعيد المتوارث من الآباء والأجداد .

أمّا رواية (خاتم الرمل) فنجدها تدلُّ على التراث فهي تشير إلى شيء مهم منه وهو (الخاتم) الذي استخدمه منذ القدم الآباء والأجداد رمزاً للارتباط والعلاقة الزوجية وأنَّ الروائي جعل العنوان (خاتم الرمل) أي أنَّ هذا التقليد التراثي لابُدَّ أنْ يزول ((فيتحول خاتم الذهب الخالص إلى خاتم رمل))[٢] ، وإنَّ الخاتم هنا رمز للتراث فبالثورة على التراث الذي طالما كان بمثابة الذهب الخالص أي الباقي في أذهان المجتمع إلى خاتم رمل ، أي دليل زوال هذا التراث ؛ لأن الرمل رمز الزوال، وإنَّ الروائي صاحب فكر وجودي يدعو إلى الحرية .

في رواية (المسرات والأوجاع) تعتقد الباحثة أنَّ بنية العنوان توحي إلى التراث الديني فإن (المسرات والأوجاع) تشير إلى ما يحمله لنا القدر ويخبئه من أمور فعلى الإنسان أنْ لا يسخط أن سارت الأمور كما لا يريد وظلمه من حوله ، وإنْ جاءته حالات من السعادة وتحقيق أجزاء من أحلامه أو أحلامه بأكملها ، فلا يتكبر على مَنْ حوله ، ويتبطر على معيشته ، فهو يربط العنوان بحال مثقفه توفيق وما واجهته من

---

(١) سورة ق ، الآية ٣ .

(٢) خاتم الرمل : ٩٣ .

صعاب ؛ ولكنه صبر وبعد ذلك حصل على رزق لم يكن يحتسبه بعثه الله عز وجل له عن طريق غسان الذي مات فترك له مالاً كثيراً ، فهذا جزاء صبره ، وربما تناص هذا العنوان من قول الإمام علي (عليه السلام) : ((الدهر يومان ، يوم لك ويوم عليك ، فإن كان لك فلا تبطر ، وإن كان عليك فأصبر))[١] ، كأن التكرلي بنى روايته على هذه الحكمة وفسرها من خلال شخصيته توفيق ليصبر الناس على أذى المجتمع ومحاربته للآخرين .

أمّا رواية (اللا سؤال واللا جواب) فبحسب رؤية الباحثة مرتبط بالتراث ؛ وذلك لاتصاله بوظيفة القضاء التي تقوم على إصدار القاضي حكمه على الأمور ، فلا يوجه سؤال ولا ينتظر جواباً فقط إصدار الحكم العادل ؛ لأن السؤال والجواب من شأن المحقق ، وإنَّ القضاء هي وظيفة من التراث الديني لأن (الله عز وجل) أنزل (القرآن الكريم) فيه أحكام القضاء ليحكم بين الناس بالعدل ، وإنَّ أول من طبقه رسوله الكريم محمد ﴿ ﷺ ﴾ كما ورد في آي الذكر الحكيم قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾[٢] ، يمكن القول إذن ، انطلاقاً من قراءتنا لعتبات التكرلي أنّ ثمة مركزية تراثية تتحكم في نتاجه الروائي وهذه المركزية قد تظهر إلى السطح، بوصفها مقولات يحتكم إليها المثقف في رواياته ، أو بوصفها قناعات يجري التعامل معها ومن خلالها والثورة عليها والتشكيك بها .

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار احياء الكتب العربية ، ط٢ ، ١٩٦٧م : ٣٦٤/١٩ .

(٢) سورة النساء ، الآية ٥٨ .

- **المثقف والموقف من التراث** :

والتزاماً بالمنهجية التي تبيّناها في مدخل الفصل ستكون دراستنا للتراث وفقاً لمستوييه :

المستوى الأول : التراث العربي ويشمل التراث الديني . التأثر بـ(القرآن الكريم) ومن الأحاديث النبوية الشريفة ، وأقوال آل البيت ، والصحابة ، والتابعين ، وكذلك كتب الأدب والأشعار .

المستوى الثاني : فهو يشمل التراث الشعبي وما يشمله من عادات ، وتقاليد ، وأغانٍ شعبية ، وحكم ، وأمثال .

والتزاماً بمنهجية الرسالة ستحاول الباحثة الكشف عن ذلك ، وفقاً للنظرتين آنفتي الذكر ، مبتدئين بالتراث الإسلامي ولما يمثله من ثقافة متحكمة في تكوين شخصياته، ثم التراث الشعبي .

المستوى الأول : التراث العربي :

إنَّ التراث الديني وهو جزء من التراث العربي تجده الباحثة الأكثر ظهوراً في روايات التكرلي من التراث الشعبي، ونعني به ((أنْ يقوم الروائي بمحاولة الإفادة من نصوص دينية مأخوذة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والأخبار الدينية وحكايات الصوفيين ... في عمله الروائي من أجل تحقيق أغراض محددة يقصد إليها المؤلف))[١] ، أي أن يقتبس الروائي من القرآن الكريم أو يقوم على التناص من التراث الديني لتحقيق غاية معينة يريد إيصالها إلى القارئ ، ونلحظ التراث الديني في روايات التكرلي في أكثر أسماء شخصياته الروائية (ساجدة ومحمد جعفر وتوفيق وغيرها) ،

---

(١) توظيف الموروث الحكائي العربي في الرواية العربية المعاصرة ، علي كاطع خلف ، أطروحة دكتوراه، إشراف: أ.د. عبد الإله أحمد، كلية الآداب – جامعة بغداد ، ٢٠٠٠م: ٤٦.

ولكن ظهور هذا التراث في الروايات يعني بأخذ أهم أشكاله واتخاذ موقف منه ، وهذا الموقف كما يظهر في أحيان كثيرة وهو تجاوزه ، والثورة عليه .

ففي (بصقة في وجه الحياة) نرى التراث الديني والثورة على أحكامه من خلال تحدث محيّ عن ابنته فاطمة وقد أُعجب بها ليست كابنة بل كامرأة ، وتنبه إلى الفرق بين كليهما في العمر هي في الثانية بعد العشرين وهو جاوز الخامسة والأربعين من العمر الفرق كبير بين العمرين ويذكر أنه تنبه إلى سخافة أفكاره[١] ، فهو يتخطى الأعراف الدينية والقيم الاجتماعية التي تمنعه من النظر إلى إبنته فاطمة هذه النظرة الغريزية ، لكنه انقاد فقط إلى غريزته ولم يبالِ بهذه الأعراف الدينية والقيم الاجتماعية .

أخذ يفكر فقط بالفارق بالسن بين كليهما لعله يجعلها تبتعد عنه بسبب ذلك ، ولم يفكر فيما هو أقوى من ذلك ، الدين أولاً والتقاليد الاجتماعية ثانياً ، وبعد ذلك تأتيه الصحوة وينتبه إلى سخافة أفكاره التي تبعده عن المنطق ، ولا يعلم ما هي نهاية هذه الأفكار السوداء ، فلعلها تقوده إلى مصير مجهول ، ولكنه بهذا يتراوح بين ما في داخله من إيمان بالقيم الدينية والاجتماعية وبين رغباته التي تقوده إلى الثورة عليها فهو بهذا يُعدُّ مثقفاً متردداً غير مستقر يراوح بين ما يملك من تراث وبين ما يرغب .

ونجدهُ يتحدث عمّا يشعر به تجاه ابنته ، فهو يقول : ((رحمتك يا ربي ، لا تدعني أكفر بك وبما أنزلت ، لا تدعني .. لا تدعني))[٢] ، فمناجاته لربه يريد منه أنْ ينقذه من الشرِّ الذي في داخله ، ولا يريد أنْ يكون ملحداً عاصياً لربه كافراً به ، يريد أنْ يبقى على طاعته (لله) ؛ لأنه يعلم هو المنجي الوحيد ، حتى يكاد يطيعه ولا يقاومه ، وهو لا يجرأ حتى أنْ يذكر ما في داخل نفسه من أفكار أمام ربه ؛ لأنّه يعلم إنّها قمة الفسوق ، فيشير إليها بنقاط أي كلام محذوف فيقول (ربي لا تدعني... لا تدعني) أي أنْ أعمل هذه الخطيئة فضلاً عن العصيان الديني فهو معارض وغير مقبول من

---

(١) ينظر : بصقة في وجه الحياة : ٢٣ .

(٢) المصدر نفسه : ٢٥ .

المجتمع ، فهي إشارة إلى بداية الثورة لديه على هذه الأعراف الدينية ، يبتعد محيّ شيئاً فشيئاً عن صلته بربّه ، إذ بدأ يتحول بتفكيره بعد أنْ كان على صلة قوية بربه ، ويطلب منه أنْ يخلصه من هذه الأفكار المشينة ، بدأ يشكك بقوة (الله عز وجل) ، يقول محيّ ((هذه الحياة الناقصة التي نعيشها لا بد وأن تكون من صنع شيء ناقص أيضاً... شيء لا يدري ماذا ينقصه))[١] ، وهي إشارة إلى تحول المثقف من ملتزم إلى مثقف ثوري، وهو يحاول أنْ يجد عزاءً له في أنّ الناس جميعاً يعيشون مثله يوجد خلو في حياتهم وجميعهم سواسية في الوجود .

ويقودهُ تفكيرهُ إلى معاداة من يحاول الرضوخ للقيم الدينية المتعارف عليها ((إن سوء الحظ حقاً هو الذي أدى بعد ذلك أنْ يكوّن هؤلاء الأكثرية الأغبياء ، جميع المجتمعات البشرية التي يعرفها التاريخ ، فيفرضون عليها قيمهم المتفسخة في الحياة والدين والاجتماع ، ويحطمون من يحاول الخروج عنها تحطيماً تاماً لا رحمة فيه ولا شفقة ؛ لأنهم يعلمون إن في الرحمة هذه والشفقة موتهم الأكيد وفناؤهم المحقق))[٢] ، إنَّه يأسف لأنهم الأكثرية في المجتمعات البشرية ، ويصفهم بالأغبياء؛ لأنّهم في تفكيره لا يثبتون وجودهم وحريتهم في آرائهم بل يلتزمون بآراء من سبقهم وقيم أجدادهم وهم يرفضون كلّ من يخرج عن هذه القيم الاجتماعية والدينية ويحطمونه تحطيماً من دون شفقة ؛ لأنهم لو أشفقوا على من عارضهم سوف تنتهي ثقافتهم وتنتشر الثقافة الحديثة المعارضة لهم ، وبذلك نراه رافضاً لقيم أخلاقية منتمية إلى تراثه الديني والاجتماعي ، غير أنّه لا يستطيع الجهر بهذا الرفض ، فيحول الصراع بينه وبين ذلك إلى صراع نفسي مرير .

ونلحظ في كلّ أعمال التكرلي أنَّ عالم شخصياته عالم داخلي زاخر ((بشتى الانفعالات والهموم ، وهذا العالم هو الذي يجول فيه قلم الروائي، ولا يبرحه إلا نادراً ، وهو عالم ثر ، حزين ، متشائم ، فيه يحاول أن يؤكد ذاته أبداً، ليخلق له قيمهُ الخاصة

---

(١) بصقة في وجه الحياة : ٣١ .

(٢) المصدر نفسه : ٧٣ .

، ومن هنا كان أكثر أبطال قصصه ، أُناساً متمردين ، رافضين لما تعارف عليه المجتمع من قيم وتقاليد ، ولما هو أكثر من القيم والتقاليد في بعض الأحيان ، بحيث يبدو الأمر معه أنَّ البيئة والتقاليد العراقية التي يعيش فيها هؤلاء الأبطال ، إنما تقدم في هذه القصص من أجل أن ترفض ومن أجل أن يتضح كم هو ضروري تغييرها))[١] ، وفي ذلك ما يدلل على أنَّ التكرلي يحاول زعزعة القيم .

ويجسد محيّ موقفه من القيم الدينية وتبريره لسلوك إبنتهِ صبيحة ، وهو بذلك يحاول رصد وتخطي تلك القيم وتبريرها ((أقول مع سذاجتها الملحوظة وبراءتها وأحياناً غباوتها ، كانت تقوم بأعمال طائشة أو على الأقلِّ لا تدلُّ على خوف أو خشية من أحد كائناً من كان ، فهي الوحيدة بينهن التي تفكر وتتحدث عن (الله) كخادم صغير في قصرها دون تحرج ودون أن تستغفر بعد ذلك))[٢] ، موقف محيّ من أفعال إبنته في كونه يراها تملك الشجاعة بموقفها من خالق الكون (الله) عز وجل ، وهو يعجب بهذه الشجاعة ويعدّها عاملاً مهماً بالنسبة لفتاة مثلها ساذجة وبريئة وأحياناً غبية فمثل هذه الإنسانة من الصعوبة لها امتلاك هذه الشجاعة وأنَّ شجاعتها متمثلة بثورتها على القيم الدينية من خلال جرأتها على الخالق ، وإعجابه بهذه الشجاعة دليل على مساندته بفكرة رفض التراث الديني فكلاهما يحملان الشعور نفسه والرغبات الثائرة نفسها .

ويرصد التكرلي تردد شخصية محيّ في تخطيه القيم الدينية ، بذلك المشهد الذي ترويه الشخصية محيّ في مذكراتها ، إذ اجتمع بإبنته وعانى صراعاً داخلياً ، انتهى بغلبة القيم التي انغرست في داخله ، فيذكر : ورميت صبيحة بعيداً عني فوقعت على المرآة فكسرتها ، وبذلك ابتعدت عنها[٣] .

يعيد إلينا التكرلي في هذا المشهد ، مشهداً قرآنياً متمثلاً في قصة النبي (يوسف) (عليه السلام) عندما راودته عن نفسه امرأة عزيز مصر زليخة وكاد أنْ

---

(١) الأدب القصصي في العراق ، منذ الحرب العالمية الثانية : ٢٤٠ .

(٢) بصقة في وجه الحياة : ٤٥ .

(٣) ينظر : المصدر نفسه : ٦٢ .

يصبو إليها لولا أنْ رأى برهان ربه قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾[1] ، فهذا يدلُّ على التأثر بالقرآن ، ويبين الصلة الواضحة بين مثقفه والتراث الديني ، ثم يتحدث محيّ عن الاله فيقول : ((أيها الاله الموهوم ، إني قريب منك في القداسة والوهم ، أيها العالم البعيد ، إنك لم تعد لي عالماً أسكنه ، إني لا أشبه شيئاً فيك ، لا أشبه شيئاً البتة ؛ إنني فريد في جوهري لأنني ضيعت كل شيء ولأنني انفصلت عنك إلى غير رجعة))[2] ، إنَّ محيّ في كلامه هذا يعد مشككاً في قدرة (الله عز وجل) وهو مهزوز متحول في أفكاره ، بين البقاء على تراثه الديني وبين الانفصال عنه ، ولكنه هنا يعلن انفصاله عنه ، وكذلك فهو يقارب نفسه من الخالق في القداسة والوهم ، حاشا لله ، وهذا دليل على خروجه من حلقة الدين وانفصاله عنها وعن العالم الذي كان يعيشه ، وهو يحمل هذه القداسة الدينية والقيم والتقاليد ؛ لأنّه في نظره لا يلائم أفكاره فإن أفكاره (وجودية) ثائرة على هذه الأعراف والقيم ، فهو قرر أنْ يعلن حريته واستجابته لمطالب نفسه البشرية وتحقيق ما يطمح إليه بعيداً عن أي قيود ، ويصف نفسه بأنَّه الفريد في جوهره ؛ لأنه ضيع كلّ شيء كلّ ما بناه في الماضي من أسرة وسمعة ومكانة في المجتمع ، فهو فريد في جوهره ؛ لأنّه انفصل عن هذا العالم المتفق عليه اجتماعياً إلى غير رجعة إليه ؛ فقد قرر أنْ يثور على هذه القيم، وعدم العودة إليها ؛ لأنّها لا تحقق طموحه ، وهو في نظره شجاع وفريد ؛ لأنّ من الصعوبة أنْ يواجه شخص مجتمعاً باكمله ولا يبالي لنظرته إليه ، المهم هو أنْ يشعر براحته النفسية ومهما كانت النتيجة .

يعلن محيّ انفصاله عن تراث الآباء والأجداد وتخلصه منها نهائياً فهو يقول: ((آه ، والله ما أجمل ذلك الاحساس بالانطلاق الذي شعرت به يسري في دمائي بعد إذ

---

(١) سورة يوسف ، الآية ٢٤ .

(٢) بصقة في وجه الحياة : ٦٧ .

انتهيت من طرد أبائي وأجدادي من حظيرة نفسي التي سكنوها سنوات طوال عزيزة))[١] ، هنا نراه قد وضع الحدَّ الفاصل بينه وبين ماضيه ما توارثه عن آبائه وأجداده، وما تربى عليه من تعاليم دينية ، وهو سعيد بذلك الانطلاق الحرّ الذي حطم القيود التي طالما وجدت بينه وبين ما يطمح إليه ، فقد طرد آباءه وأجداده من دواخل نفسه التي سكنوها فترة طويلة من حياته عاش خلالها منعزلاً متمرداً على الواقع إلى أنْ تغير وتحرر من قيوده .

وتجدر الإشارة إلى أنَّ كثيراً من شخصيات التكرلي المثقفة ، لها موقفها الواضح من رجالات الدين وممثليه ، ومثلُ هذه المواقف تدلُّ في تصور الباحثة على أنّ التكرلي كان يدرك جيداً أنَّ الدين لا يحتاج إلى من يمثلهُ ، إنَّهُ دين للناس كما يفهموه هم ؛ لذلك كان من يتستر بالدين يخفي في داخلهِ ما هو ضد القيم الدينية ، ويظهر هذا الموقف في (بصقة في وجه الحياة) مع الشيخ الذي اغتصب ابنتهُ ، وكان لمحيّ موقف واضح منهُ[٢] ، غير أنَّ هذا الموقف تغيّر ؛ لأنَّ محيّ يعيش نفس ما عاشه هذا الشيخ ، وهو الرغبة الجنسية غير الشرعية بإبنته فاطمة ، ويرى أنّه لا يوجد شيء يمنعه عنها ، بل له الحرّية بفعل ما يشاء مبتعداً بذلك عن القيم الدينية .

ويظهر الموقف من التدين غير الصحيح في الوجه الآخر ففي الحوار بين محمد جعفر وسيد هاشم عندما ذهب محمد للاستدانة من سيد هاشم قال محمد جعفر ((دا انتظرك صارلي ساعتين سيد هاشم فأجابه دون أنْ يتحرك :

- خير انشالله ، چنت دا أصلي صلاة العشا ، أي بالله ، صلاة العشا))[٣] .

إنَّ سيد هاشم هو صاحب المسكن الذي يستأجره محمد جعفر ، يعكس من خلال كلامه ثقافة دينية ويدعي التزامهُ بها وأنّه رجل تثقف عن طريق تمسكه باحكام

---

(١) بصقة في وجه الحياة : ٧٤ .

(٢) ينظر : المصدر نفسه : ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ .

(٣) الوجه الآخر : ٣٥ .

الدين بصورة ظاهرية ويعلم بأنّه سينال احترام الآخرين بنظرتهم له بوصفه رجل دين ؛ لذلك يطلقون عليه سيد هاشم فيخبر محمد جعفر بأنّه كان يقيم صلاة العشاء أي أنّه متمسك باحكام الدين ، ولكنه متستر بذلك ؛ لأن الدين عنده قيماً تظهر شكلياً وليست لها أصل في سلوكه أو تفكيره الذهني .

يزج التكرلي كما ذكرنا سابقاً شخصياتهِ في مواقف تظهر مواقفها من الدين ، ويعرّي رجال الدين الجوَّف ليبين من كلامهم ما يفترض أنْ يفكر فيهِ المثقف ، وما يعتمدهُ أساساً للاعتقاد أو اتخاذ الموقف ، ومن الطبيعي أنْ تكشف تلك الشخصيات عن ذلك الدين الذي كوَّنَهُ المجتمع ، فهو خليط من التقاليد والخرافات والمصالح ، فهو دين شعبي ، يأخذ من الدين سلطته على الناس ، وخوفهم منه ، ونرى معظم العامة من المجتمع لا يفرِّقون بين رجل الدين وبين الدين ، إذ الاثنان عندهم سواء . كانت شخصية السيد هاشم مُهابة ومُحترمة؛ لأنه يمثل الدين المهاب والمحترم في عرفهم ، وليسَ لأنّهُ إنسان محترم .

ومن ثم ستكون شخصية المثقف إزاء خيار صعب قد يؤدي بها إلى اتخاذ موقف الرفض للدين كما نلمح ذلك مع محمد جعفر فهو ((ولا يزال يستخف بكل إيمان بأشياء لا تحل أية مشكلة إنسانية لقد كان باستطاعة ذوي الإيمان جميعاً أن يعيشوا ويموتوا دون إيمانهم))[١] ، إنَّ محمد جعفر يعاني صراعاً نفسياً بين ظروفه وإيمانه وأنّه يرفض الإيمان ؛ لأنّه لم يعنه في محنته ، قد فقَدَ وليده وعُمِيَت زوجته فهو يشعر أنّه مجرد من الإيمان ؛ لأنّه لا يحل مشاكله التي وقع فيها وما خبأه له القدر .

وفي جانب مهم تُظهِرَهُ روايات التكرلي ، نجد نمطاً من العلاقة المخصوصة بين المثقفين وبين الخطاب الفكري الحديث والقيم الدينية والتقاليد القديمة التي تتميّز

---

(١) المصدر نفسه : ٦٥ .

بثرائها الشديد وثقافتها العالية[١] ؛ لذا نرى مثقفيه يرد عندهم التراث اللغوي وبصورة مستمرة من رواية إلى أخرى ، وذلك لما يعرفه التكرلي من أهمية التراث في تكوين ثقافة رصينة لدى مثقفيه ، وهي تتضمن ثقافة عالية لاسيّما (القرآن الكريم) فهو الكتاب الأول في الثقافة ، فاراد أنْ يشير إلى أبطاله بأنهم شخصيات مثقفة وليست جاهلة وأنَّ ثقافتها مستمدة من مصدر قوي ومهم على الرغم من أنَّهم شخصيات لم تستطع أنْ تستخدم ثقافتها بصورة فعالة في المجتمع ؛ وذلك للظروف المؤثرة فيها سواء اجتماعية تتمثل بالأفراد من حوله بجهلهم بقضيته أو سياسية متمثلة بمقاومة السلطة لهم ، وكذلك اقتصادية بانشغال المثقف بالحالة المعيشية وانصرافه عن الثقافة من أجل المادة للاستمرار بالحياة .

وفي رواية (الرجع البعيد) تبدو دلالة التراث الديني واضحة فيها عن طريق ما نلمحه من مواقف للشخصيات المثقفة من التراث العربي بين رافض وبين مساند ومنهم من تثقف عن طريق (القرآن الكريم) ثقافة دينية .

ونلمح أثر التراث واضحاً في منزل مدحت فوالده ووالدته ملتزمان بقراءة (القرآن الكريم) والتسبيحات ما يعني التزامهم بالقيم الدينية[٢] ، وهو ما نفترض أنَّه أثّر بمدحت وأخيه ، وعلى الرغم من ظهور هذا التأثير من خلال لغة مدحت إلا أنَّ موقفه اتسم بالرفض ؛ لأنّه يشبه غرفة والده ، وهو يقرأ القرآن بالسجن الهادئ الدائم الجلوس فيه ، ويذكر انشغال والده (بالله) وحده ، أي عبادة خالصة وتسبيحه له، وذكره ، فمدحت يرى ذلك مضيعة للوقت لا يحصل من خلالها على المال ، وليس بذي فائدة بنظره ؛ لأنّه لا يشجع الثقافة الروحية وهي الثقافة العربية المستمدة من الأمور الروحية والقيم الدينية ، وإنَّما هو يساند الثقافة المادية ثقافة الغرب فهو يجد فيها المصلحة الخاصّة ،

---

(١) ينظر : المثقف والسلطة : ٦٤ .

(٢) ينظر : الرجع البعيد : ١٤٣ .

وتسيير أموره الدنيوية ولا يعترف بأنَّ (الله) الخالق هو الذي يسير هذه الأمور الدنيوية برضاه عن عباده ، كما يؤمن والده بذلك ، ويذكر أيضاً أنّه سوف ينشغل بأسئلة كثيرة عن الإنسان ماضيه ومستقبله سوف يقضي وقته بكلّ هذه الأمور من دون الاهتمام بالأمور المادية التي تسير الحياة .

هذا من حيث وجهة نظر مدحت وهو يرى أنَّ رجال الدين إذا اتخذوا الدين وسيلة للتكسب وجمع المال والشهرة فسوف يكون ذا منفعة ، وبذلك يمكن للإنسان أنْ يستغل ما يعرفه من أمور دينية كوسيلة لكسب المال وشهرته بين الناس ، وبذلك سوف يشكل فائدة له ، أي أنَّ نظرة مدحت للدين هي نظرة معارضة فهو مثقف معارض للتراث الديني ، وبنظره أنَّ رجال الدين هم فقط اللذين يتسترون بالدين من أجل المادة ، وهذا هو موقف التكرلي ذاته من رجال الدين كما يبدو للباحثة .

أمّا رواية (خاتم الرمل) فنجد فيها مواقف تشير إلى التراث العربي فيها لاسيّما التراث الديني ؛ لأنّه مترسخ في أفكار الشخصيات ، تبدأ الرواية بمظهر من مظاهر التراث اللغوي التراث الديني فتقول الشخصية المثقفة هاشم : ((كنت اعتقد وتعتقد أُمّي سناء ، لا انحراف إلى اليمين ولا إلى الشمال ؛ لأنّ الصّراط كان مستقيماً، لم يقولوا إنّه لم يكن مستقيماً أبداً ، ومع "أبداً" ترفع كفّيها النّاصعتي البياض أمامها فتضعهما متوازيتين : هكذا يا بنيّ))[1] ، نجد التراث الديني واضحاً من كلام والدته سناء التي كانت مثقفة ثقافة دينية لما يحتوي كلامها من أمثلة من (القرآن الكريم) وأنَّ الشخصية المثقفة هاشم يتخذ من كلام والدته النصيحة والمثل الأعلى في توجيهه ؛ وذلك لحبِّه لها وأنَّ هذا الكلام مأخوذ من قوله تعالى في (القرآن الكريم) قوله تعالى : ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾[2]، ونعني الطريق المعتدل الذي لا يقبل الميل لا عن يمين ولا عن شمال ،

---

(١) خاتم الرمل : ٦ .

(٢) سورة الفاتحة ، الآية ٦ .

فهو يتخذ من هذه الآية المرشد لتوجيهه إلى الطريق الذي يريد ؛ لأن (القرآن الكريم) هو خير مرشد للإنسان في أموره فهو يأخذ من التراث ما يجده ملائماً مع أفكاره ويترك ما لم يجده يتلاءم معه .

غير أنَّ هاشماً يثور على القيم الدينية ؛ وذلك من خلال كلامه مع الدكتورة سلمى إبنة عم آمال خطيبة هاشم إذ تقول : ((ياالله ! إنّه امر ينافي كلّ الأعراف البشرية وكلّ الأديان)) [١] ، فهي تتعجب من موقفه تجاه آمال التي هجرها وبدون أي سبب ، إنَّ موقفه من خطيبته خير مثال على عدم امتثاله للقيم والأعراف الدينية ويعدها شيئاً لا أهمية له ، إذ هو مثقف ثوري متمرد على المجتمع بكلّ ما فيه من قيم وأعراف دينية .

أمّا رواية (المسرات والأوجاع) فنلمس ملامح التراث فيها من خلال المواقف لشخصياتها من التراث الديني ، نرى أثر التراث العربي واضحاً من خلال قراءة الكتب الأدبية من قبل توفيق ، وهي تُعدُّ المؤثر الأساس على ثقافته وتغييرها من القبول بالقيم الاجتماعية والقيم الدينية إلى الثورة عليها كما نجده يقرأ الكثير من الكتب منها (رواية سانين) وقد أعجب بها ، وأدرك ما لها من أهمية قراءات متنوعة، فيشعر كأنه يدخل مطهراً من نوع خاصّ ينقي أعماقه من شوائب لا يمكنه تحديد اسمها أو ماهيتها ، وبعد قراءته الثانية لرواية سانين خيل إليه أنّه تخلص إلى حدٍّ ما من تأثير هذه الرواية المدمر عليه ، لكنه أحسَّ في نفسه ابتعاداً عن عائلته وعن مجتمعه وعن طموحاته الصغيرة فتسيطر عليه روح اللامبالاة والاستهتار بالقيم[٢] .

نجد توفيق كثير القراءة لكتب الأدب وهي من التراث العربي وكتب متنوعة أخرى ، لكن الذي أثّر كثيراً على أفكاره هي رواية (سانين) الروسية فهي تؤدي إلى

---

(١) خاتم الرمل : ١٠ .

(٢) ينظر : المسرات والأوجاع : ٤١ ، ٤٢ .

تغيير الكثير من الأمور في داخله ، أي تغيير أفكاره التي غرست معه ونمت عن طريق الأعراف والقيم الدينية التي زرعتها فيه أُسرته فهو يشبه هذه القراءات بالمطهر الذي يزيل الشوائب أي أنَّ ما يحمله من قيم ، إنما هي شوائب وأنَّ قراءاته أزالت هذه الأفكار القديمة منه وشعر باستهتار واستهزاء بهذه القيم ، نجد توفيق في حاله هذه هو البداية لتغير الثقافة لديه ومحاولة الثورة على التراث وسمى بقية هذه القيم شوائب أي أنَّه يحاول استبدال ثقافة مكان أخرى .

و((إنَّ تغير ثقافة مجتمع ما – لا بفعل تناقضاته الداخلية وضرورات تطوره – بل بفعل عامل خارجي يسعى لتغيرها وسلخها قسراً عن قوالبها الموجودة في أذهان ابنائه وسلوكياتهم مسألة لتعني بالضبط – زوال (نوع) ذلك المجتمع وانهيار منظومة قيمة وعقائده وأخلاقه وحضارته وأسلوب عيشه وتعامله ثم إحلال منظومة ثقافية دخيلة أخرى بديلة عنها))[١] ، إنَّ العوامل الخارجية نجدها هنا الكتب التي تحمل بعض الأفكار التي تؤثر على أفكار المثقفين ، ويبدو أنّ ثقافته الدينية الأولى انحدرت إليه بفعل عائلته ، لاسيّما جده والد والده الذي ظهرت عنده هذه الثقافة في لغته وسلوكه ووالد والدته أيضاً[٢] .

نجد جده عبد المولى سلوكه ولغته دالاّن على الثقافة الدينية على الرغم من أنّه كان يعمل نجاراً لم يكمل الدراسة إلا أنّه كان يقرأ (القرآن الكريم) وبأصوله قراءته المعروفة ، وكذلك التزامه بأحكام الإسلام كتأدية الصلاة وغيرها ، فهو مثقف (قدري) أيضاً يرضى بقضاء الله وقدره وعندما وجد حفيده بهذا الجمال تلا آية قرآنية من كتاب الله (عز وجل) فربط هذه الآية بالموقف الذي هو فيه أي انها دليل على حفظه بصورة تامة لآيات القرآن الكريم ، ويمكنه الاستشهاد بها على مواقف من حياته .

---

(١) المُثقف السياسي بين تصفية السلطة وحاجة الواقع : ٤٤ .

(٢) ينظر : المسرات والأوجاع : ١٧ ، ١٨ .

وفي رواية (اللا سؤال واللا جواب) نلحظ أثراً للتراث من خلال اسمه (عبد الستار) وما يحمله من ثقافة تراثية فيها اقتباس من (القرآن الكريم) فهو في معرض حديثه عن السياسة والدولة يقول : ((ماذا باستطاعة أولئك المنغمسين في الظلمات أن يفعلوا بإنسان ذي دماء حارة يملك ان يعمل ما يشاء ؟ [...] فهو يعرف جيداً ان الظلمات آتية لا ريب فيها ، فلتأت إذن دعها تتقدم إليه))[١] ، نجد عبد الستار محافظاً على تراث ديني لغوي متأصل في داخله ، وذلك واضح في لغته التي تحتوي على اقتباس من (القرآن الكريم) في وصفه رجال السياسة ، وإنهم كالظلمات القادمة التي لاشك فيها، ولا يمكن التشكيك في هذه الظلمات فهو شبه الحياة معهم بالظلمة التي هي رمز الضلال والبقاء تحتها محبوسين تحت ظلمهم وسطوتهم فإن كلامه يحمل ثقافة لغوية عالية مقتبسة من (القرآن الكريم) قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[٢] ، ذلك دليل على المقدرة اللغوية لديه واستعمالها بصورة مناسبة، فـ(عبد الستار) رمز للمثقف الديني ولغته دالة على التزامه بالتراث الديني والأحكام الدينية من خلال كلامه مع الشيخ الذي ركب معه في السيارة كما في الحوار : ((لم يتبادلا الحديث خلال الدقائق الأولى ، وكان الشيخ يتنهد بين الفينة والأخرى ، ويتمتم "لا حول ولا قوة إلا بالله" ، لم يعجبه أن يتدخل في شؤون ذلك الراكب لكنه أراد أن يصبّره فقال:

- الله كريم ، عمي ، هذا امتحان للعراقيين .
- امتحان ؟! ممن ؟ من يمتحنهم يا أخي ؟
- من الله ، سبحانه وتعالى .

---

(١) اللا سؤال واللا جواب : ٨٧ ، ٨٨ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٢ .

- ولِمَ العراقيون فقط ، من دون خلق الله جميعاً ، هم الذين يمتحنون بمثل هذا الامتحان العسير ، يا أخي ؟
- إرادة الله .
- كلا لا تقل مثل هذا الكلام يا أخي ، لا تضع على كاهل الرّب ما عمله شخص واحد مفرد))[1] .

إنَّ هذا الحوار بين عبد الستار والشيخ يدلُّ على التراث الديني والالتزام من قبل عبد الستار بالقيم الدينية والإيمان بالخالق (عز وجل) وقدرته وأنَّ الشعب لا يملك حولا ولا قوة تحت ظل هذه السياسة الدولية وإنَّ الأمر والقوة فقط للخالق الله (سبحانه وتعالى) ، فهو دليل على تعظيم قدرته سبحانه وتعالى ، وكذلك يدلُّ كلام عبد الستار بأنَّ ما يحصل هو امتحان من الربّ لعباده يثيب من يصبر منهم ، ولا ينحرف عن عرفه الديني ويحاسب من لا يصبر وينحرف عن الدين ، ولكن الشيخ يرفض كلام عبد الستار ويرفض أنْ نضع ما فعلته السلطة السياسة على كاهل (الرَّب) بل هو من فعل البشر القساة ، ولماذا لا يُمتَحَن بقية الدول فرد عبد الستار هي إرادة (الله) فيرفض الشيخ هذا الكلام ، فهو متمرد على التراث ، ويقول هو من فعل شخص واحد هو المسؤول عن كلّ ما يحدث فهو رجل السلطة السياسية.

نجد عبد الستار في أزمته هذه يلجأ إلى الدين ؛ لأنه لا يستطيع أنْ يواجه الواقع ، كما هو ولا يملك الحلول له ؛ لذلك يلجأ إلى ما يهون عليه ويصبره ويشعره بالأمل في الحياة وهناك فرج بعد هذا العسر ، وهو يدلُّ على أنّه مثقف قدري في هذه الحالة يرضى بما هو موجود .

يتغير موقف عبد الستار من الالتزام بالقيم الدينية والقناعة إلى ثائر عليها كما نجده في الرواية عندما حصل على كيس من المخشلات الذهبية ، وهي مسروقة، ولم يحاول إعادتها إلى صاحبها بل قرر أخذها لنفسه على الرغم من إنها ليست ملكه

---

(١) اللا سؤال واللا جواب : ٩٢ .

، وذلك لجوعه لم يُرِد أنْ يُسأل على القيام بعمل أخلاقي وقانوني ، إنَّها أمور سحقها الزمان بالنسبة لحال أي إنسان جائع ، كما يرى إنّها ليست مسألة غياب الاله أو حضوره كما تحدث به بعضهم ، إنَّ السلطة والعالم جميعاً يريدون أنْ يسلبوا هذه السعادة منه ، بأن يعيد كيس المخشلات ، وأنْ لا يخالف الأخلاق والقانون ، فإنه ظاهرياً محافظ على شكله وتصرفاته ، إلا أنَّه قد حصلت له انصهارات عنيفة أدت إلى تأثيرات مدمرة عليه في أعماقه السفلى ، وهو في الخامسة والأربعين من عمره فاختلف تفكيره[١] .

نجد أنَّ عبد الستار بعد أنْ تعب من هذه الحياة البائسة والتي لم يستطع أنْ يسايرها مهما فعل وعمل ليل ونهار ، إلا أنَّه لا يستطيع توفير الطعام الكافي لأسرته وسد احتياجاتها ، ومع حالته المرضية ، وبعد أنْ باع كلّ ما يملك فقد حصل على كيس (المخشلات الذهبية) المسروقة ، وذلك عن طريق المجرم عباس كروازه ، فقرر أنْ يأخذه له بدلاً من إعادته لصاحبه الأصلي، فهذا الكيس هو اللحظة المضيئة التي تنقذه من ظلام العيش ، وهو يرفض أي صوت في داخله يدعو إلى الالتزام بالقيم الدينية التي تمنع السرقة ؛ لأنَّه يجدها مباحة له إذا كانت الدولة المسؤولة عنه لم تسد رمقه هو وأسرته ولا حتى الأسر العراقية ، فيجد من العدل عنده السرقة؛ فتخلى عن قيمه التي تربى عليها وتحول إلى ثائراً عليها .

إنَّ كلاً من توفيق ، ومدحت ، وعبد الستار ، مثقفون تحولوا من تراثيين إلى ثوريين بفعل ظروف خاصة ، أثرت عليهم ولكن ظروف عبد الستار كان دافعها هو الجوع ، فهو مشابه في حالة فقره بحالة توفيق فكلاهما عانا من الفقر، فأراد التكرلي أنْ يبين أنَّ للمثقف ظروفاً تؤثر فيه وتحوله من موقفه.

---

(١) ينظر : اللا سؤال واللا جواب : ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٥ .

بعد أنْ انتهينا من التراث العربي في روايات التكرلي ننتقل إلى **المستوى الثاني : التراث الشعبي** : ويشتمل على تقاليد المجتمع وأحكامه وأمثاله وأغانيه الشعبية فنراه موجوداً لدى مثقفي التكرلي منها ما نراهُ في رواية (الوجه الآخر) فهي رواية تظهر فيها ملامح التراث الشعبي كما في قول محمد جعفر عن فتاة اعتاد أنْ يراها منذ أنْ فُتِحَت المدارس وهو يتمنى أنْ يتصل بها ولكن زواجه يمنعه من الاتصال بها[١] ، إنَّ محمد جعفر يحمل في داخله تراثاً شعبياً وهي العادات والتقاليد التي توارثها من الآباء والأجداد التي تمنعه من الاتصال بأية فتاة غير زوجته ، أي أنَّ زواجه نوع من التقاليد الإنسانية العليا عليه الالتزام بواجبه حيال هذه المسؤولية والإخلاص لهذا الزواج وتعد خيانة منه لهذه التقاليد ، إذ اتصل بغير زوجته ويعد دماراً لحياته الزوجية ، هو رافض لهذه العادات والتقاليد في قرارة نفسه ويحاول التخلص منها من أجل تحقيق رغباته الشخصية وغرائزه ، ونرى ذلك واضحاً من خلال علامة السؤال ، استفهامه عن معنى هذه العادات وما أهمية هذه التقاليد ، فهي في نظره لا شيء سوى أحكام توارثوها عن الآباء والأجداد، وهو يتظاهر بالتمسك بالعادات والتقاليد ليساير المجتمع ويبقى مقبولاً فيه ، ومن جهة أُخرى فهذا الموقف دال على امتزاج القيم الدينية بالشعبية .

إنَّ هذه العادات والتقاليد هي من مظاهر التراث الشعبي إذ ((يتسع ليشمل كل الموروث المكتوب والمحكي ، وكل الآثار التي بقيت من عمران وعادات وتقاليد، ولها صلة وثيقة بالحقب الخالية))[٢] ، أي أنَّ التراث يشمل كل ما يكتب ، والكلام المحكي ، والعادات والتقاليد ، فتشير الرواية إلى عدم تمسك محمد جعفر بالتقاليد، وثار عليها بعد أنّ أُصيبت زوجته بالعمى ، هل يجب أن يتحمل العيش معها وهي عمياء ؟ وهو

---

(١) ينظر : الوجه الآخر : ٦ .

(٢) الكلام والخبر (مقدمة للسرد العربي) ، سعيد يقطين ، المركز الثقافي العربي، ط١ ، ١٩٩٧م : ٤٧ .

يرفض تقديم المساعدة لها ، ويدعي تحملها فهو إنسان مزيف ؛ لذا قرر الطلاق منها[١] ، بعد صراع داخلي دام طويلاً قرر محمد جعفر أنْ يتخلص من زوجته بطلاقها ، وهو بهذا ثار على التقاليد التي تنصّ على الوفاء ، والإخلاص ، متنكراً لكلِّ هذا من أجل سعادته الفردية، فهو مثقف أناني ، وفي طريق العودة إلى بعقوبة سمع أغنية من التراث الشعبي تذكره بموقفه الجبان تجاه زوجته ، فكانت الخاتمة لعلاقتهما ، في نهاية تفكير محمد جعفر وبعد صراع نفسي حيال عمى زوجته اتخذ قرارهُ بالتخلص منها ؛ لأنّه غير مجبر على البقاء مع امرأة عمياء ، وغير مستعد لرعايتها ، فذلك يعني عيش عماها معها فرفض فكرة الإخلاص والوفاء الذي تنص عليه تقاليد المجتمع ، وآثر فكرة تركها على الرغم من تضحيتها لأجله ومحاولة اسعاده بحملها ، ولكن النتيجة كانت وفاة مولودها وعماها ، دفعت ثمن محاولة إسعاد زوجها تعاستها وهي تخلي زوجها عنها ، إنَّ محمد جعفر مثقف أناني تخلى عن العادات والتقاليد الاجتماعية التي تدعو إلى المعونة والإخلاص والوفاء تنكر لكلّ هذا من أجل سعادته الفردية ، وخلال ذهابه إلى بعقوبة سمع أغنية من التراث الشعبي ، تذكره بموقفه الجبان تجاه زوجته ، وهذا الجبن يمنعه من مواجهتها حتى مجرد النظر إلى عينيها ، إذ رماها بعد أنْ سلب قوتها وأنَّ هذه الأغنية خير معبر عن مشاعر محمد جعفر وتعتبر نهاية لعلاقته مع زوجته فقد ضمن هذا التراث الشعبي نهايتهما ويُعدُّ ثقافة شعبية ((فليس سوى تلك الإبداعات العفوية التي أنتجها الشعب ، وهو يعبر عن أحزانه وأفراحه وأتراحه))[٢] ، نرى التكرلي يوظف التراث الشعبي في رواياته ويجعلها لصيقة بمثقفيه ؛ لأنّها أقرب إلى الطبقة الفقيرة التي خُصَّ بها مثقفيه من استعماله الثقافة العالمة ، يعدُّ قرار الطلاق قدرة الشخصية على اتخاذ القرار ، وفيه نوع من التحدي

---

(١) ينظر : الوجه الآخر : ٦٦ ، ٦٧ ، ١٠٥ ، ١٠٦ .

(٢) السرد العربي مفاهيم وتجليات، د. سعيد يقطين، رؤية للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٦م: ٣١.

لتقاليد المجتمع ، إنَّ ما أوصله إلى هذه الحالة هي سلسلة من الوقائع التي مرَّ بها ، وبذلك يحاول الروائي أنَّ يعكس صورة الانهزام والاستسلام للمثقف ، وأنَّ يشخص داءً عضالاً ليس له علاج مطلقاً ، ذلك هو اللا وجود لمثقف عضوي فعال في المجتمع ؛ لأنَّه لا يتمتع بأي موقف صلد ومؤثر في المجتمع يعزز ثقافته ، وإنما تنهار المواقف أمام مغريات الواقع المادية ، نلحظ هنا صورتين ، صورة المثالي وصورة المادي والنصرة دائماً للأخير، لا لأن الروائي يؤمن بها ، ولكن لأن الأول عاجز عن التفاعل مع الثاني وعاجز أيضاً أنْ يقف أمامه .

نرى التكرلي مستعملاً رموزاً في نهاية روايته فقد استعمل الليل في رواياته وقصصه : ((يجعل الليل مرتبطاً بنوازع شخوصه الداخلية محاولاً إبعاد كل العناصر الاجتماعية التي يوفرها النهار ؛ لذا فان عزل الأشياء الخارجية تمنحه حرية الانفراد بشخوصه ، والتمتع بزاوية بصرية أكثر قوة للانقضاض عليهم ، موفرة له جواً ملائماً لذلك الانقضاض بتوحدهم وبانعزالهم ، وهم يصارعون أقدارهم في لحظات تأزمهم))[١] ، إنَّ الليل يبعد العناصر الاجتماعية التي يوفرها النهار لشخصياته وكي تكون أكثر انفراداً مع ذاتها ، إنَّ التكرلي يجعل نهاية محمد جعفر سعيدة فهو يبدأ بالتفكير بتكوين حياة جديدة ويتخلص من عبء التقاليد والحياة بتركه زوجته وهو يثور على التقاليد ويتحداها ؛ لأنّها تقيد سعادته الفردية ، فكأن التكرلي يشجع الثورة على التقاليد في مثل هذه المواقف .

أمّا رواية (الرجع البعيد) فترى الباحثة أثر التراث الشعبي من خلال حديث مدحت مع عمته صفية بعد أنْ تحدثت مع والده الذي ذكر بأن أبا عدنان كان فقيراً وفلاحاً خادماً في بيت حجي محمد أجابته صفية : ((شوفة هسة بائع مخضرات وبطنة هالكبر عبالك شيخ العرب.

---

(١) عالم النص ، دراسة بنيوية في الأدب القصصي (فؤاد التكرلي أنموذجاً) : ٦٣ .

ضحك مدحت وابتسمت منيرة ، قال لها مدحت : مهلاً عمّة وعلى كيفك . تره بعد ماكو شيوخ))[١] ، نجد مدحت يستهزئ بالتقاليد ، وذلك من خلال حديث عمته من تشبيهها لأبي عدنان كأنه شيخ العرب فهو يضحك بسخرية من تشبيهه بشيخ العرب أي أنَّ هذا اللقب لم يعدّ موجوداً بعد في وقتنا الحالي بل هو مجرد تراث موجود في الماضي عندما كان الناس بسطاء مع قلّة الاهتمام بالتعليم فكان يسيطر الشيوخ وهم الطبقة العليا في المجتمع والآن لا وجود لهم ، أمّا الآن فالإنسان له قيمته عن طريق ثقافته وإنْ كانت المادة شيئاً مهماً أيضاً لاحترام بعض الناس للأغنياء على الرغم من جهلهم ، ولكن هذا ظاهرياً فقط لمصلحة خاصّة ، أما الاحترام الحقيقي للأشخاص الذين يحملون المعرفة وهم المثقفون والمفكرون لذلك يسخر مدحت من الشيوخ ؛ لأنَّه يعدّ عصرهم قد مضى وهم مجرد بقايا من التراث فإن موقفه هنا معارض للتراث وكذلك منيرة ؛ لأن ابتسامتها إلى جانب مدحت دليل على موافقته الرأي وهو أيضاً استهزاء بعدنان ووالده لجهلهم ، نرى أثر التقاليد البالية المسيطرة على أذهان بعضهم واضحة من خلال سؤال أبو مدحت أخته صفية عن تذكرها لقصة حجي شاكر الذي قتل خالته عند معرفته بعملها خادمةً في أحد البيوت المشبوهة ؛ وذلك لعدم وجود أي معيل يعيلها، وقد سجن لمدّة ثلاث سنوات لكن أصحابه جمعوا له المال ووكلوا له محامياً وقضى سنتين إلا عدة أشهر على الرغم من أنه كان حاجاً ، ويتعجب مدحت لهذا الأمر[٢] .

تسيطر هنا التقاليد البالية المتمثلة بالتعصب تجاه المرأة ، وإنْ كانت مسنة لدرجة قتلها والاستهانة بقوانين الدولة التي تصدر تجاههم ؛ لأنّها كانت متساهلة معهم ، فيثير هذا الأمر تعجب مدحت ورفضه لهذا السلوك ، فضلاً عن كون هذا الفاعل

---

(١) الرجع البعيد : ٧٦ .

(٢) ينظر : الرجع البعيد : ٧٩ ، ٨٠ .

حاجاً ، ويعيد لنا هذا الموقف ما لاحظناه في رواية (بصقة في وجه الحياة) و(الوجه الآخر) حول الموقف عن رجالات الدين .

فمدحت يسأل والده بدهشة عما فعلوه بالحاج شاكر ؛ لأنّه يعظم ما فعله من جريمة ناتجة عن جهله وتخلفه ، أي أنّه يجد هذا الشيء خاطئاً وغير مصيب لأنّها لم ترتكب أي ذنب فما بال هذه التقاليد لا ترحم المرأة وتجعلها المذنب الوحيد ، وموقف والده موقفاً معارض أيضاً من هذا الفعل الإجرامي فهو مثقف (ثقافة دينية) وهو مثقف قدري ، مثقف بالخبرة لما واجهه من تجارب في الحياة ونجد هنا موقف المثقف معارضاً للتقاليد البالية حتى صفية عمة مدحت رفضت هذا الفعل ، فأراد التكرلي أنّ يبين صورة التخلف الاجتماعي والتقاليد البالية والتشجيع على معارضتها في محاولة للاصلاح الاجتماعي ، ومدحت نظر إلى هذه التقاليد التراثية نظرة احتقار وأنَّه تمنى لو تزول هذه التقاليد البالية ؛ لأنها ظالمة وأنَّ ((من الأجدر على مثقفي عالم العرب والإسلام وكتابه أنْ يستوعبوا تراثهم جيداً ويعودوا إليه عودة نقدية صارمة ، ويتفحصوا تاريخهم ويغربلوه من شوائب الترهات والخرافات والتزويرات ، وبالتالي الاندراج في مسارات الحداثة ، الاندراج في صلب هذا الحدث الكوني اندراجاً فاعلاً وإشكالياً، ولا تحولنا بلهاء مقذوفين على قارعة الطريق، لا نصلح إلا للتأسف والعويل والفرجة)) [١] ، فالروايات بمجملها دعوة للثورة على التقاليد البالية .

أمّا شخصية حسين الشخصية المثقفة ذات الأثر المحوري في الرواية ، فيتجلى استخفافهُ بالقيم الاجتماعية بعدم التزامهُ برعاية ابنتيه إذ لا يربطه بهما رابط سوى أنْ يتملى بوجهيهما في أثناء ذهابهما إلى المدرسة أو إيابهما ، وينسى ذلك أيام العطل وهو ما يعني إن حقبة رعايتهما لم تكن حاضرة في ذهنهِ أو ضمن اهتمامه[٢].

---

(١) المثقف الإشكالي بين نارين أوراق نقدية ، مهدي النجار ، دار المرتضى للطباعة والنشر والتوزيع ، العراق – بغداد ، د.ط ، ٢٠٠٨م : ٧٩/١ .

(٢) ينظر : الرجع البعيد : ٨٩ ، ٩٠ .

قد يكون هذا الموقف نتيجة طبيعية تشكلت عبر قناعاته الأولى بترك الوظيفة والانعزال عن الناس والتخلي عن الاندماج في المجتمع ، فوجد نفسه يعيش حالة اغتراب عنه إذ أنّه تخلى عن تقاليده الاجتماعية التي تنصُّ على المحافظة على الأسرة وتلبية احتياجاتها ورعاية زوجته مديحة وابنتيه سناء وسها إلا أنَّه تخلى عنهم بكلّ سهولة حتى لم يسأل عنهم ، إنَّ تخليه عن هذه التقاليد الاجتماعية الأساسية التي نصَّ عليها المجتمع يدلُّ على أنَّ حسين مثقف مهزوم متمرد على الواقع معزول عن المجتمع ، يصور التكرلي حالة المثقف المهزوم الذي يتخلى عن أعلى التقاليد وهي الأسرة ، كما نجد شيلز يقول : ((إنَّ المثقفين يمثلون طرفين متباعدين: فأما أنهم يعارضون المعايير والأعراف السائدة ، أو انهم يتخذون الموقف الذي يسمح بالتكييف والتوافق ، إذ ينحصر همهم في توفير "النظام والاستمرار في الحياة العامة"))[١] ، ويرى ادورد سعيد أن الحالة الأولى تنطبق على المثقفين المحدثين وتكون مهمتهُ الطعن في الأعراف والتقاليد السائدة فقط[٢] ، ونرى التكرلي في رواياته يساند فكرة الثورة على التقاليد ، ونجد موقف حسين في تذمره على التقاليد الاجتماعية ، نرى ذلك من خلال حوار مدحت مع حسين : ((شوف حسين خلّي المسائل العائليّة والاجتماعيّة من فضلك على جهة .

- شنو بقى لعد عيني مدحت ؟
- بقي شيء آخر ، هو هذا اللّي أريد أسألك عنه أنت نفسك . حقيقتك .
- "راح تشتغل الفلسفة . الله يسترنا" أجابه :
- آني شنو ؟ هذا آني . ماكو شي مخفي . أكو ؟ بقايا ورواسب المجتمع والعائلة . تف .))[٣] .

---

(١) المثقف والسلطة : ٧٧ .

(٢) ينظر : المثقف والسلطة : ٧٨ .

(٣) الرجع البعيد : ١١٠ .

نجد مدحت يحاول معرفة تغير حسين ويسأله عن نفسه عن حقيقة وجوده فالثاني يجيب بكلام يدلُّ على إنَّه تخلى عن التقاليد الاجتماعية ، إلا أنَّ التراث بقي لصيقاً به ولا يمكنه التخلي عنه نهائياً ؛ لأنه تربى على هذا التراث فهو لا يستطيع أنَّ يتخلى عن لغته التي نشأت معه منذ الصغر ، ويذكر أنَّ ما تبقى هو فقط بقايا المجتمع والعائلة ورواسبها ، وهو لا يعجبه هذا الشيء فيبصق على هذه البقايا من المجتمع والعائلة ويصف ما تبقى منها بالرواسب ، فشبه بقايا المجتمع والعائلة بالرواسب أي بالشيء القذر وهو يرفض الصلة بالمجتمع والعائلة فيبصق عليها ، وإنَّه لم يبقَ من كيانه شيء سوى ما يتصل به بهذا المجتمع والعائلة ، وهو مفلس من هذه الحياة لا يجد ما يجعل له الأمل في الصلة بها ويرفض التقاليد التي تنص على اتصاله بعائلته ؛ لأنه يجدها لا تساوي شيئاً عنده ، نرى التكرلي يجعل مثقفه محيّ يبصق على الحياة وهنا يجعل مثقفه حسين يبصق على مظاهر المجتمع والعائلة اللذين يمثلان الحياة فيقول : (أكو ؟ بقايا ورواسب المجتمع والعائلة .. تف)، كما إنّ مدحت يثور على التراث الشعبي ، كما في الرواية : ((لم تعدّ سلسلة الكهوف المظلمة من رغبات الأجداد وأمزجتهم تحيط به . ما عاد يسبح مع القطيع في تيّار النّهر النجس لترسّبات أولئك الذين نحتوا ، خفيةً ، أعماقه ، وعقدهم. لا . إنه ليس منغرساً في طينهم الأسود ، لقد ارتمى على الشاطئ المنور ، وباستطاعته أن يحيا وأن يموت إذا أراد . ولكن .. ماذا بمقدور الإنسان الوحيد أن يعمل ؟ أن يكون أمثولة ، فحسب ؟ أم أنَّ الطريق الذي يبدأ برفض الفناء يجب أن ينتهي بسعادة الإنسان بشكل من الأشكال ، لأنها هي الغاية الأخيرة المشروعة ، الغاية المقبولة؟))[١] .

---

(١) الرجع البعيد : ٤٠٩ .

يتضح رفضهُ كلّ التقاليد البالية التي توارثها عن الآباء والأجداد ودعا إلى الثورة على هذه التقاليد ؛ لأنّها لا تقود الإنسان إلا إلى التعاسة والجرم ، يتضح ذلك في موقفهِ من منيرة زوجته ، إذ قرر أنْ ينجو من ظلمة الكهوف التي تشمل رواسب الآباء والأجداد ، وهو وحده الذي يقرر مصيره ، أنْ يحيا بسعادة مع زوجته ، أو أنْ يقتلها غسلاً للعار وأنّ هذا الصراع جعله يكون معزولاً ؛ لكنه بعد ذلك قرر الثورة على هذه التقاليد فهو مثقف ثوري ، قرر العودة إلى زوجته وعدم قتلها ، ولكن قتله برصاصة مجهولة منعته من إيصال صوته الثوري .

وفي رواية (خاتم الرمل) ترى الباحثة أثر التراث الشعبي في التمسك بالتقاليد الاجتماعية بارزاً من خلال والد هاشم الذي يحترم هذه التقاليد ، ويعدها الأساس الذي يقوم عليه الاحترام في المجتمع ، ولذلك يؤنب ابنهُ : ((هذا الاستهتار منك بالتقاليد وبالناس وبالأخلاق ؟ وهل تظنّ نفسك حرّاً ، تفعل ما تشاء دون رقيب أو حسيب ؟))[١] ، إنَّ والد هاشم إنسان مثقف فهو قاضٍ وهو بحكم هذا المنصب يملك ثقافة وهو يحاول التغيير من موقف ولده هاشم باستهتاره بالعادات والتقاليد الاجتماعية ، وذلك بفعله الذي قام على تركه خطيبته يوم الزواج ، وقد أثار هذا الأمر فضيحة في بغداد وهو يتحمل العار الذي أوقعه به ولده ، وإنَّ هذا الأمر كما يعتقد والده قد أدى إلى عدم رفع اسمه في ضمن قائمة القضاء المرشحين للترفيع إلى عضوية محكمة التمييز ، إنَّ ما جعله يظن أنَّ الفضيحة سبب ذلك ، هو أنَّه يعظم التقاليد ويعرف مدى تأثيرها في المجتمع ، وهو يريد أنْ يعيد ولده إلى صوابه فهو مثقف متمسك بالتراث ، وهو يحاول الاصلاح الاجتماعي عن طريق تغيير موقف ولده ، فهو بذلك يعد فعالاً في المجتمع مثقفاً عضوياً ، كما يحدده انطونيو غرامشي بطريقتين الأولى ((تعريف المثقفين بالمكانة والوظيفة اللتين يشغلونهما في داخل بنية اجتماعية ، وهذا النمط

---

(١) خاتم الرمل : ٢٦ .

سايسلوجي ، أما التعريف الثاني الذي من النمط التاريخي فيعتمد إلى تحديد المثقفين بالمكانة والوظيفة اللتين يشغلونهما في داخل سيرورة تاريخية))[1] ، إنَّ النص يحيل على رأيين : الأول أنَّ كلِّ من يشغل وظيفة فهو مثقف ، والرأي الآخر يشير إلى أنَّ المثقف يتحدد بمكانته الوظيفية ، إنَّ والد هاشم يشغل وظيفة في داخل المجتمع وهي مهمة يمكنه من خلالها الاصلاح ، فهو مثقف عضوي ، وذلك واضح من موقفه تجاه ولده ، ونجد هاشم يجد الحق لوالده لمعاتبته له ، وذلك من خلال استهانته بالتقاليد ، ويذكر إنَّ السبب في كل ما يفعله هو الظروف التي عاشها والتي أثرت عليه فقلبت كل الأُمور لديه ، وإنَّه ينظر إلى العالم بمنظار غير مستقيم وبطريقة شاذة ، ولكنه يجد في نظرته الشاذة الكشف عن بعض الأُمور التي يعدها عورات ، ولكنه قد لا يملك القدرة على تصحيح هذه العورات ، بل يمكنه الكشف عنها ليس إلا ، وهو بهذه الطريقة مثقف معترف بخطأهِ لكنه لا يستطيع أن يحيد عن مساره الذي اتخذهُ ؛ لأنه يجد فيه كشفاً عن عورات ، وقد تكون مميزات معقدة أعلى من مستواه يحتاج تقويمها الصحيح إلى خبرة وكفاءة عميقة قد لا يملكها هو ولكنه مثقف راضٍ بوضعه ملتزمٌ بأفكاره ، فهو يرى أنَّه حرّ في كلّ أفعاله ويمكنه التحكم بأفعاله كيفما يشاء .

أمّا رواية (المسرات والأوجاع) فترى الباحثة التراث الشعبي من خلال مواقف عدّة، فوالدة توفيق معلمة وهي مثقفة ، إذ كانت حاصلة على شهادة ، متمسكة بالتقاليد كما نجد ذلك من خلال الرواية : ((كان موقعه في العائلة يسمح له بتجاوز الحدود بحدود؛ فوالدته تمنحه قروضاً لا سداد لها ، وهي تعلم بذلك ؛ إلا إنها مع ازدياد خروجه عن المألوف وسهراته وإفراطه في التمتع بفراغه وشبابه ، أمست تميل بنفسها وبعواطفها عنه ، وتشعر دون إرادتها ، بأنه لم يعد ذلك الابن الوسيم اللصيق بالقلب ، وكان عبد الباري على الضد ، خنوعاً لجميع أفراد العائلتين يهمه أن يخدم الكل بنفس

---

(١) فكر غرامشي السياسي : ١٣ .

الحماس))[١] ، فوالدته متمسكة بالتراث الشعبي العادات والتقاليد ، وأنَّ ثقافتها متصلة بالتقاليد وترفض أية ثقافة وافدة أخرى ، كانت تحب توفيق وهي لا تقصر في منحه ما يريد ، ولكن بعد ملاحظتها تغير تصرفاته ، وأنَّه دائم الخروج من المنزل مفرطٌ في التمتع بشبابه يعدُّ عندها خروجاً عن التقاليد التي توارثتها وتربت عليها وربت أبناءها عليها ، فأدى قوة تمسكها بها وأفكارها المتصلة بالتقاليد إلى نبذها ولدها وعدم شعورها به كما كانت من قبل ، فتغيرت عاطفتها نحوه لخروجه بأفكاره التي قادت تصرفاته إلى مخالفة ما ألزمته به والدته ، أمّا عبد الباري فعلى العكس كان مثالاً للالتزام بالعادات والتقاليد والالتزام بالتراث ، فهو بارٌ لوالديه ، ومطيعٌ ، ومساعدٌ لأفراد أسرته وأسرة زوجته ، مما جعله على الرغم من قبح منظره أثيراً إلى والدته عكس توفيق وحتى زوجته ثريا تجد فيه ما لم يره الآخرون فهو مثال للعادات والتقاليد ، ونجد موقف والدة توفيق ، وموقف ثريا زوجة عبد الباري هو نفس الموقف من العادات والتقاليد ، إنَّ التكرلي جعل توفيق رمزاً للثورة على التراث وما توارثوه من تقاليد ، فموقفهم كان رافضاً له إذ أنَّ الوالدة وزوجة عبد الباري اللذين رمز لهما بالمجتمع فهما يرفضان هذه الثورة على التراث (الخروج عن التقاليد) ، فاضطر للبقاء في مجلس عزاء والدته تجنباً للانتقاد على الرغم من معرفته بعدم تركها شيئاً له من الإرث ، فجاءته فكرة القناعة لتواسيه، غير أنَّه من المؤسف أن تكتشف أنّ القناعة ليست كنزاً[٢] .

أمّا موقف توفيق من التقاليد فكان مغايراً ، وهو ما يعني أنّ الالتزام بالثقافة التقليدية أصبح معياراً للمثقف التقليدي يقايس عليه الأمور ، وهو إنْ بدى ملتزماً أحياناً ، إلا أنّ ذلك كان بدافع تلافي انتقاده من المجتمع الذي يعيش فيه مثل بقائه في اليوم الثالث من فاتحة أمه على العشاء ، على الرغم من عدم رغبته بذلك ، إلا أنَّها من

---

(١) المسرات والأوجاع : ٤٠ ، ٤١ .

(٢) ينظر : المسرات والأوجاع : ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

التقاليد المتوارثة من الآباء والأجداد فهو مساندٌ لها ليس بقناعة منه ، ولكن من أجل إرضاء المجتمع ، وكذلك تفكيره بكلام أخيه عبد الباري عن القسام الشرعي بأن لا فائدة منه ؛ لأنَّه لا يجد ما يرثه من والدته حتى البيت قد أصبح لأخيه ، فكان عليه القناعة بما قاله أخوه ، وأنَّه يعرف أنَّ هذا هو الظلم بعينه ، إلا أنَّ القناعة هي الوسيلة الوحيدة التي تجنبه الألم والحزن على أمور الدنيا ، وعليه أنْ يقتنع بما قاله أخوه تجنباً لخسارته ، أو يُنتقد من المجتمع فقد ساير التقاليد من أجل أنْ تسير حياته بهدوء ، فإنَّ توفيق مثقف يرضى بالتراث في بعض الأمور التي تتطلبها الحياة وعليه أنْ يسايرها حفاظاً على بقائه في هذا المجتمع ، وإنْ كانت النتيجة التنازل عن بعض حقوقه ، فعلى الرغم من عدم اقتناعه بهذه الحكمة الشعبية، إلا أنَّه اضطر للعمل بها؛ لأنه مثقف وتستوجب هذه الثقافة الهدوء والإتزان ، ولا تقوم على التسرع وأخذ الحقوق بالقوة بل بالإقناع وتغير الأفكار ، ونجد موقف كميلة يتغير من ثائر على التراث عندما حاولت إغراء توفيق للزواج منها ، ولم تلتزم بالتقاليد الرافضة لأفعالها إلى ملتزم بالتراث، فنجدها تبذل قصارى جهدها من أجل حصول الحمل حتى أنَّها تبدلت عاطفتها تجاه توفيق أصبحت تكره التصاق جسديهما ، وبعد ذلك طلبت الطلاق ، وتم ذلك وقد طردته من بيتها وهي تصرخ أذهب إلى باريس ، لعلها تزال تنتظرك ، قل لها إنَّ رسائلها لم تصلك ، وإنَّ ذلك الطلاق عدَّ ضربة لآل قصابي طلاق أبنتهم الثانية ، لكن كميلة أرادت أنْ تثبت غير ذلك فقد كانت على علاقة مع أخ زميلتها جاسم الرمضاني مع الاحتفاظ بشرفها وبعد انتهاء حقبة العدة سارع إلى خطبتها والزواج منها[١] ، إنَّ موقف كميلة من التقاليد متقلب بين رفض ورضوخ ولكن لمصلحتها الخاصة فهي كانت رافضة لها، ولكن بعد أنْ ضاعت أحلامها ولم تحصل على أهم

---

(١) ينظر : المسرات والأوجاع : ٩٨ ، ١٩٤ ، ٢٠١ .

شيء تبحث عنه المرأة هي أنْ تصبح أُماً وتكون أسرة، هذا هو الدافع الحقيقي الذي دفعها نحو توفيق؛ لأنها وجدته زوجاً مناسباً ليكون أباً لأبنائها ، وعندما علمت بعقمه نبذته وقصرت في حقوقه وانفصلت عنه ، وهي ترفض تصرفاته بصلته بحبيبته آديل التي كانت في باريس ، وموقفه هذا معارض للتقاليد التي تمنع العلاقة بين الرجل والمرأة وهي تندد بتصرفاته وحاولت منع هذه العلاقة ليس من أجل الحفاظ على التقاليد ، ولكن من أجل مصلحتها من أجل البقاء مع توفيق فهي تنبذ تصرفاته المعارضة للتقاليد ، ولكنها تسمح لنفسها وتفتخر بالخروج عنها على الرغم من أنّها امرأة ويحاسبها المجتمع على ما تفعل ، وهي امرأة قوية غير مبالية بكلّ من حولها ، فقد أقامت علاقة مع أخ أحد زميلاتها من المعلمات ، فبمجرد انقضاء العدة سارعت إلى الزواج منه فهي مثقفة مصرة على تحقيق ما تطمح إليه، هو تكوين أسرة من خلال إنجابها طفلاً ، أي الحصول على ما تريد ومهما كان الثمن ، فقد ثارت على التقاليد، لكن مصيرها كان الموت اثناء الولادة ، أنَّ التكرلي جعل نهايتها مثل نهاية مدحت مثقف (الرجع البعيد) عندما قرر أنْ يثور على التقاليد كانت نهايته الموت برصاصة مجهولة ، أراد أنْ يبين أنَّ التراث متأصل فينا ولا يمكن التخلص منه بسهولة ؛ لأنَّ أغلب من حولنا يعارضون الثورة على التراث، فإذا أردنا تغير ما فيه من تقاليد خاطئة فعلينا بتثقيف المجتمع من حولنا ، كي يتقبل فكرة هذه الثورة على التقاليد وأنَّ كميلة هي مثقفة وجودية بافكارها ؛ لأنها ترى أنَّها حرَّة بتصرفاتها فتدعو إلى الإباحية في كل الأمور على العكس من منيرة التي كانت ملتزمة بالتقاليد، وكانت ضحية سفاح المحارم إبن أختها عدنان ، نجد هذا الفرق بين الشخصيات يدلُّ على مدى تطور التفكير الثقافي لدى الشخصيات المثقفة ؛ وذلك بالانفتاح على ثقافة الآخر، وذلك لازدياد المطالعة بالكتب المترجمة والروايات من الغرب إلى اللغة العربية مما أدى إلى انفتاح الفكر العربي .

إنَّ شخصيات التكرلي إشكالية ((وتتخذ الحياة مساراتها على انها مجموعة من الإشكالات والتحديات [...] أو مع التقاليد والأعراف))[١] ، وإنَّ توفيق مثقف إشكالي يواجه تحدياً مع التقاليد والقيم ، ونلحظ الفرق بين كلا المجتمعين ففي رواية (المسرات والأوجاع) ، كان توفيق يعاني من مجتمع قاسٍ مِن الصعوبةِ التكيف معه بسهولة وحياة تحمل له الظلم ، أمّا المجتمع في رواية (الرجع البعيد) فكان مجتمعاً أكثر توافقاً وتفاعلاً مع الشخصيات ويضمُّ نوعين من الفئات فئة تقوم على الفساد مثل عدنان وفئة أخرى ملتزمة بالتراث والتقاليد مثالها مدحت وأسرته، فنجد المجتمع له التأثير الكبير في تكوين الشخصية المثقفة ؛ وذلك لما له من تقبل أفكارها أو انتقادها .

يمكن إجمالاً القول أنَّ الأثر التراثي واضح في بنية الروايات جميعها ، بوصفه ثقافة ، أو نسقاً ثقافياً يظهر مرة ويضمر مرة أخرى ، وأنَّ شخصيات التكرلي توزعت بين التأثر فيه ، والثورة عليه فجاءت مواقفها منقسمة ، وتبعاً لذلك تبنت سلوكيات مغايرة ؛ لذا لابُدَّ من الإشارة إلى أنَّ التراث ظهر بمفهومه العربي وما يشمله من (تراث ديني ، واقتباسات قرآنية ، وتناص من أقوال آل البيت، والكتب الأدبية ، والقيم ، والأعراف الدينية) .

أمّا التراث الشعبي فيشمل كل من (العادات ، والتقاليد ، والحكم ، والأمثال الشعبية ، والموسيقى) .

ونرى أثرها واضحاً في الروايات ، لكننا قد بينا موقف المثقف فقط من هذين المفهومين للتراث على الرغم من ظهوره على لسان بعض الشخصيات غير المثقفة مثل عمة مدحت وغيرها من الشخصيات في استعمالها الحكم والأمثال الشعبية .

---

(١) نزعة الحداثة في القصة العراقية (مرحلة الخمسينيات) : ٨٤ .

الفصل الثاني
المثقف والموقف من السلطة السياسية

- مدخل :

منذ نشأ الإنسان عرف بحريته ، ولا توجد أحكام تضبط أفعاله ، فشاعت الفوضى ؛ لذلك كان لابدّ من إيجاد سلطة تقيد هذه الحرّية وتتحكم بأفعاله لإسادة النظام ، وهذه السلطة هي (السياسية) ، فتباينت مواقف الأفراد من سياسة هذه السلطة ، وذلك بحسب الأحكام التي تصدرها أكانت عادلة أم مستبدة ، فتحيل كلمة سلطة في المعجم إلى سلط : ((السلاطة معناها القهر وقد سلطه الله فتسلط عليهم ، والاسم سُلطة بالضم))[١] ، أي أنَّ السلطة تعني الشدة والقوة .

أمّا مفهوم السلطة في معجم علم الاجتماع : ((فهي نوع من أنواع القوة تنظم جهود وواجبات الآخرين ، من خلال الأوامر التي تصدرها لهم ، إذ تعدُّ هذه فعالة لكونها صادرة من أشخاص شرعيين حسب اعتقاد الأشخاص الخاضعين لمشيئتها ، وتختلف السلطة عن السيطرة القسرية أو الجبرية من حيث ان الأخيرة تلزم الأفراد على التكيف لمشيئتها من خلال مقدرتها على فرض العقاب أو تقديم المكافأة)) [٢] ، أي إنّ السلطة قوة تقوم بتنظيم المجتمع من خلال قوانينها التي يصدرها رجال السلطة ، وتختلف عن السيطرة القسرية التي تجبر الأفراد على الالتزام بأوامرها من خلال فرض عقابها عليهم أو مكافئتها لهم ، و((يظهر التطور التاريخي لحركية السلطة السياسية ، إنها تكون بنية نزاعيه على الدوام وتشكل مركباً قلقاً ، يمثل تصارعاً على المصالح ومناطق النفوذ ، فمن يمتلكها يقضي على منافسيه أو يقضون عليه ، إلى أن يأتي من

---

(١) لسان العرب ، مادة (سلطة) .

(٢) معجم علم الاجتماع ، تحرير البروفسور : دينكن ميشيل ، ترجمة : د. احسان محمد الحسن، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، د.ط ، ١٩٨٠م : ٣٦ .

يقضي عليهم وهكذا))[١] ، ويتضح أن السياسة تقوم على الصراع المستمر ، ولا تعرف الهدوء من أجل إثبات نفوذها ، وعليه يمكن تعريف علم السياسة ، بأنه ((علم دراسة الحكومة ودراسة عملية الممارسة السياسية، ودراسة المؤسسات السياسية والسلوك السياسي ، وعرف معجم ليتريه الفرنسي السياسة بانها علم حكم الدول ، كما عرفها أيضاً معجم روبير الفرنسي فن حكم المجتمعات الإنسانية ، أمّا في علم الاجتماع فقد ورد في قاموس العلوم الاجتماعية المعد تحت إشراف اليونسكو بأن السياسة تعنى بممارسات الأعمال الإنسانية التي تسوي أو تدعم وتتابع الصراع بين الصالح العام وبين مصالح الجماعات الخاصّة ، والتي تشمل دائماً على استعمال القوة أو السعي إليها))[٢] ، بمعنى أنَّ السلطة السياسة هي التي تسير أمور الناس ، ومن هذه التعريفات نجد السياسة ترتبط بالدولة، وسياسة الحكومة كذلك ترتبط بالمجتمعات الإنسانية التي تتكون من طبقات مختلفة وطوائف متعددة فلابدَّ أنْ تقوم صراعات بينها فتقوم الدولة بالحفاظ على سيادة النظام في هذه المجتمعات ، وإنَّ الدين الإسلامي يُعَدُّ الأساس لوضع القوانين التي تحكم الأمة ، وبذلك حطمت الأنظمة السابقة ولغتها التي تقوم على العصبية القبلية وحطمت التراتيبية في أنظمة الدول العظمى بوصفها شكلاً عصبياً وأسطورياً مغلقاً يقوم على أساس الاعتداء والانتصار على الشعوب الضعيفة، لكن السلطة من الناحية السياسية لا تنفصل عن العنف فالعنف موجود ؛ لأن المجتمع في حالة تغالب وتنازع، فالتغالب أنّ الإنسان يريد الاعتراف بقرارته كقيمة مطلقة ، ويبين الطبقة السائدة ، والاستبداد هو الجهاز الأول للحكم العربي ، إنها نتيجة الواقعية

---

(١) فاعلية السلطة في الرواية العراقية فؤاد التكرلي أنموذجاً : ١٧٦ .

(٢) مبادئ علم السياسة ، د. نظام بركات ، د. عثمان الرواف ، د. محمد الحلوة ، دار الكرمل للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط١ ، ١٩٨٤م : ١٦ .

العصبية ، عندما تفسر نفسها إلى سلطان سياسي فالاستبداد يمارسهُ الأكثر قوة وان الأقوى في التجربة العربية التاريخية فهو الأقرب إلى البدائية والطبيعية[١] .

العنف إذن ملازم للسلطة السياسية من أجل سيادة النظام والقضاء على الصراعات وتثبيت مركزية الدولة[٢] .

في أغلب الأحيان تقوم سلطة الدولة باستغلال المواطنين من أجل مصلحتها في البقاء بقوة وديمومة .

إنَّ الاستغلال يكون أقدر على توجيه المواطنين سياسياً فهو يقوم بفصل معسكرين هما المُستَغلين الذين ينهبون فضل القيمة الزائدة والمُستَغِلين الذين لا يملكون

---

(١) ينظر : الفساد والسلطة (اركيولوجيا المنشأة المزدوجة التمفصل الوقائعي للسلطة في العصور الوسطى) ، د. قصي حسين ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط١، ١٩٩٣م : ٥ ، ١٠ .

(٢) ينظر : الدولة والقوى الاجتماعية في الوطن العربي علاقات التفاعل والصراع ، د. ثناء فؤاد عبد الله ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٨م ، ط٣ : ٣٠٣ ، ٣٠٥ ؛ ذكر الحديث حول ظاهرة العنف السياسي من قبل (حسنين توفيق إبراهيم) ، قد وضع ثلاث اتجاهات للعنف: الأولى تتعلق باستخدام القوة المادية، أما الاتجاه الثاني: استخدام القوة المادية أو التهديد باستخدامها ، اما الثالث : العنف كأوضاع هيكلية فهو مجموعة تناقضات واضطرابات في الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية للمجتمع وتقوم على عدة أمور فهي عدم التكامل الوطني داخل المجتمع وسعي بعض التجمعات للانفصال عنها ، وفقدان العدالة الاجتماعية وعدم إعطاء بعض القوى ممارسة حقوقها السياسية ، وعدم توفير الحاجات الأساسية لقطاعات عديدة من المواطنين الحاجة إلى الطعام والتعليم الذي يعد مصدر الثقافة والجوانب الصحية.
ان ظاهرة العنف هي ليست دائماً ظاهرة مرفوضة ، فهناك بعض الأمور تتطلب العنف مثلاً التحولات الثورية الكبرى كالأمور الاجتماعية والسياسية ، إن على الدولة أن تستخدم العنف ضمن حدود معينة ، كي لا تجور على حقوق وحريات المواطنين .

جهدهم فقط[١] ، أي أنَّ الدولة إذا تَطَلَب الأمر تقوم باستغلال الجماهير لمصلحتها الخاصّة ، إذ إنها قد تستبد في أحكامها ؛ وذلك لمصلحتها الخاصّة فهي حكومات مستبدة[٢] .

وهذا الاستبداد ينجم عن استبداد حكامها بشعورهم بالرفعة والسمو لمكانتهم، وهم يتمتعون بإرادة من طبيعة سامية بحكم منصبهم[٣] ، إذ أنَّهم بحكم منصبهم يفرضون قوانينهم على الأفراد ، وعليهم أن يخضعوا لهذا الاستبداد .

وتحاول سلطة الدولة كسب الطبقة المؤثرة في المجتمع وهم المثقفون لأجل إبقاء ديمومتها ونشر أفكارها وعلى هذا يمكن أن نجد صنفين من المثقفين ، الأول منها : هو المثقف الشعبوي الذي يقدس الجمهور ويكون ذا صلة قوية به ، ويعدّ تطوره هو تطور المجتمع ومصلحتهما واحدة ، والمثقف الآخر هو النخبوي الذي يقوم على احتقار العامة ويتصور التاريخ فعلاً عاقلاً تقوم به نخبة ملهمة ، أي أنَّ ما يهمه هو مصلحته الخاصة ، إنَّ الأول هو المساند للشعب اما الآخر فهو المتعالي عنه[٤] ، ومن هنا يظهر الموقف المتباين من السلطة .

---

(١) ينظر : قاموس علم السياسة والمؤسسات السياسية ، ترجمه إلى العربية : هيثم اللمع ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٥م : ٥٢ .

(٢) ينظر : دراسات في علم السياسة ، د. يوسف محمد عبيدان ، دار الكتب القطرية ، ط١ ، ١٩٩٠م : ٢١٦ .

(٣) ينظر : المعرفة والسلطة ميشال فوكو ، عبد العزيز العيادي ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٤م : ٤٧ .

(٤) ينظر : نهاية الداعية الممكن والممتنع في أدوار المثقفين ، عبد الإله بلقزيز ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط١ ، ٢٠٠٠م : ١٣ .

- سينوغرافيا الغلاف ودلالة العنونة :

نلحظ من خلال دراستنا لروايات التكرلي إن أغلفة الروايات وعناوينها توحي إلى معنى السلطة السياسية ، فهو كان دقيقاً في اختيار عناوينه : ((إنه يزن كلماته وزناً ويثقف حروفه تثقيفاً))[١] ، وكذلك ما تحويه رواياته من مواقف للمثقف من هذه السلطة جراء أسلوبها المستخدم تجاه الشعب وتجاهه .

ترى الباحثة أنَّ سينوغرافيا الغلاف في رواية (بصقة في وجه الحياة) تعكس بعداً سياسياً ، إذ أنَّ اللوحة التي على الغلاف تشير إلى مظهر من مظاهر الفساد في المجتمع ، المجتمع الذي يجب أنْ يقوم على مبادئ وقيم تصون كرامة البشر ، فنلحظ الانحلال الخلقي واضحاً وهو يصور النساء في وضع سيء ماجن، على عكس ما تنص عليه كرامة المرأة ؛ لأن السلطة السياسية لم تلب ظروف العيش الملائمة كي لا تلجأ المرأة لهذه الأمور وسيلةً للعيش .

أمّا رواية (الوجه الآخر) فترى الباحثة ما كُتِبَ عليها يوحي إلى السلطة السياسية ((لا شيء يريح في هذه الوجوه ألمه في المستشفى ، ذلك الانطباع الذي كان يصدمه في وجوه معارفه وبعض موظفي المستشفى)) ، إنَّ تصوير حالة محمد جعفر ممّا يحمله من ألم وعدم ارتياح في المستشفى جراء ما حدث لزوجته، وفقدانه مولوده المنتظر قد خسر كل شيء فضلاً عن ثقل الدَين الذي إستدانه من أجل إنقاذ زوجته والمولود ، فهذا التردي الاقتصادي إنما سببه سلطة الدولة آنذاك ، إذ لم توفر الدخل الكافي لموظفيها لسد احتياجاتهم الاعتيادية .

وفي رواية (الرجع البعيد) نجد ما كُتب عليه يدلُّ على السلطة السياسية واضطهادها للشعب فقد كُتب : ((تفتح الرواية على عائلة متعبة ذات مساء ، وتنتهي في ليلة ماطرة في شارع خالٍ ترقد عليه جثة صرعها الرصاص ، تتشكل الرواية في

---

(١) في القصص العراقي المعاصر : ١٣ .

المسافة الواصلة ين التعب والموت ، بين دفء العائلة وبرودة الشارع ، البيت العتيق الحالم والعاجز والجثة الهامدة التي صرعها الرصاص خطأ في يوم دامٍ)) ، تكتب هذه العبارات على غلاف الرواية لتصف حالة عائلة متعبة تعاني سوء العيش، وضعف الحالة الاقتصادية لما تصوره لمسكنهم البيت العتيق والجثة التي صرعها الرصاص خطأ جثة مدحت فكل هذا نتيجة التحولات السياسية التي أدت إلى استلاب حقوق المواطنين .

لا يزال أثر (السلطة السياسية) موجوداً في غلاف رواية (خاتم الرمل) أيضاً فترى الباحثة اللوحة المرسومة عليه تدلُّ على السلطة السياسية ، إذ توجد صورة صقر يحط على منزل قديم البناء ، وصورة رجل بشكل مقلوب ويحط بجانبه صقران ، فإنَّ الصقر يدلُّ على السلطة السياسية ، المستبدة التي تسلب حقوق المواطنين ، التي لم توفر لهم وسائل العيش الهنيئة ، فهو يحط على منزل قديم ، وهذا دليل على سلطتها على الأُسر العراقية ، أما إحاطة كلا الصقرين بجانبي صورة الرجل المقلوبة ، فهي تدلُّ على استبداد السلطة وهيمنتها على المواطنين وتدخلها في أمورهم وتسيرهم بحسب ما تريد فهي تحيط بهم من كلّ جانب وتتحكم بحياتهم وتقلب الأُمور عليهم ، ومن خلال استبدادها تجد نفسها فوق القانون، ومن حقها التحكم بالأفراد ، وتسير الأُمور بمنظورها الخاصّ ، وأنْ كانت بصورة مقلوبة وخاطئة إلا أنَّ على الأفراد القبول بها وإطاعتها .

أمّا رواية (المسرات والأوجاع) فبحسب ظن الباحثة نجد أن اللوحة الموجودة على واجهة الغلاف التي تحمل صورة منزل قديم ونساء يرتدين ملابس بسيطة ، تدلُّ على عدم توفير السلطة وسائل العيش الهنيئة لمواطنيها ، فهم يعانون من حرمانهم أبسط الحقوق منزلاً جيداً يعيشون فيه وبدونه يكون الإنسان تائهاً .

أمَّا رواية (اللا سؤال واللا جواب) فسينوغرافيا الغلاف بحسب ظن الباحثة يشير إلى السلطة السياسية من خلال ما كتب على غلاف الرواية : ((تحولات عائلة عراقية

صغيرة منذ الثمانينات الماضية إلى منتصف التسعينات هي تحولات العراق كله ، لا أحد يطرح الأسئلة عما يحدث ولا أحد يجيب !)) ، إنَّ هذا يشير إلى معاناة العائلات العراقية ؛ بسبب سياسة الدولة ، وأنَّ السلطة استلبت حقوق المواطنين حتى حقهم في معرفة ما يحدث فلا حق لأحد أن يطرح الأسئلة ولا أحد يلقي بالاً لهم فيجيب ، ويضع علامة التعجب متعجباً من عدم وجود شخص للإجابة عن أسئلة المواطن أي لا يوجد من يجيب .

أمّا عنوانات الروايات فتحيل إلى (السلطة السياسية) كما نجده في رواية (بصقة في وجه الحياة) تمرداً على السلطة السياسية ؛ لأن البصق هو أردءُ أنواع الرفض فهو يستعمله على الحياة التي يعيشها فهو رافضٌ لها ، ومتمردٌ عليها ؛ لأنها لا تلبي احتياجاته ولا تتلائم مع أفكاره ، وإن ما يسيرها هو السلطة السياسية عن طريق حكامها السياسيين في الدولة ، فهو ناقمٌ عليهم ومادامت الشخصية الأساسية مثقفة ، إذن هي ذات أفكار خاصّة لما تقرأهُ من مصادر تثقيفية ، فلا يمكنها بسهولة أنْ ترضى بالحياة كما هي الحياة المسيرة بحسب أفكار الحكام والسياسيين .

وفي (الوجه الآخر) بحسب ظن الباحثة يوحي العنوان إلى السلطة السياسية ، ذلك أنَّ للسلطة السياسية وجهين الأول منهما : هو الظاهري الذي تتستر به الدولة المساند للشعب والذي يدافع عن حقوقه ، اما الثاني فهو الوجه الباطني الذي تخفيه الدولة وهو العمل من أجل مصلحتها الخاصّة ، واستغلالها للشعب لمصلحتها ولا تعمل للصالح العام بل الخاصّ فقط .

وفي رواية (الرجع البعيد) تظن الباحثة إنه يشير إلى عودة المواطنين ورجوعهم ومنذ القدم للسلطة السياسية ونفوذها .

أمّا رواية (خاتم الرمل) فنعتقد أن العنوان يوحي إلى السلطة السياسية وعلاقتها بالشعب ، أنَّ (الخاتم) هو رمز الصلة والارتباط ، فيرمز إلى صلة السلطة بالشعب ، وبما أن الخاتم من رمل إذن العلاقة بين السلطة السياسية والشعب هي علاقة واهية

وزائلة لا يوجد لها أي أصل من الثبات ؛ لأن الدولة تعمل لمصالحها الخاصّة وتستغل الشعب لمصلحتها الخاصّة ، أمّا الشعب فيروم إلى التحرر ومحاولة التخلص من سلطة الاستبداد السياسية .

في رواية (المسرات والأوجاع) بحسب رؤية الباحثة تجد العنوان دالاً على (السلطة السياسية) فـ(المسرات والأوجاع) كلمتان متضادتان استعملهما الروائي، لمقابلة الواحدة للأخرى ، فالأولى تتعلق بالسلطة السياسية وعلاقتها برجالها ، أي رجال السلطة وما توفره لهم من رفاهية العيش وتتكفل بحياتهم على أفضل ما يمكن وتساندهم بكافة أمورهم صائبة أم خاطئة ، والثانية تتعلق بعلاقة الدولة بمواطنها واستبداد سلطتها عليهم واستلابها حقوقهم وعدم توفير أبسط وسائل العيش ، فتسبب لهم الأوجاع والآلام لما يعانونه من ظروف قاسية وشغف العيش ، فتكون المسرات لرجال السلطة والأوجاع لابناء الشعب .

أمّا عنوان رواية (اللا سؤال واللا جواب) فترى الباحثة إنه يوحي إلى معنى (السلطة السياسية) واضطهادها للشعب فإنها تفعل ما يحلو لها وما تجده يلائم مصلحتها، وإنَّه لا حقَّ لمواطن يسأل عما تفعله (السلطة السياسية) وحتى إنْ سأل لا يوجد جواباً عما يسأل عنه ؛ لأنَّ السلطة استبدادية بكل ما تفعله ، ولا ترضى لأيٍ كان أنَّ يواجهها ويحاسبها على أفعالها عن طريق سؤالهِ وبحثه عن جوابٍ منها إذن نفوذها يقوم على مبدأ (اللا سؤال واللا جواب) .

- المثقف والموقف من السلطة السياسية :

برز أثر السلطة السياسية وبصورة مستبدة للشعب لاسيّما المثقف ؛ لإثبات وجودها متمثلاً بطريقتين وموقف المثقف منهما :

١- الطريقة المباشرة وموقف المثقف منها : وتتمثل باستعمال وسائل القمع والتعذيب والقتل .

٢- الطريقة غير المباشرة وموقف المثقف منها : متمثلة بتدهور أوضاع المواطنين من خلال تقصير السلطة بواجباتها وانتشار الفساد الإداري فيها .

١- الطريقة المباشرة وموقف المثقف منها :

تبين هذه الطريقة الوجه الواضح للسلطة وأساليب العنف التي تؤدي بحياة مواطنيها .

ويمكن رصدها في رواية (بصقة في وجه الحياة) إذ كان للسلطة السياسية الأثر المباشر على الشعب على الرغم من قلّة ظهور هذا الأثر في الرواية إلا في مواقف قليلة ؛ لأنها تبين الجانب غير المباشر للسلطة بصورة أوسع من خلال إظهار الجانب المعيشي للمثقف ووعيه به ، تؤكد الرواية الوسائل القمعية من السلطة السياسية عن طريق جهازها الشرطوي متمثلة بمحيّ عند تحقيقه مع الشيخ الذي قتل زوج إبنته فهو يقول : ((حاولت أن استخلص اعترافاً من الشيخ فلم يمكنني ذلك قط، إذ لبث في كل ساعات الاستجواب جامداً جمود الحيوان ، لا يظهر عليه أي اهتمام بنا وبأسئلتنا الموجهة إليه [...] وإلى هذا الحد لم أكن متضايقاً ؛ إلا أنَ إلحاحي على الشيخ ، حتى بوسائل غير مشروعة ، وسكوته المتعمد أثار أعصابي وأخرجني عن طوري))[١] ، نجد محيّ وهو يمثل جهاز الشرطة سلطة الأمن والنظام السياسي في الدولة، وهو يمارس وظيفته مسؤولاً في هذه السلطة ، فهو سلطة مصغرة عن السلطة السياسية الكبرى ، فهو يستخدم وسائل القمع والتعذيب غير المشروعة والمرفوضة اجتماعياً ؛ لأنها تخالف الطبيعة الإنسانية وقد كانت وسيلتها وسمتها الأساسية للحصول على اعتراف المتهمين على الرغم من هذه الوسائل القاسية غير المشروعة، إلاّ أنّ الشيخ لم

---

(١) بصقة في وجه الحياة : ٨١ .

يُدلِ بأي اعتراف لما يحمله من ثبات الرأي والصبر على أذى السلطة ، المهم أنْ يخفي ما بنفسه حفاظاً على ألا يُكشف أمره مع ابنته ، هي غايته الأساسية أنَّ الشيخ يمثل سلطة أيضاً ، فهي سلطة الأب على أبنته فقد سلبها جسدياً وقد مارس سلطته عليها وتحكم بمصيرها ، نرى التكرلي من خلال روايته يقابل سلطة الدولة السياسية بسلطة الأب التي تعدُّ كل منهما امتداداً للأخرى ، فالأولى تسلب حقوق المواطنين وتستعمل وسائل التعذيب النفسي والجسدي والثانية تمارس سلطتها على أفراد أسرتها وتستلب حقوقهم وتفرض آراءها عليهم وأحياناً تستعمل أساليب القسوة والتعذيب لأجل معالجة وتقييم سلوك أحد أفراده ، ولتحقيق رغبة من رغباته ، وإنْ كانت خاطئة فعلى الأسرة الرضوخ لسلطة الأب ، كما في الشعب عليه الرضوخ لسلطة الدولة ، وهذا الأب الشيخ هو رمز للسلطة البدائية التي كانت تعمل بجهل وهدفها تحقيق غاياتها الخاصّة ، أمّا محيّ فيمثل الشكل الحديث للسلطة وتطور سياساتها وهو مثقف راضخ للسلطة والمعبر عنها ، وقد تخلى عن موقفه الذي يتحتم عليه أنَّ يحمل الإنسانية في حلِّ المشكلات وإصلاح المجتمع لكنه بفعل ارتباطه بالسلطة السياسية جعلته راضخاً لها وأسبغت عليه طابع القسوة والأنانية .

تؤكد الرواية موقف محيّ من الشيخ ومدى تأثير هذه الحادثة عليه فهو يقول: ((ما هذا التأثير السحري لهذه الفتاة اللطيفة الصغيرة على ذلك العملاق العجيب ؟؟ لم يلبث بعد أنْ رآها بيننا حائرة شاحبة الوجه أن بكى بكاءً مراً مغطياً وجهه بكلتا يديه معترفا بكل العلاقة التي كانت بينه وبين أبنته ، لم يملكني التأثر ذلك الوقت، وأحسست بشماتة وبلذة الانتصار على كبرياء هذا الشيخ المجرم ، لكنني الآن [...] أتذكر القصة قصة الشيخ وصورته القوية ، فيستولي علي الحزن والكآبة [...] صرت أرى فيها معنى خفياً غاب عني أيام التحقيق معنى من معاني الإنسانية الحقة))[1] ،

(١) بصقة في وجه الحياة : ٨١ ، ٨٢ .

هنا يبرز أثر السلطة السياسية المتمثلة بمحيّ وهو شعوره بالشماتة ولذة الانتصار على كبرياء ذلك الشيخ بعد اعترافه بما بينه وبين ابنته من علاقة بعد رؤيته لها فهو أسلوب استعملتهُ السلطة المتمثلة بمحيّ أسلوب معنوي أي أنَّ موقف السلطة لم يقتصر على استعمال وسائل القسوة والتعذيب فقط ، بل تعدته إلى الوسائل المعنوية متمثلة بالتأثير النفسي على المتهمين وذلك بإجبارهم للخضوع إلى السلطة وهو يشعر بهذه الشماته ؛ لأن رجال السلطة يشعرون بالكبرياء والتعالي عمن حولهم ، ويندهش محيّ لتأثير هذه الشابة الصغيرة على هذا العملاق الكبير الذي لم يبالِ للعنف والقسوة التي لاقاها جراء التعذيب ولم يعترف بأي شيء ، ولكنه أمام إبنته ضعّف ذلك لوجود الجانب الإنساني لديه فحركت فيه العاطفة الإنسانية فلم يحتمل ذلك وأخذ بالاعتراف، فالشيخ يرمز للسلطة وإبنته وزوجها رمزاً للشعب المستلب .

يبين التكرلي بروز الوعي الشعبي تجاه السلطة السياسية ، والمعرفة بأسبابها القاسية ، من خلال موقف محيّ وهو يمثل السلطة وينظر إلى المتهمين في حالة انكسارهم نظرة شماته وشعوره بالإباء والنشوة عند التعذيب ، فهذا هو الموقف الأول له الرضوخ للسلطة ، أمّا موقفه الثاني فبعد أنْ أُحيل إلى التقاعد أي انعزل عن السلطة السياسية فقد وجد نفسه يعيش جانبه الإنساني يشعر بما يشعر به الآخرون تجاه موقف في حياته ، فقد انضم من جديد إلى الشعب ليعاني ما عاناه من استلاب حقوقه من الدولة فقد سلبت حقوقه بمجرد انفصاله عن العمل بجهازها أي أنّها تحمي رجالها فقط ، وتضطهد الشعب وتصعد على أكتافه للوصول إلى غايتها ، فالمثقف رافض للسلطة بعد أنْ كان راضخاً لها والسلطة قمعت المثقف من خلال هيمنتها عليه وسلبها حقوقه ، فبمجرد انصرافه عن سلك السياسة عاد إلى موقفه الأصلي مساندة الشعب ، فقد وجد في قصة الشيخ موقفاً إنسانياً لم يعرفه أيام التحقيق عندما كانت تسيطر عليه رغبة الاستبداد والطغيان ، أمّا جانبها الإنساني فهو مدى تأثير العاطفة التي تجمع بين الأفراد ، وإنَّ هذه العاطفة الإنسانية يمكنها فعل أي شيء بدليل أنَّ الشيخ لم يعترف

بأسلوب القسوة ، لكنه اعترف عندما رأى إبنته (حبيبته) وأثرت بعواطفه فأراد إبعاد الخطر عنها باعترافه بالجرم .

يظهر أثر السلطة السياسية في رواية (الوجه الآخر) على الرغم من قلّة بروزه بالنسبة لبقية الروايات ، إلا إن آثاره واضحة من خلال استلابها حقوق المواطنين ، فتعدُّ هذه الرواية مثالاً لتصوير حالة المجتمع بعد الحربين العالميتين ، وموقف المثقف فيها من سياسة الدولة ، وممّا يشير إلى مخلفات السلطة السياسية على الشعب ، ما نجده من حالة عبيد الجايجي كما يُذكر في الرواية : ((سأله محمد جعفر مرة عن سبب عرجه فأجابه بانه أُصيب أثناء حركات برزان حين كان جندياً، ثم علم منه بعد ذلك انه لم يصب برصاص العدو ، ولكن بسقوط الجنود عليه حين صعودهم إلى احدى السيارات))[1] ، يتخذ الروائي من هذه الحادثة إدانة للسلطة السياسية ، ويجعل المثقف شاهداً عليها ؛ لأنها تُرغم الناس على التمسك بآرائها، فهي مستبدة تجد نفسها فوق كل القوانين ، تفرض عليهم المشاركة في حروب إذ إنَّهم لا يعرفون لماذا يشاركون فيها وما الهدف منها ، فالغاية هي تلبية أوامر السلطة السياسية ، وذلك إيماناً بأنها تعمل لمصلحة الأفراد وإن ما تفعله هو لمصلحة الشعب من أجل أنْ يعيش حراً وبكرامته هذا ما تتستر به السلطة ؛ لأن الدافع الأول والأساس هو مصلحتها الخاصّة مصلحة الفئة الحاكمة وجماعاتها ، ومن ثم النظر بمصلحة الآخرين من الشعب ، فإن محمد جعفر يرى إنَّ الفقر والعاهة المتمثلة في شخصية عبيد ، كلاهما بسبب سياسة الدولة ، وإنَّه يكابر أمام الآخرين ويُظهر عدم المبالاة على الرغم من استلابه جزءًا من أعضائه الذي كان سيساعده على العمل بسهولة أكثر ومن دون عناء ، إنَّ محمد جعفر رافضاً لسياسة الدولة في قرارة نفسه، لأنها مستبدة ، وحاله في الفقر مشابه لعبيد إلا أنّه خاضعاً لها ؛ لأن وظيفته التي يعمل بها هي ملكاً للدولة على الرغم من مرتبه

---

(١) الوجه الآخر : ١٤ .

القليل ؛ لأنها تشكل وسيلة للعيش لديه ، والسلطة بقوتها وامتلاكها وسائل العيش استطاعت أنْ ترغم المثقف للخضوع لها .

يتجلى أثر السلطة السياسية بصورة واضحة ومباشرة في رواية (الرجع البعيد) فتعدُّ أول انطلاقة لظاهرة العنف من خلال الصراعات بين الأحزاب على الحكم ، فقد تناولت حقبة من تاريخ العراق السياسي وأهمها انقلاب ٨ شباط عام ١٩٦٣م ، وقد تناولت شخصياتٍ عدّة استعملها الروائي رموزاً لها دلالاتها من أجل إيصال فكرته إلى المجتمع العراقي .

في رواية (الرجع البعيد) تبرز اللمحات السياسية من خلال حديث مديحة زوجة حسين عن سبب عودته من الكويت فهي تقول : ((آني عرفت ما راح يبقى هناك مدّة طويلة ، مِنْ هذا عبد الكريم قاسم كال الكويت تعود النا تخربط وضع العراقيّين هناك))[١] ، حسين ذلك الرجل المثقف حاول الهرب من ضغط السلطة ملتجئاً إلى دولة أُخرى ؛ لأنه رافض لسلطتها وسياستها ، ولا يستطيع مواجهتها وتغيير سياستها. وهروبه من ضغط السلطة السياسية أعادهُ إلى فخِّها ، إذ يقع مرة أُخرى تحت سطوتها حين يعلن عبد الكريم قاسم أنَّ الكويت ولاية عراقية ، فالدولة قمعت المثقف وأرغمته على البقاء تحت نفوذها ، وفي موقف آخر نجد عنف السلطة واستبدادها من خلال موقف ضابط البوليس مع عبد الكريم في التحقيق معه في قضية صديقه فؤاد كما يقول عبد الكريم : ((كان ضابط البوليس يتقدّم خطوتين أو ثلاثاً ثمّ يقف غير بعيد عن الكرسيّ الذي قيّدت إليه ، يقف كالطاووس بعينين ملهبتين ويتّخذ شكل أحد ضبّاط الجستابوا مرّة ، وهيئة رجل من رجال محاكم التّفتيش الأسبان مرّة أُخرى ثمّ يبدأ بالكلام معي محدقاً بعينيّ :- يجب أن تعلم أنّ واجبي يحتّم عليّ أنْ أقبض عليك بتهمة القتل والإهمال والخيانة [...] لا تدع لذهنك أن يختلق مسألة أخرى غير توقيفك بتهمة القتل

---

(١) الرجع البعيد : ١٠ .

.. والإهمال .. والخيانة))[١] ، نرى أثر السلطة واضحاً في استبدادها وطغيانها على أفراد الشعب وذلك من خلال موقف ضابط البوليس المتكبر والذي يستهين بالآخرين يجد نفسه السلطة السياسية بأكملها ، وله الحق بالتصرف كما يريد ، وكيف يشاء وأنَّه يثبت الأمور كما يراها هو بمنظوره الخاص ، ولا يهم إذا كان المتهم بريئاً فيستخدم وسيلة التخويف والإرهاب لإثارة الرعب في نفس المتهم وإجباره على الاعتراف ، وهي وسيلة من وسائل القمع لدى السلطة لتقمع المثقف وترغمه على البقاء تحت نفوذها وتلبية أوامرها ، فالضابط تخلى عن إنسانيته وهويته الأصلية كمواطن عراقي قبل أنْ يكون رجل دولة فضلاً عن أنَّه يتخذ صفات ضباط الجستابوا ، على الرغم من تأثر عبد الكريم بوفاة صديقه، لكن السلطة اتهمته بقتله وقامت بالتحقيق على أسس وشكوك واهية ، مع علمها بموته بحادث سيارة ، لكن ما يهمها هو إيجاد متهم وتخلق منه قضية من أجل إثبات غرورها لذلك يشبهها (بالطاووس) وتستعمل وسائل التخويف النفسي كما وجدناه في رواية (بصقة في وجه الحياة) ما استعمله محيّ مع الشيخ وقد أُتهم عبد الكريم بتهمة القتل والخيانة والإهمال أي أنّه قتل صديقه وأهمل واجباته تجاه الوطن، وخان القوانين على الرغم من عدم فعله ذلك ، إنَّ موقف عبد الكريم رافض للسلطة وساخطٌ على أسلوبها القاسي الذي يُدين الأبرياء.

إن استعمال وسائل العنف والقسوة المفرطة ضد المجتمع من قبل سلطة الاستبداد سوف يؤدي إلى شعور الإنسان بالخيبة والانكسار ويتحين الفرصة للانتقام من رموز أجهزة القمع في حالة انهيار سلطة الاستبداد وينقاد إلى الانتقام الأعمى إلى كلّ ما يتصل بسلطة الدولة[٢] ، كما في حال تصوير عبد الكريم لضابط البوليس وأسلوبه القاسي المتعالي فهو يمثل حقدهُ على السلطة وقال عبد الكريم ضابط البوليس

---

(١) الرجع البعيد : ٣٠ ، ٣١ .

(٢) ينظر : سلطة الاستبداد والمجتمع المقهور : ٦١ .

ولم يقل ضابط الشرطة ، يدلُّ على أنَّ ثقافة عبد الكريم ثقافة متأثرة بالغرب عن طريق مطالعته الكتب المتنوعة ووصفه للضابط بضباط الجستابوا أدى إلى استعماله لفظة بوليس يشبهه بهم على الرغم من رفضه لسياسة السلطة إلا أنَّه بقي خاضعاً لها من خلال استعمالها وسائل القمع والقسوة لتخويف الشعب وإبقائهم تحت نفوذها .

تؤكد الرواية على الصراع حول الحكم من قبل أحزاب متعددة وإنَّ سياسة الاستبداد تتوارثها سلطة بعد أُخرى ، كما في حديث عدنان عن السياسة وموقفه مع حسين ونرى ذلك في الرواية : ((استمر عدنان واقفاً بجمود ، مشيراً بذراعه ، ووجه مغطّى بالعرق ، وعلى فمه ابتسامة غريبة :- هذا الدّب .. سيّد .. هو اللّي لازم .. نكتله . همس أبو شاكر :- مِن يكبر السبع تضحك عليه بنات آوى ! فصرخ عدنان :- شنو ؟ احنا مو واويّة سيّد . أعرف أوادمك زين ! - العفو أخي . العفو . آني دا أحكي على نفسي . أنت شنو علاقتك ؟ - شبيك أنت ؟ مواطن شريف ندافع عنك إحنا . وأنت هم لازم تدافع عن حقوقك : حقّك وحقّي . شبيك أنت؟))[١] ، نجد استبداد السلطة الجديدة وقبل أنْ تستلم الحكم كان مجرد صراع بينها وبين السلطة الضعيفة الحاكمة متمثلة بعدنان الذي كان عضواً ينتمي لأحد (الأحزاب القومية) وهو يدعي أنّه يتحمل مسؤولية المواطنين والمدافع عن حقوقهم ، إنْ كان عدنان رمزاً للسلطة الجديدة وهو عديم الثقافة لم يكمل دراسته فضلاً عن أنَّه عديم الأخلاق كما وصفه حسين : ((مراهق ، مستهتر ، فاير دمّه ، لا شغل لا عمل))[٢] فكيف يكون حال السلطة الجديدة فوصف حسين لعدنان هو وصف للسلطة السياسية الجديدة ، وهذه السلطة كانت تستهوي إليها الشباب المراهقين الجهلاء بدلاً من المثقفين ، ذلك للخضوع لها وللانقياد لأوامرها ؛ لأنه يملك من الثقافة ما يجعله يميز ما هو صائب عن ما هو خاطئ .

---

(١) الرجع البعيد : ١٢٩ .

(٢) الرجع البعيد : ١٠٠ .

نلحظ اندفاع السلطة الجديدة ورغبتها بسياسة العنف للوصول إلى ما تطمح إليه ذلك من خلال توعد عدنان بقتل عبد الكريم قاسم ليتخلصوا منه ويقيموا سلطتهم الجديدة أي أنّها سلطة قائمة على القتل والعنف والتسرع في الحكم على الأمور ، ذلك ما لاحظناه من تصرف عدنان مع أبو شاكر عندما تحدث عن السلطة الجديدة ويشبهها بابن آوى التي تضحك على الذئب ، أي أنّ سلطة عبد الكريم قاسم كانت قوية ، وبعد ضعفها فُتِح المجال لسلطات أخرى كانت ضعيفة ، ولكن ضعف السلطة الأولى فتح لها المجال ، وإنَّ عدنان لم يرضَ بهذا ، وأدعى بأنه يدافع عن حقوق المواطنين وعلى المواطنين أنْ يدافعوا عن حقوقهم ، فهذا موقف السلطة فهي متسرعة بإصدار الأحكام وتستعمل وسائل القتل للوصول إلى غاياتها ، وتستعمل وسائل العنف لإخضاع المثقفين .

أمّا موقف المثقف فهو رافض للسلطة السياسية ومتذمر من سياستها وتعاليها على الشعب ، لكنه لا يقوى على مواجهتها ، كما نراه في موقف حسين من عدنان عندما رفض أنْ يوصله بسيارته ولم يدفع الحساب بدلاً عنه[١] ، إنَّ حسين يشعر بتجربة قاسية مع الذات فهو شعور بالإحباط ؛ لأنه مثقف ومثله يُحترم في بقية البلدان لكنه في بلده مهان ومن إنسان جاهل ومستهتر ، لكونه يملك المال أي أنَّ حسين مثقف رافض للسلطة السياسية ، وإنَّ السلطة تتحكم به وتسلبه حقوقه وتقمعه من خلال امتلاكها القوة الناجمة عن امتلاكها عدد كبير من المساندين المراهقين الذي يعملون بدون تفكير فقد استعملت سياسة العنف والقتل والاستبداد مما جعل المثقف خاضعاً لها .

---

(١) ينظر : الرجع البعيد : ١٠٠ .

تؤكد الرواية ظاهرة العنف من السلطة السياسية ، فنرى أنَّ منيرة تنظر إلى ابن أختها عدنان نظرة إعجاب لما يحمله من أفكار غير واضحة ، وخشية والديه وأخوته منه، وإنَّه ترك الدراسة حقبة بعد محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم(١).

إنَّ موقف منيرة في بادئ الأمر مساند لعدنان وهو موقف إيجابي ، أمّا بعد اغتصابها فقد تحول إلى موقف رافض وكاره لها ، ويعاني من استبداده ودماره لها فهو ليس إلا إنساناً متوحشاً همه تحقيق ما يريد فقط ، وبذلك أصبح مثالاً للسلطة الاستبدادية التي استطاعت أنْ تقمع المثقف عن طريق قوتها وأنانيتها وسلبت المثقف حقوقه في العيش بكرامة ، فبقي المثقف مهزوماً على الرغم من رفضه لها ؛ لأنه لا يقوى على إيقاف استبدادها .

عند تجلي ظاهرة العنف السياسي نجدها أصبحت أكثر عمقاً وقسوةً ، ذلك من خلال عدم مبالاة السلطة بأرواح المواطنين ، كما في حادثة موت مدحت برصاصة من رصاصات المتصارعين على السلطة(٢) .

إنَّ مدحت كما أشرنا سابقاً يحمل قيماً وأفكاراً ثقافية بعد أن تخلص من أفكاره السيئة أراد الرجوع إلى زوجته ، وهي ضحية لوحش كاسر ، أي رغبة المثقف في العودة إلى وطنه بعد أنْ عاش حقبة تحت الظلم والطغيان من قبل السلطة السياسية والرغبة بالعودة إلى هذا الوطن الذي أُستُلِبَت خيراته وكرامته ، ومحاولة النهوض به من المثقفين ، أشار التكرلي إلى مقتل عبد الكريم قاسم فهو يشير إلى إنَّ نهاية كلّ سلطة سياسية هو الموت وهو مصير من يأتي بعدها من سلطات وإن طالت حقب حكمها ، لكنها لا تزول إلا بعد أن تسبب الضرر للشعب ، كما في موت مدحت فكل حكومة يزول حكمها تسبب خسائر لدى الشعب .

---

(١) ينظر : المصدر نفسه : ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ .

(٢) ينظر : المصدر نفسه : ٤٨٩ ، ٤٩٠ .

ويتطور أثر السلطة السياسية في رواية (خاتم الرمل) وهذا التطور امتداد للسلطة في رواية (الرجع البعيد) ففيها تتبين قسوة السلطة السياسية وتوجهها نحو القتل المتعمد ، نلمس ذلك من حوار هاشم مع خاله رؤوف : ((قل ليّ الحق يا خالي، أصحيح إنّك كنت تكتب الشّعر وأنت ضابط في الجيش العثماني ؟ [...] بالتركية .. بالتركية [...] ، أخبرتني بذلك أُمّي سناء [...] قالت بأنّ إحدى النّساء الشّابات آنذاك كانت تتطلّع إليك[...] بملابسك العسكرية الجميلة [...] وصفتك بالهيبة والجمال نعم نعم أنا تخرّجت من الكلّية العسكرية ولم أبلغ العشرين من عمري وكنت أتقن التركية وأتكلم الفرنسية يعلّموننا اللّغات مع دروس العسكرية ، [...] إنك كنت تنظم اشعاراً حماسيّة ضد السّلطان وأنك كنت عضواً في جمعية سرّيّة فطلبوك للتحقيق معك ثمّ سجنوك ، وحاولوا قتلك بدسّ السمّ في طعامك لكنك تنبّهت لهذه العملية .. وأنقذت نفسك [...] كان ينظر إليّ نظرة تساؤل وفضول ، وقد انعقد حاجباه الكثيفان [...] كان يرتدي معطفاً عسكرياً أدكن قذراً))[1] ، نلحظ أثر (السلطة السياسية) الاستبدادية واضحاً وهو عملها لصالح المصلحة الخاصّة من خلال عنايتها بثقافة أفرادها المنتمين إليها فقط ، اما أبناء الشعب الباقين فكانوا لا يلاقون هذه العناية بالتعليم والثقافة ، وأنَّ رؤوفاً كان إنساناً مثقفاً؛ لأنه يتقن اللغة التركية وتعلم الفرنسية ، وقد كان يتعلم اللغات مع الدروس في العسكرية ، وكان ينظم أشعاراً فهو دليل على ثقافته وهو مثقف عضوي فعال في المجتمع ، لأنه يحاول التغيير على الرغم من إنّ السلطات العثمانية كانت تعتني به بصفته واحداً من رجالها إلا أنّه وجد ظلم هذه السلطة لأبناء الشعب ، فأخذ ينظم أشعاراً حماسية ضد السلطان العثماني ، فضلاً عن انتمائه إلى جمعية سرية همها الدفاع عن مصلحة الشعب إذ بقي على صلته بأبناء شعبه ولم ينعزل عن همومهم على العكس من محيّ الذي كان يأخذ الرشوة ، ولا يهمه سوى مصلحته

---

(١) خاتم الرمل : ١٤ ، ١٥ ، ١٦ .

الخاصّة فيظلم المواطنين كما يشاء، أمّا رؤوف فحاولت السلطة التخلص منه ، وذلك بعد التحقيق معه فارادت قتله بدسِ السم في طعامه ، ولكنه شعر بذلك وأنقذ نفسه بإلقاء نفسه من نافذة عالية في البحر فنجا ، فهذا استبداد من قبل السلطة أنْ تسلب أرواح المواطنين بمجرد رفضهم لسياستها ، وهذا دليل على استبداد وظلم وطغيان السلطة للمواطنين ، وإنَّ موقف رؤوف هو موقف ضد السلطة ومع الشعب ومن ثم يصف هاشم ملابس خاله يرتدي معطفاً عسكرياً أدكن قذر ، فإن هذا المعطف هو ما تبقى له من ملابسه العسكرية في أثناء انتمائه للسلطة، ولكن بعد انفصاله عنها فقد عانى حالة فقر ، فلم يجد ما يعيله ويكفي لسد حاجته من مأكل وملبس ، المثقف رؤوف ثائر على السلطة في موقفه وحاولت السلطة قمعه بالقسوة والقتل لكنه استطاع أنْ يهرب وينفذ من سلطتها الطاغية ، ولكنه بقي رافضاً لها في قرارة نفسه على الرغم من ضعفه الذي لا يستطيع من خلاله مواجهتها .

نجد طغيان رجال السلطة وتهديدهم المواطنين من خلال منصبهم الذي يشغلونه ، كما نلمسه من حوار الدكتورة سلمى مع هاشم من أجل إبنة عمها آمال كما تقول الدكتورة سلمى : ((منذ فترة جاء لمقابلة عمّي شخص كان قد رأى آمال صدفة وسأل عنها وعن العائلة ، ويبدو أنّه عرف كلّ شيء عمّا حدث ؛ ثمّ ابدى بغموض رغبته بطلب يدها بعد أن تُحلّ المشاكل العالقة ، [...] النّاحية الحسّاسة في الموضوع هي أنّ هذا الشخص يملك نفوذاً من نوع ما ، نفوذاً يمكن اعتباره واسعاً ؛ وهو في موقعه يستطيع ان يقوم بأعمال ... بأعمال في غير مصلحتك أنا أسفة هذا هو الواقع ، [...] الاّ إنّنا هو ونحن معه ، لا نزال على قناعتنا بأنّ المشاكل سَتُحلّ بالتراضي والاتفاق أنت تهدّديني يا دكتورة سلمى))[1] ، تشير الرواية إلى عدم مبالاة المثقف هاشم لعنف السلطة ، وتهديداتها، ويصر على ثبات رأيه بشأن خطيبته، على الرغم من حديث

---

(١) خاتم الرمل : ٧١ ، ٧٢ .

الدكتورة سلمى عن الخطيب الجديد وما يملكه من نفوذ ، فهي إشارة إلى أنّه من رجال السلطة وتحت حمايتها ، لذا يفعل ما يحلو له ولا يهمه إنْ قتل أو سرق أو اغتصب أملاك غيره ، فإن السلطة تساندهم وتؤمن حمايتهم فإن موقف هاشم من هذه السلطة رافض ومتهاون بها ، ربما لأنّه لا يعي حقاً ما يمكن أنْ تفعله السلطة ولا يتوقع هذا الفعل منها ، وكذلك لا يرى مذاقاً للحياة بعد وفاة والدته، فلا يهمه ما سيحصل له ، أمّا السلطة فحاولت أنْ ترغمه على الرضوخ لها من خلال تهديده وإخافته بوسائلها المتعددة .

تؤكد الدكتورة سلمى على الأشخاص المجهولين الذين يفعلون ما يحلوا لهم تحقيقاً لرغباتهم كما تقول : ((أنت لا تعرف نوع الأشخاص الّذين أتكلّم عنهم. إنّي أرثي لك وأشفق عليك مما في مقدرتهم عمله [...] لقد حَمَلَت إليَّ تهديداً غير مبطن بالاعتداء عليّ إذا دعت الحاجة لذلك))[١] ، مازالت الدكتورة سلمى تؤكد على موقف الأشخاص الذين نتحدث عنهم ، فإنهم قد يستعملون كلّ الأساليب لتحقيق غاياتهم ، وهو أسلوب واضح لاستبداد السلطة ، فنراه امتداداً لاستبداد السلطة في رواية (الرجع البعيد) إذ إنَّ تقصير السلطة بعدم حفظ الأمن أدى بحياة مدحت وكذلك تقصير السلطة من توفير وسائل العيش للمواطنين أدى بمحمد جعفر أنْ يتخلى عن قيمه ويعيش حالة الفقر ويبتعد عن الثقافة ، وهنا نجد رؤوف خال هاشم عندما عارض السلطة العثمانية حاولت قتله والتخلص منه ، ومن ثم استلام الحكومة العراقية حكم نفسها بنفسها ، استمرت على نفس المنوال اضطهاد المواطنين واستلاب حقوقهم ، إنْ عارضوا مصالحها ويمكنهم استعمال أي وسيلة لذلك ، فاستمرت الدكتورة سلمى بمحاولة إقناعه من جانب الشفقة عليه ؛ لأنها تعلم مدى ظلم رجال السلطة وطغيانهم

---

(١) المصدر نفسه : ٧٣ ، ٧٧ .

لكن هاشم يرفض الإذعان لها ؛ لأنه لا يريد التنازل ، وكما يقول كأنه يريد الانتقام من الدكتورة سلمى لشعوره بأنّها جزء من السلطة أو تابعه لها فهو يرفض موقفها ، وكذلك فهو لا يشعر بالخطر الذي يشكله رجال السلطة وما يحملونه من قسوة التي تؤدي بهم إلى القتل .

نرى أثر السلطة المباشر من خلال عملية قتل هاشم من قبل أحد رجالاتها، لعدم استجابته لمطلبهم بترك خطيبته آمال لكنه استقبل الموت بكل شجاعة[١] .

يتبين استبداد السلطة وظلمها ومعالجة أُمورها بالقتل وسلب حياة مواطنيها إذا اقتضى الأمر بمعارضتهم لمصلحتها ، كما حدث لهاشم فقد قُتِلَ ومن دون أي مقاومة ، على الرغم من قدرته على ذلك ، لكنه مثقف مهزوم لا يستطيع التكيف مع الحياة لأسباب ذكرناها ، أما السلطة فقتلها لهاشم بهذه الطريقة يدلُّ على مدى جبنها وطغيانها .

إنَّ عدم التوافق مع الواقع وعدم القدرة على التواصل مع المجتمع ، أدى بكل منهم إلى نهاية ، فإن نهاية هاشم كما وجدناها القتل على يد السلطة ، ونهاية مدحت هي الموت برصاصة من قبل المتنازعين على السلطة ، إذن السلطة طاغية وتسلب حقوق المواطنين ولا يهمها حياتهم المهم هو بقاؤها في مركزها ، فالمثقف مظلوم ومستلب من السلطة ، ونجد التكرلي بجعل مثقفه هاشم كثير التنقل ، ومن مكان لآخر في بغداد ، فهو مثقف جوال ، وإنَّ كثرة تجواله دليل على ثقافته المتنوعة ، وتدلُّ على كثرة الإشكاليات في حياته ، وإنَّ أول سلطة تحكمت به وبمصيره هي سلطة والده ؛ ولذلك تعامل معه هاشم بكراهية وحقد ، بعدّهِ من قتل الحياة الجميلة عند قتل والدته بظلمه لها .

---

(١) ينظر : خاتم الرمل : ١٥٣ ، ١٥٤ .

من خلال خضم دراستنا لموقف المثقف من (السلطة السياسية) تدرك الباحثة بأن رواية (المسرات والأوجاع) تناولت أحداثاً تاريخية وسياسية أثرت في المجتمع العراقي ، فبعضها يبدو واضحاً فيها موقف (السلطة السياسية) من استبداد ، وبعضها الآخر نلمس أثره من خلال حياة الشخصية ، وفي هذه الرواية تكون النواة الأساسية لها هو المثقف توفيق الذي تدور الأحداث حوله ، وهو مركز الرواية وتظهر آثار السلطة السياسية واستبدادها له واضحة ، وقد بدأت مأساته ملاحظاً في إحدى الوزارات وبعدها ترفع إلى مدير قسم التحرير ، ومن ثم فصله من الوظيفة بعد أنْ أكمل دراسته وتخرج من كلية الحقوق ، فهذا الجهد ينتهي بطرده من الوظيفة جراء استبداد رجال السلطة السياسية ، وتستمر الأحداث السياسية لهذه الرواية حتى الحرب العراقية الإيرانية .

نلحظ موقف توفيق من السلطة ، عن طريق ما وجدناه من أحداث تقسيم فلسطين والمظاهرات الشعبية ضد معاهدة (بورتسموث) أواخر (١٩٤٧ وبداية ١٩٤٨) دون أنْ تؤثر في العائلة (فعبد الباري ووالده) مستمران في عملهما وتوفيق كما رأته والدته أكثر فهماً من تعريض نفسه للخطر ؛ لكنه لا يبدو كما تريد فقد شارك مع الطلاب بمظاهرات عدّة مرات في الشارع ، وهتف معهم وهناك شَاهَدَ الجواهري[١] .

إنَّ المظاهرات هي من ظواهر رفض السلطة ، والسلطة تقمع هذا النوع من الرفض ؛ لأنها لا تسمح برفض سياستها ولا تتردد من قمعهم بالقوة ، فإصرار توفيق على المشاركة في الثورة ضد السلطة ومشاهدته للجواهري الشاعر الكبير وعدد من الطلاب دليل على أن الفئة المثقفة هي الرافضة للسلطة ، وهي التي تثير الوعي الشعبي بضرورة نيل حقوقهم ، وأن موقفه الرافض للسلطة يقابله قمع من قبلها .

---

(١) ينظر : المسرات والأوجاع : ٢٢ .

نرى التسلسل للحكومات السياسية من خلال ما ذكره التكرلي في هذه الرواية، وقد اتخذ من توفيق رمزاً للمثقفين العراقيين ، وشعورهم بالخطر من السلطة وأساليبها القاسية وقوتها التي تهدد وجودهم ، ولا يقوون على مواجهتها فأرغمت السلطة المثقف البقاء تحت هيمنتها ، ويذكر أحداث سياسية عدّة صاحبتها مؤامرات من السياسيين في الشرق الأوسط وذكر ثورة ١٩٦٣ الانقلاب على عبد الكريم قاسم من قبل عبد السلام عارف ، وقد صحبه انفجار ثم تلاه انفجار آخر ، فهذا الانفجار يبشر بظهور سلطة جديدة تقوم على العنف والقتل والقمع ، وهي امتداد لسابقاتها من سلطات تستلب حقوق المواطنين ، وما حدث هو تغيير في الأشخاص فقط ، وإن الانفجارين اللذان حدثا هما دليل على عدم استقرار الوضع السياسي ، وعدم المبالاة بأرواح المواطنين، فهي امتداد لرواية (الرجع البعيد) عند مقتل مدحت برصاصة أثناء المواجهة بين المتصارعين على السلطة وانتهت الرواية بانتصار ثورة ١٩٦٣ ومقتل عبد الكريم قاسم ، أما المسرات والأوجاع فهي تكمل مسيرة الثورات والاضطرابات السياسية فقد ترأس عبد السلام عارف الجمهورية العراقية وتغيرت السلطة فحلَّ أشخاص محل أشخاص وارتفع أُناس وهبط آخرون ، وأعدم وقتل أشخاص وانقلب عبد السلام على رفاق الثورة فارتفعت أسماء وتهاوت أخرى فلكلّ حقبة سياسية رجالها ، وفي هذه التغيرات حضي آل قصابي باتصال بعض أفراده بالسلطة فارتفعت مكانتها .

إنَّ توفيق إذ بقي قلقاً على الرغم من عدم انتمائه لأي حزب ، ذلك القلق خوفاً من المصير الذي يهدد المثقف فقرر عدم الانخراط في السلك السياسي ، إلا أنَّه كان يعمل ضمن حدود وظيفته فقط ، فهو لا يقوى على مواجهة السلطة وطغيانها .

نجد السلطة تمارس موقفها الظالم لإثبات وجودها وهي تساند رجالها وأنْ كانوا ظالمين كما نراه من موقف سليمان فتح الله إذ أخذ يتعرض لتوفيق ويثبت وجوده فهو يجلس أمامه ويتضاحك ويرمي بالملفات على مكتبه وباستهزاء ، وإنَّه سوف يُعَيَّن عما قريب مسؤول أمن الدائرة ، وقد عين ملاحظ إدارة وإنَّ توتر العلاقة بينهما أدى إلى

ضرب توفيق له مما أدى إلى فصل توفيق عن الخدمة لمدة خمس سنوات ، ومنعه من العمل بالمحاماة للمدة نفسها[١] .

يتجلى استبداد السلطة من خلال مأساة توفيق التي بدأت مع ثورة (١٩٦٨) ، إذ أدت إلى صعود الجهلة والأميين ورجال الأمن وموظفي الخدمة ، الذين استلموا وظائفَ أكبر منهم أنْ يتحكموا بمصائر الناس لاسيما المثقفين ، وإنْ يُبدوا مقدرتهم وقوتهم عليهم من أجل إثبات وجودهم فيعملون ما يحلو لهم استفزازاً للآخرين ومثالهم سليمان فتح الله الذي كان أعرجاً وعامل خدمة في الوزارة ، وهو جاهل أُمي فبعد الثورة ترفع إلى موظف استعلامات ، ومن ثم ملاحظ إدارة يطلع على الرسائل في الوزارة وعليه التوقيع عليها ، وهذا دليل على أنّه عَيْنٌ للسلطة ليعلم ما يحدث في كل وزارة ، إنّ السلطة استخدمت رجالها من الجهلاء ، وليس المثقفين وذلك لتتحكم بهم كما تشاء ؛ لأن المثقف يرتبط بالشعب وله الثقافة التي تمنحه الوعي بالأمور ، فهو يرفض الأفعال الخاطئة الصادرة من قبل السلطة ؛ لذلك عملت على أنْ يكون رجالها من الجهلاء . فـ(المسرات والأوجاع) ما هي إلا امتداد لاستبداد السلطة وانتشار الفساد في (بصقة في وجه الحياة) ويريد التكرلي أنْ يبين أنَّ السلطة كما هي ، وفي أي وقت يسودها الطغيان والاستبداد والفساد الإداري، وترعى فقط رجالها ، ولا يهمها أمر شعبها فتوفيق أمسى ساخطاً على استبداد السلطة التي راح ضحيتها ، وهو رافض لها لكن لا يستطيع مواجهتها لقوتها وطغيانها .

يتعدى أثر السلطة من محاربة المواطنين في أرزاقهم إلى وسائل الاعتقال والتعذيب فنرى توفيق ذهب للعمل مع كاسب في خانقين بعد عرض كاسب عليه العمل وهو إبن عمه محاولاً منه إنقاذه من حالة الفقر ، لكنه تعرض إلى اعتداء واعتقال من مسلحين مجهولين ، وتبين له فيما بعد أنّ من فعل هذا الفعل هو إبن عمه وزوج إبنة أخيه المحامي ممتاز وأنه أثناء حديثه مع بكر اغا الذي أخبره بأن هؤلاء المسلحين هم

---

(١) ينظر : المسرات والأوجاع : ٩٤ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٧ ، ١٧٤ ، ١٧٧ ، ١٨٥ .

أدوات صماء والمدبر خفي حقود يخشى أنْ ينفضح ، لا نعلم السبب بالضبط ، ولكن المحامي ممتاز هو المسؤول على المنطقة ، ولا شيء يحدث بدون علمه ، ولكن لماذا فعل هذا وأنتَ قريبه وهو زوج إبنة أخيك[١] ، نلمس آثار السلطة في اغتصاب حرمة المواطنين وانتهاكها ، من خلال فعل المحامي ممتاز الذي يتصرف كما يحلو له بحكم عمله ، فيعاقب ويقتل من يراه مخلاً بقوانين السلطة، ويتخذ هذا غطاءً لحقده على الآخرين ؛ لذا حارب توفيق في عمله في خانقين ، بدافع رغبة شخصية ، فتوفيق صُدِمَ من السلطة بفصله من العمل أولاً، ومحاربته في عيشه ثانياً ، وهو رافضاً لها في قرارة نفسه ، لكنه لا يقوى على مواجهتها ، والسلطة استمرت بملاحقة المثقف وحاربته في مصدر عيشه؛ لأنه في طمأنينته يستجمع قواه ويستطيع مواجهتها .

يستمر استبداد السلطة السياسية على الشعب ، ولاسيما المثقفين لكن ليس من السلطة التي في العراق بل تتعداه إلى استبداد السلطة في دول أُخرى على هذا الشعب ، وحصر أثر المثقف ومحاربة الثقافة وتمثله آخر روايات التكرلي (اللا سؤال واللا جواب) التي اشتملت على أوضاع العراق السياسية في حقبة الحصار الاقتصادي ، وتُعد بوحاً هامساً عن ما لاقاه العراقيون في هذه الحقبة ، وجَسَّدَ التكرلي هذه المعاناة في شخصية مثقفه عبد الستار زهدي المدرس الذي كان يعمل بعد حقبة تدريسهُ سائق تكسي في سيارة جاره حيدر عبد الحسين لسد حاجة عائلته ، لكن على الرغم من ذلك العمل الإضافي بقيت عائلته تعيش حالة الفقر والعوز ؛ وبسبب عدم مقدرته على التوافق مع الواقع أدى به إلى العيش بحالة صراع مع الذات مما جعله يعيش حالة غيبوبة وأخذت هذه النوبات تأتيه بين حقبة وأُخرى إلى أن أودت بحياته .

تؤكد الرواية استمرار قسوة (السلطة السياسية) باستعمال وسائل التعذيب من جهاز السلطة البوليسي ، وهذا من خلال ما وجدناه عندما اعتقلت السلطة عباس

---

(١) ينظر : المسرات والأوجاع : ٤٧١ .

كروازة بعدِّهِ سارق المجوهرات ومازالت تحقق معه إلا أنَّ عبد الستار هو من أخذ المجوهرات ، كما يذكر في الرواية : ((وهكذا كان بعد عشرة أيام أدلى عباس كروازة بإفادة أخرى مختلفة صدّقها قاضي التحقيق هذه المرة ، كانت معالم التعب والانهاك وآثار الكدمات ظاهرة على عباس كروازة لمن يدقق النظر فيه))[1] ، نرى عنف جهاز السلطة السياسي واستعماله الوسائل غير الإنسانية في أثناء التحقيق ، استعمال وسائل التعذيب في محاولة الكشف عن الحقائق أو محاولة إثبات الأمور بحسب وجهات نظرهم الخاصة فبوسائلها القاسية واستعمال أقسى أنواع التعذيب تجبر المتهمين على الاعتراف بأعمال لم يفعلوها ؛ لأنهم لم يعد باستطاعتهم تحمل هذا التعذيب ومنهم من يصاب بعاهة أو يفقد حياته في أثناء التعذيب ، فهذا دليل على استعمال وسائل غير مشروعة في أثناء التحقيق ، فنرى المحقق عندما كان يحقق مع عباس كروازة ضحك ساخراً من أقواله الكاذبة ، ويخبره بأنَّه لا يحترم نفسه بكذبته هذه ، وإن الشرطة وهي يد الدولة في سيادة الأمن سوف تعرف كيفية التعامل معه لمعرفة الحقيقة ، وبعدها اعترف عباس كروازة باعترافات صدقتها السلطة ، ولكن كانت هناك آثار التعب واضحة عليه والكدمات ظاهرة ، أي أنَّه اعترف تحت طغيان وتعذيب السلطة واستعمالها الوسائل الوحشية ، ولكن اعترافه كان ملائماً مع شخصه وماضيه الأسود ، فإنَّ السلطة كانت ميزتها القسوة في الحصول على الاعترافات في أثناء التحقيق ، ونجد موقفها هذا امتداداً لموقف ممتاز إبن عم توفيق عندما اعتقله وقام بتعذيبه من أجل تحقيق رغباته الشخصية ، وهي مغادرته لخانقين، أي أنَّ السلطة بقيت على سياستها نفسها مع شعبها ممارسة الظلم، والقسوة ، والقوة في الحصول على ما تريد على الرغم من أنَّ هذه السياسية القاسية التي استعملتها السلطة مع عباس كروازة قد

---

(١) اللا سؤال واللا جواب : ٨٠ .

أنقذت عبد الستار من القضية وأخذ كيس المجوهرات لصالحه الخاص إلا أنَّه يشير من خلال كلامه في الرواية إلى انتقاده لسياسة السلطة ، وهي بطريقتها الاستبدادية القاسية تستطيع أنْ تقمع الأشخاص وترغمهم للرضوخ إلى رغباتها ، ولكنها لا تستطيع الحصول على حقيقة الأمور ، إنما تحصل على ما تريد وإن عبد الستار لم يرضخ (للسلطة السياسية) بتسليم كيس المجوهرات ، وفي الوقت نفسه لم يتمسك بأفكاره كمثقف وهو مدرس بل تخلى عنها لمصلحته الخاصة.

٢- الطريقة غير المباشرة وموقف المثقف منها :

إذا كان أثر السلطة السياسية ظهر بصورة مباشرة على الشعب وبالأخصّ المثقفين في مواقف كثيرة من الروايات ، فإلى جانبه يتجلى أثر السلطة السياسية غير المباشر متمثلاً باستلاب حقوق المواطنين ، وعدم توفير وسائل العيش التي تسنح له أن يعيش ولو في حالة بسيطة ، ويظهر ذلك من خلال مواقف المثقف في الروايات.

في رواية (بصقة في وجه الحياة) يظهر أثر السلطة غير المباشر واضحاً من خلال موقف المثقف محيّ من السلطة السياسية كما يقول : ((اتذكر عندما كنت معاون شرطة قبل التقاعد حين كان المفوض يدخل عليَّ في غرفتي ، وعلى فمه ابتسامة كريهة ، فيمد يده خلسة كأنه يستحي ويضع النقود في زاوية معهودة من مكتبي ثم يروح يشرح القضية التي أتى من أجلها ، ويقترح الحل كما يريده أصحاب النقود ثم يسكت وينتظر جواباً مني ، كما إنتظر هؤلاء الجواب ، لكنني كنت أسكت وأطرق برأسي فيخرج بهدوء دون أن أعلم ماذا ، فهم مني وماذا هو فاعله))[١] .

---

(١) بصقة في وجه الحياة : ١٦ .

من الواضح تأثيرات الحرب العالمية الثانية التي انتهت عام (١٩٤٥) لها أثرها النفسي الكبير على المواطن العراقي ، إنَّ مخلفاتها قد أدت إلى الفساد والفوضى في كلّ النواحي الثقافية ، والصحية ، والاجتماعية ، والإدارية ، وأدت إلى الفساد الإداري في المراكز الإدارية للدولة فلربما عامل الفاقة قد أدى إلى هذا الفساد، إن محيّ يتذكر ما فعله بالماضي من أخذه للرشوة مقابل قضية ما ، فهذا الاسترجاع يدل على إنَّ المثقف مهزوم فهو يشعر بالأسى عندما يسترجع ذكرياته ؛ لأنه قد عارض قيمه الثقافية التي تنص على الأمانة والإخلاص في العمل ، وإنْ يجعل الضمير هو الحاكم في هذه الأمور لاسيّما في مثل وظيفته التي تتحكم بمصائر الناس فإن الفساد كان منتشراً حتى بين صغار الموظفين ، فالمفوض الذي كان يعمل مدير أعمال له يجلب الزبائن وله نسبة من المال المرتشي ، بمقابل الحكم على الأمور كما يريد أصحاب القضية ظالماً أو مظلوماً ، سوف يعطي المال للسلطة من أجل إصدار الأحكام لصالحه ، وبذلك تشجعه الدولة في أنْ يستمر بأعماله الخارجة عن القانون ، أما إن كان مظلوماً فإنه يضطر إلى إعطاء الرشوة خوفاً من عدم الحُكم العادل بقضيته علما منه بأنَّ الجانب الظالم سيحاول كسب السلطة ؛ لذلك فإن الظروف القاسية في المجتمع يعود سببها إلى الحكام الذين هم المسؤولون عن سد احتياجات أبناء المجتمع ، إنَّ قصورها المتعمد أدى إلى الفساد الإداري ، فضلاً عن عدم متابعتها للعاملين في سلطتها وتحذيرهم من ممارسة الفساد وعقوبة من يخالف قوانينها ، أدى إلى انتشاره وممارسته من قبل الأغنياء أيضاً ، فالسلطة المستبدة التي تجد نفسها أعلى من القوانين والدستور ، قد استلبت حقوق المواطنين حتى في أخذ حقوقهم في القضايا وأرغمتهم للخضوع لها ، وذلك أدى إلى رفض الشعب والمثقف لها والتمرد عليها ، ولو في قرارة نفسه ، فنرى محيّ بعد تقاعده يأسف لما فعله ، فما هو إلا إنسان قد ظلم الكثيرين في ممارسته وظيفته .

تتخذ الرواية من شكوى محيّ وزوجته حيال حالة الفقر متمثلاً بموقف غير مباشر للسلطة بالتأثير على المثقف كما في الرواية : ((لماذا أدعهن – هؤلاء الفتيات– يعملن كل هذه الأعمال الخرقاء ؟ لماذا أسكت والبث مطرقاً ؟ إني أعلم السبب، إنني أعلمه تمام العلم .. تمام العلم .

لقد صفعتني به الأُم الحكيمة قبل أيام .

– ألا ترى إننا لا نملك ما يقيتنا ؟ من أين .. ؟ ولم تكمل لحسن الحظ ، ولم أكمل أنا أيضاً ما بدأت ، إني أعلم إنني لا أملك مورداً يمون نصف منزلنا .. منزلنا الفاخر ذي الرياش والأثاث الثمين الذي لا أعرف بوجوده حتى أراه صدفة ، إني أعلم ذلك، وإني أتساءل "إذن كيف أمكننا الاستمرار على المعيشة هذا الزمن الطويل .. خمس سنوات ؟ "))[1] ، ونرى محيّاً يعاني حالة الفقر والعوز بعد أنْ كان يعيش حالة من الترف وهو معاون شرطة ، دليل ذلك عندما يصف منزله ذا الأثاث الثمين أي أنَّه طالما يعمل مع السلطة ، فهو في حالة نعيم بما تنعم به ؛ لأنه أداة من أدواتها التي تسير به المجتمع ، ولكن بعد إحالته على التقاعد عانى ما عاناه من فقر مثل بقية أفراد الشعب أي أنَّ السلطة السياسية سلطة الدولة لم تعط الشعب أقل حقوقه ، التي كان على الدولة أنْ توفرها للمواطن وبسبب استلاب الدولة هذا أدى إلى عدّة أمور منها تخلي المثقف عن مبادئه وقيمه وتقاليده ، وكذلك تخليه عن ثقافته؛ لأنها حاربت الثقافة وذلك بجعله ينشغل في الأمور المعيشية فقط ؛ لأن المثقف هو الشخص الذي يؤثر في المجتمع ويعمل على توعيته والمطالبة بحقوقه لذلك عملت السلطة على قتل هذا الإنسان معنوياً حفاظاً على مصلحتها الخاصة .

ونرى محيّاً يتساءل بأسلوب الاستفهام كيف يتمكن من البقاء والمقاومة طيلة خمس سنوات ، لكن هذه السنوات قد قتلت فيه ما قتلت من قيم وسلبت منه ما سلبت

---

(١) بصقة في وجه الحياة : ١٨ .

من حقوق ، أي أنّ سلطة الدولة السبب فيما عليه محيّ ، إذ أنّ النظرية النقدية الاجتماعية تؤكد أنَّه لا يمكن أنْ تجسد الدولة الإرادة العامة وإنَّما تعمل لمصلحتها الخاصّة ويعاني المجتمع المدني من اغتراب وعجز سياسي ، متمثلاً في هيمنة الدولة على المجتمع[١] ، إنَّ عدم توفير وسائل العيش الملائمة للمواطن لاسّيما المثقف قد أدت إلى انهزامه نفسياً وانطوائه على ذاته ؛ لأنه لا يملك ما يمكنه من مواجهة متاعب الحياة، فاستطاعت السلطة أن تهزم المثقف وتقمعه نفسياً .

أمّا رواية (الوجه الآخر) فيبرز فيها موقف السلطة غير المباشر بصورة واضحة من خلال موقف المثقف تجاه ما يحدث حولهُ .

نرى التكرلي يستعمل رموزاً للإشارة إلى طغيان السلطة واستبدادها على المواطنين بفرض أفكارها عليهم مثل المرض الذي يستفحل بجسم الإنسان فيقضي عليه ويقابله بذكر الحرب بوصفها نتيجةٍ لهذا الطغيان كما نجده في حديث محمد جعفر في الرواية فهو يقول : ((كانت معدته ثقيلة وطعم فمه مراً كريهاً ، إن الالتهاب سيقضي عليه يوماً ما))[٢] .

نجد محمد جعفر يذكر ألم معدته في أكثر من موقف ، وألمها وطعم فمه المر الكريه ، فهنا المعدة هي رمز لمال الرجل وخزانته ومأوى عياله[٣] ، أي المصدر الذي تملكه السلطة السياسية وتتحكم به ، ومن خلاله تتحكم بمصير مواطنيها ، وهو يذكر رائحة فمه كريهة ، إنَّ الرائحة الكريهة هي دليل على السمعة السيئة وبما أنّها ناتجة عن التهاب المعدة والالتهاب هو فساد وخلل أي فساد في عمل السلطة فإن التكرلي

---

(١) ينظر : الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الإنسان بين الحلم والواقع ، د. حليم بركات ، مركز دراسات الوحدة العربية للطبع والنشر ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٦م : ١٠٠ .

(٢) الوجه الآخر : ١١ .

(٣) ينظر : تفسير الأحلام الكبير ، الإمام الهمام ابن سيرين ، خرج أحاديثه وعلق عليه : عبد الله المنشاوي ، مكتبة الإيمان بالمنصورة ، ط١ ، ٢٠٠٠م : ١٠٢ .

أراد هنا المعدة السلطة التي تتحكم بمصير شعبها ، وتحدد دخله المعاشي، وقد جعلته يعاني الفقر لتقصيرها في واجباتها من توفير سبل العيش الكافية ، وإنَّ فسادها في عملها قد جعل سمعتها سيئة وموقف الشعب منها هو الرفض ، وهذا الاستلاب لحقوق الشعب قد أدى بالمثقف الذي يمثل جزءًا من هذا الشعب إلى رضوخه للسلطة السياسية وإنَّ قمع السلطة للمثقف ورضوخه لها ، قد أدى بها إلى استعماله وسيلةً لتحقيق رغباتها ولم تبالِ بحياته .

يذكر محمد جعفر وظيفته وغرفته في الدائرة فنرى في الرواية ما يدلُّ على ذلك : ((أزعجته رائحة كريهة الفها في غرفتهم ، رائحة العفونة والتبغ والهواء الفاسد))[١] ، هنا يشير محمد جعفر إلى غرفته في الدائرة وهي الرمز المصغر للسلطة في المجتمع ، ويذكر رائحتها الكريهة ، أي إنّها مكان غير مرغوب فيه ، وهي فرع من فروع فساد السلطة السياسية الكبرى والنابعة منها ، ويذكر رائحة العفونة وهي رائحة تصدر عن أشياء تالفة ، أي أنَّ السلطة تعاني من تلف في وسائل حكمها .

كان استغلال السلطة السياسية للمواطنين وبصورة غير مباشرة واضحاً من خلال استلابها حقوقهم المعيشية ، وهذا الاستلاب قاد المواطنين ومنهم المثقفين إلى الشعور بالعجز والألم ، ممّا جعل محمد جعفر يتخلى عن قيمه بسبب فقره وهو يستدين من سيد هاشم وذلك من خلال الحوار في الرواية فيقول السيد هاشم : ((شكد تريد ؟ عشرين دينار – [...] لكن عشرين دينار مو هواية سيد محمد ؟ [...] – سيد هاشم ، أنت رجال وآدمي ، ليش متعرف عشرين دينار مو هواية على مصاريف الولادة ؟ إذا ما عندك فلوس كَل لي سيد هاشم بالله [...] لا تصيح مولانا أبو جاسم شلون ما عندي ! [...] – ترة ناخذ بالمية عشرين – [...] – اخذ بالمية عشرة – لا وداعتك أبو جاسم ميصير ، [...] – زين بالمية خمصطعش [...] فاخرج حزمة من

---

(١) الوجه الآخر : ١١ .

الدنانير وأوراق الكمبيال الفارغة سلم عدة أوراق إلى محمد جعفر – أمليها يابه))[١] ، نجد أنَّ سلطة الدولة باستبدادها وسلبها لحقوق مواطنيها وعدم توفير وسائل العيش الكافية أدت إلى سلبه كرامته والتنازل إلى أشخاص يحملون الثروة ويطغون في المجتمع وينالون ما يريدون والسبب في ذلك هو امتلاكهم الثروة، وبهذا الحقّ يستطيعون التحكم بمن حولهم ، ممّا أدى بمحمد جعفر أنْ يعاني القهر والانهزام : ((لا يتمكن الإنسان المقهور من الاستمرار في حوار هادئ ، فسرعان ما يحس بانعدام إمكانية التفاهم ، فتغشى بصيرته موجة من الانفعال ، ويأخذ الحوار نمطاً من أنماط السباب ، ثم يتحول إلى التهديد وبعد ذلك يصل إلى حالة من الاشتباك ، ليأخذ نمطه الحدي باستخدام العضلات أو السلاح بسهولة مذهلة في ثورة من الغضب))[٢] .

ما وجدناه في انفعال محمد جعفر في حديثه مع السيد هاشم فهو بسبب انهزاميته وعجزه عن تغير وضعه وإنَّ السلطة هي التي تتحكم بوضعه ، فكبوته هذا يتحول إلى حقد ضد المجتمع الذي حوله ؛ لأنَّه لا يستطيع مواجهة السلطة التي هي سبب ما فيه فينقم على المجتمع من حوله .

بعد أنْ ذكرنا موقف المثقف من السلطة السياسية في رواية (الوجه الآخر) يستمر بروزه في رواية (الرجع البعيد) وهي امتداد لاستبداد السلطة السياسية في روايتي (بصقة في وجه الحياة) و(الوجه الآخر) ولكنها تختلف عنهما بوجود أكثر من شخصية مثقفة في الرواية ولها مواقف مختلفة ، إذ نجد موقف مديحة أخت مدحت معارض ومحتقر للسلطة السياسية ، وناقم على سياستها ، ونافر من أسلوبها المستبد الذي يسعى إلى كسب المواطنين والمثقفين منهم عن طريق زرع أفكارها بوسائلها الإعلامية (التلفاز) ، فبدلاً من أنْ تكون وسيلة ترفيهية ، تسرب ضغط السلطة عن

---

(١) الوجه الآخر : ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ .

(٢) سلطة الاستبداد والمجتمع المقهور : ٧٧ .

طريقها ، فأثر نفسياً وسلبياً على الأفراد العاديين والمثقفين ، فالدولة استلبت حتى هذا الشيء البسيط لمصلحتها الخاصّة ، كما أشارت إليه مديحة بقولها : ((هو هذا تلفزيون لو صخام ولطام)) [١] .

وتستمر الرواية في إظهار موقف مدحت وأسرته من السلطة الحاكمة من خلال الحوار في الرواية بين مدحت وعمته ووالده : ((مهلاً عمّة وعلى كيفك ، ترة بعد ماكو شيوخ . ما سمعت الزعيم شيقول ؟ – أوي كلّ ما أحكي حكاية ترمي عليّ هالمخبل ! مجنون أو غير مجنون ، أربع سنين صارله يحكمنا ، ويمكن ما اكو أحسن منه .

قال ابو مدحت : – أربع سنين شنو ابني ؟ هذا حساب غلط . أنت أحسب كم سنة بقيت له ، كم شهر ، يمكن كم يوم وعلى هالمقياس تقدر تعرف شلون جهنّم عايش فيها .

– لا بابا . على هالحساب كلّنا راح نعيش بجهنّم))[٢] .

نجد سياسة السلطة الحاكمة المستبدة وعدم عدالتها قد أدى إلى سخرية الشعب بها وبحاكمها ، حتى إنَّ عمة مدحت تستهزئ بالحاكم عبد الكريم قاسم وتدعوه بـ(المخبل) أي فاقد العقل ، ونرى مدحت يستشهد بأقوال الزعيم في مواقف من حياته دليل ذلك قول عمته كلما أحكي حكاية ترمي عليّ هالمخبل ، أي أنَّها كلما تتحدث عن أمور عامية يأتي مدحت بسيرة السلطة ، ذلك دليل على أنَّ (المثقف) يتخذ موقف المتفرج على الأمور السياسية ، ولا يتدخل بها فما يعرفه هو فقط سماعه لخطابات تطلق في التلفزيون معرفة عامة بالسياسة .

---

(١) الرجع البعيد : ٢١ .

(٢) الرجع البعيد : ٧٦ .

أمّا رواية (خاتم الرمل) فيبرز موقف السلطة غير المباشر على المواطنين ولاسيما المثقفين منهم على الرغم من بروز موقفها المباشر على المواطنين بشكل أكبر .

الموقف غير المباشر للسلطة يظهر عن طريق نظرة خال هاشم أعني رؤوفاً إلى الناس والسلطة من خلال حواره مع هاشم في أثناء ذهابهما إلى المطعم فيقول : ((انا لا أحبّ البشر الضعفاء .. ضعفاء . أعني بهم أولئك القائمين في نهاية الطرف الأقصى للضعف والقوّة ، لا أحبّ المستكين ولا أحبّ الطاغية ، هذا الأخير، ضعيف إنسانياً ؛ لأنّه يخاف باستمرار فيتحوّل إلى طاغية ، لا أحبّ الاثنين [...] هنالك أيضاً نسيتهم ، المخاتلون في ضعفهم ، ضعفاء يخفون ضعفهم بطريقة أو أُخرى))[1] ، ونرى رؤوفاً يبدي رأيه حول الأفراد في المجتمع فهو يصف أفراد المجتمع العراقي ، فهم فئات منهم الضعفاء ويعني بهم الأشخاص الذين يملكون موقفاً محايداً لا هم جبناء ولا هم أقوياء ، فهم ضعفاء في بعض الأمور ويصورون للآخرين بأنهم أقوياء لكنهم لا يستطيعون مواجهة الأمور وحلها ، وهو لا يحب المستكين ، أي الشخص الوحيد في المجتمع ، ولا يجد من يسانده وهو لا يحب الطاغية فهم رجال السلطة ؛ لأنهم في الأصل جبناء يخافون بصورة مستمرة ، وهذا الخوف يجعلهم يتمردون فيتحولون إلى طغاة ، فهو يصف رجال السلطة ، إذ هم ليسوا إلا إنموذجاً من المجتمع وصل إلى هذا المنصب ونشر الظلم ووجد الموت والقتل ، هو أفضل الوسائل لبقائها تتمتع بما تريد وتحل مشاكلها بالقتل ، وكذلك لا يحب المخاتلين الذين يخفون ضعفهم ويحاولون الظهور بصورة شجاعة وقادرة في المجتمع على عكس ما يحملونه من خوف ، فهو يبين فئات الشعب التي لا تقوى على مواجهة السلطة ؛ لأنهم على الأغلب مرتبطون بالسلطة في وظائفهم ، وكسب وسائل عيشهم فهذا يؤدي إلى ضعفهم إذا ثاروا على

---

(١) خاتم الرمل : ٨٥ .

السلطة بقوا بدون قوت ، وهناك من يكون مسكيناً لا يجد من يسانده في الوقوف في وجه السلطة، وهناك القليل من أفراد الشعب له أفكاره في مواجهة السلطة ، وهو معزول عنها وهم المستقلون مادياً فهو يصف هاشم بأنه محظوظ ؛ لأنه مستقل مادياً حتى عن والده الذي يمثل سلطة الأب .

تعدُّ رواية (المسرات والأوجاع) امتداداً لأفكار ما سبقتها من روايات وهو استبداد السلطة السياسية ، وعدم توافر أيسر وسائل العيش لمواطنيها وسلب حقوقهم وجعلهم راضخين لسلطتها ، وإن ما يميزها عن غيرها من روايات التكرلي أنَّها التزمت تسلسلاً تاريخياً في حقب سياسية مختلفة ، إلا أنَّ بقية الروايات التزمت حقبة سياسية معينة ، أمّا رواية (الرجع البعيد) فقد بينت حقب الصراع على الحكم بين الانقلابيين وعبد الكريم قاسم ورفاقه ، وتُعد روايات التكرلي احدهما مكملة للأُخرى في تسلسلها لأحداث سياسية بدءًا من (بصقة في وجه الحياة) انتهاءً برواية (اللا سؤال واللا جواب) زمن الحصار على العراق ؛ لذا نجد في الرواية الأحداث السياسية متراتبة فمنها ما ذكره قبل الحرب العالمية الأولى ، كان عدد أفراد عبد المولى يزداد ، وكذلك باعت أُم عبد الباري مسكنهم الذي كان في خانقين واشترت نصف مسكن عمتها في بغداد وذلك بعد وفاة والدها مأمور الكمرك ، وكان ذلك عقب مقتل الملك غازي وقبل الحرب العالمية الثانية[١] .

إنَّ آل عبد المولى مثال للشعب العراقي في تلك الحقبة ، وبما أنَّهم ممسوخون من القردة ، فإن هيأتهم تشير إلى هيأة الإنسان منذ القدم أي إنَّ الإنسان العراقي كان متخلفاً ، يعيش ظروف التخلف والفوضى وعدم الوعي ، وإنَّ همه الوحيد هو التكاثر وسدّ رمق العيش ، وذلك للإشارة إلى تكاثر آل عبد لمولى قبل الحرب العالمية الأولى

---

(١) ينظر : المسرات والأوجاع : ٨ ، ١٩ .

(١٩١٤-١٩١٨) ، ومن ثم يذكر إن والد أُم عبد الباري مسؤول الكمارك قد توفي ، أما هي فقد باعت بيتها في خانقين ، واشترت هي وزوجها سور الدين بن عبد المولى نصف بيت عمتها في بغداد ، واشترت بالنقود الباقية مكائن للنجارة وكمية من الخشب ، وكان ذلك عقب مقتل الملك غازي أي إنَّ الأوضاع في العراق بدأت بالتحسن ، وهذا متمثلٌ بانتقال العائلة إلى مكان أفضل ، وكذلك إيجاد مشروع جديد للعمل نحو الأفضل أي تحسن الحالة المعيشية عما سبقتها .

ونلحظ التحاق توفيق بكلية الحقوق العراقية سنة ١٩٥١ التي كانت ملاذ الطلاب المترفين والطالبات الجميلات والسيارات المتراصة ، وإنَّ عام ١٩٥٢ زخرت بمظاهراتها وانتخاباتها النيابية والثورة المصرية ، كل هذه الأحداث لم تؤثر سلبياً على العائلتين بل على العكس اشترت عائلة آل قصابي قطعة أرض ولحقت بهم أُم عبد الباري فاشترت قطعة أرض مقابلة لهم[١] .

يتضح الوعي السياسي لدى توفيق عندما قرر الالتحاق (بكلية الحقوق) لإسادة الحق والعدل ؛ لأنَّه يرى استبداد السلطة السياسية على الشعب وظلمها له ، وأيضاً مشاركته في التظاهرات الطلابية دليل على هذا الوعي بحقوق المواطنين، وتعدُّ كلية الحقوق ملاذ كبار رجال الدولة والطبقة المترفة ؛ لأنهم امتداداً لهم ، وفي عام ١٩٥٢م تميزت الأوضاع بالمظاهرات والانتخابات النيابية ما وجدناه في الرواية من تحسن وضع العائلتين ، لكن هذا لا يدلُّ على استقرار دائم في الأوضاع السياسية؛ لأن الحالة السياسية هي حالة طارئة تظهر في أي وقت وهي مثل أي أنظمة سياسية سابقة لها ومنها من يكون له التأثير السلبي على الشعب ، ومنها ما لا يكون له أي تأثير ، أو تأثير بسيط وبعضها يشكل خطراً يهدد الشعب .

---

(١) ينظر : المسرات والأوجاع : ٣٠ ، ٣١ .

بعد أنْ ذكرنا تدهور الأوضاع الإدارية في الدولة في رواية (المسرات والأوجاع) نجد رواية (اللا سؤال واللا جواب) امتداداً لهذا التدهور والفساد الإداري من خلال حديث عبد الستار عن والد زوجته زكية فهو يقول : ((كان والدها معاون شرطة لا يأبه ، كالعادة ، لمسميات الضمير أو النزاهة أو الأمانة الوظيفية ، فاستطاع لذلك أن يؤمن لعائلته عيشة مرفهة بشكل من الأشكال لا تتناسب وراتبه الضئيل ، حتى أنّه تمكن من شراء دار صغيرة))[١] ، تشير الرواية إلى فساد السلطة السياسية ، وانتشار الرشوة في البلاد من خلال ممارسة رجال السلطة أعمالهم ولا تهمهم المصلحة العامة ، وإنما تهمهم المصلحة الخاصّة ، وهي الحصول على أكبر قدر ممكن من المال ليعيش بحياة هنيئة ؛ ذلك لأن راتبه ضئيل ولا يكفِ للعيش بدون شقاء ، ومن ذلك نستخلص أنَّ تقصير السلطة السياسية بوظيفتها تجاه مواطنيها قد دفعهم لأخذ الرشوة ، لكنها كانت تتغاضى عنهم ولا تحاسبهم ، وإنَّ والد زكية استطاع شراء منزل وسجله باسم زوجته وإبنته مناصفة؛ لأنّه كان يعلم بأنَّه سيعاقب يوماً ما على أفعاله ، وخوفاً من مصادرة داره من قبل الدولة على الرغم من انتماؤه لها ، إلا أنّه يحذرها ويخشى طعنها له وليطمئن على زوجته وإبنته من بعد رحيله عنهم بعده ، إنَّ عبد الستار ينظر إلى والد زوجته نظرة استصغار لتصرفه هذا ؛ لأنه يمثل السلطة المصغرة للسلطة السياسية الكبرى بأفعالها ليصل إلى ما يريد صعوداً على أكتاف الشعب ، إن عبد الستار مثقف رافض للسلطة وتصرفاتها ، لكنه خاضع لها بحكم استبدادها وطغيانها على الشعب وعدم القدرة على مواجهتها .

تسجل الرواية موقف أفراد الشعب من السلطة من خلال ما يذكره عبد الستار عندما كان يعمل في التكسي ، وصعد معه ثلاثة أشخاص كانوا يتحدثون حول شغف العيش وتفشي الفساد ، والرشاوي ، والسرقات ، على ما يبدو كانوا من الموظفين

---

(١) اللا سؤال واللا جواب : ٢٣ .

الصغار الذين يزداد انسحاقهم يوماً بعد آخر وتمنوا أنْ توافق السلطة على مشروع النفط مقابل الغذاء ، وكانوا يشكون من المتسلطين على رقاب العراقيين الذين يشربون أنواع الويسكي في حين يسقط الأطفال مرضاً وجوعاً[١] .

ونرى عبد الستار موظفاً ومثقفاً يماثل رأيه رأي هؤلاء الأشخاص ، وهم من الموظفين الصغار الذين يعملون في مؤسسات الدولة ، فهم يعانون من الفساد الإداري في مؤسساتهم ، وانتشار الرشاوي والسرقات وتعنت الإدارات ، فهذا يدلُّ على استبداد الدولة وعدم سيادة الأمن والنظام ، فقد سُحِقَت الطبقة الصغيرة من الموظفين ، وقد عملت على حماية رجالها فهنا يعود انتشار الرشوة في مؤسسات الدولة إلى سابق عهده عهد أبو زكية وإلى محيّ في رواية (بصقة في وجه الحياة) إذن زمن الحصار هو امتداد لسلطة الاستبداد في الماضي نجد التكرلي يجعل عهد عبد الكريم قاسم هو الوحيد الذي منع الرشوة وحاربها بصورة جدية على الرغم من أنَّ عهد السلطة في رواية (اللا سؤال واللا جواب) قد أمسكت بوالد زكية بجرم الرشوة إلا أنَّها أبقت الدوافع التي تدفع الموظف لأخذ الرشوة ، ونجد إنَّ الانسحاق والمعاناة من الجوع والفقر أدى إلى أن يتمنى الشعب مشروع النفط مقابل الغذاء ؛ لحل معاناته ، وهم يشكون من تسلط رجال الدولة واستبدادهم وتسلطهم على رقاب العراقيين باعتبارهم السلطة الآمرة والناهية ، وهم يُعنون بعناية الدولة وعلى الرغم من ظروف الحصار ، إلا أنَّها توفر لهم أفضل أنواع المعيشة في الوقت الذي يموت الأطفال جوعاً ويمرضون أثر هذا الجوع ، وهم يشربون أرقى أنواع الويسكي ، وهذا دليل على ترفهم وتيسرهم المعيشي ، أي أنَّ المال الذي تملكه الدولة تعطيه في غير محله لرجالها الذين يستعملونه لسهراتهم وإشباع رغباتهم ، بينما يحتاج الشعب للفلس الواحد لسدِّ رمق جوعه ، وعلاج أبنائه ، وهذا

---

(١) ينظر : اللا سؤال واللا جواب : ٥٢ ، ٥٣ .

يدلُّ على استلاب السلطة السياسية لحقوق مواطنيها وعنايتها برجالها ، ونجدهم امتداد لعدنان في (الرجع البعيد) وسليمان فتح الله في (المسرات والأوجاع) ، والأشخاص الثلاثة مثقفون ونظرتهم وموقفهم من السلطة تمثل موقف المثقفين في العراق الذين تحاول السلطة قمعهم ؛ لأنهم يشكلون خطراً عليها ويمكن أنْ نعدّهم شريحة من المثقفين التقليديين : ((هم المثقفين الذين لا يرتبطون عضوياً بالطبقات الأساسية في الساعة الراهنة))[١]، نرى أنَّ الطبقة الواسعة من المثقفين في تلك الحقبة كانوا من المثقفين التقليدين ومنهم عبد الستار رافضون لموقف السلطة لكنها قمعتهم باستلابها حقوقهم .

يتبين إنَّ موقف السلطة السياسية تجاه المواطنين ، لاسيّما المثقفين يتمثل بالموقف المباشر عن طريق القسوة ، والعنف ، والقتل من السلطة والموقف الثاني يكون بصورة غير مباشرة ، من خلال استلاب حقوق المواطنين وتردي أوضاع المعيشة لديهم ، أمّا موقف المثقف من السلطة السياسية في روايات التكرلي جميعها قد اتخذ أشكالاً مختلفة ، ولكنها متداخلة على مرِّ الحقب التاريخية التي تناولها في رواياته ، ونجد الموقف متمثلاً برفض السلطة نتيجة اضطهادها وعنفها وقسوتها واستلابها حقوقه وقهرها المثقف وملاحقته ، والموقف غير المباشر للسلطة قد أدى إلى ازدراء ظروف المعيشة وترك الأثر النفسي الكبير على المواطنين ، لاسيّما المثقفين وكان موقف المثقف بصورة عامة رافضاً للسلطة، لكنه لا يقوى على مواجهتها، وإنْ حاول قمعته السلطة بوسائل القتل والعنف والعزل من الوظائف .

---

(١) فكر غرامشي السياسي : ٥٥ .

الفصل الثالث
المثقف والموقف من المرأة

- مدخل :

يبدو الموقف من المرأة مختلفاً ومتبدلاً تبعاً لنمط الثقافة ، وتوالي الحضارات واختلافها ، وهو ما يعني بالمجمل ألاّ وجود لموقف ثابت تجاه المرأة من أُمةٍ إلى أُخرى ومن زمن إلى آخر ، بل من ثقافة إلى ثقافة أُخرى وبالتالي فالمرأة صنيعة ثقافة المجتمع الذي تنتمي إليه ، ويبدو إن هذا الأمر – فيما يخصّ المرأة العربية – مازال مهيمناً على الرغم من ظهور وسائل الاتصال الحديثة التي قرّبت الحضارات وداخلت الثقافات ، وأصبح من الطبيعي أنْ تتعرف المرأة على ما يجري في العالم من حركات وجمعيات تنادي وتطالب بحقوقها وإثبات فاعليتها في المجتمع وإذا كان لا يغيب عن وعينا كون التكرلي كتب رواياته في النصف الأخير من القرن الماضي والسنوات الأولى من الألفية الثالثة ، ما يعني أنَّ وسائل الاتصال لم تكن متاحة للمرأة لاسيّما العراقية ، فإنه أيضاً لا يغيب عن ذاكرتنا حركات تحرر تقدمية قادها مجموعة من المفكرين التقدميين والشعراء النهضويين منذ مطلع القرن الماضي ، غير أنَّها لم تثمر عن إدراك واسع وتأثير جيد في تطور الحركة النسوية التي من أُولى اعتباراتها حفظ مكانة المرأة فاعلة ومتفاعلة في المجتمع .

يمكن تلخيص وجهة النظر الاجتماعية للمرأة بثلاث رؤى :

((أولها : النظرة السلفية الرجعية : التي تتعامل مع المرأة بمنظار دوني من حيث تبعيتها الكاملة للرجل ، وكونها ناقصة عقل ودين ، والمرأة من ضلع أعوج إذا حاولت إصلاحه كسرته وهي حواء التي أخرجت آدم من الجنة .

ثانيها : وجهة نظر ليبرالية تعطي المرأة جزءًا من حقها في العمل والمشاركة الاجتماعية ، ولكن ليس إلى درجة المساواة مع الرجل أي إنها تبقى حريصة على ضمان سيطرتها على المرأة .

ثالثها : وجهة النظر التقدمية ، التي تتعامل مع الواقع الاجتماعي بنظرة تقدمية موضوعية ، والتي تؤمن بضرورة تفجير الصراع باشتراك الرجل والمرأة معاً ، لقلب النظام الاجتماعي الفاسد من أساسه))[١] .

إنَّ هذه الرؤى إلى المرأة قد صورها الكُتاب في قصصهم ورواياتهم وبحقب مختلفة فكل حقبة تنظر إلى المرأة بصورة مختلفة حسب طبيعة المجتمع في تلك الحقبة فنرى التكرلي قد نظر إلى المرأة بأوجه مختلفة ، ففي كلّ رواية له نظرة خاصّة للمرأة ويحملها مغزاً معيناً ، وفي أكثرها يجعلها رمزاً لشيء يريد التعبير عنه فهو يُجسد أفكاره عن المرأة في وظيفتها التي تقوم بها ، فبعضهن يجعلهن من وجهة النظر الرجعية ، وبعضهن ينظر إليهن من وجهة نظر ليبرالية ، وبعضهن من وجهة النظر التقدمية ، ومن خلال اختلاف وجهات النظر للمرأة التي يصورها في رواياته يتبين إنَّ التكرلي قد شهد التحولات السياسية والاجتماعية التي أثرت فيه وجسدها في شخصياته .

- سينوغرافيا الغلاف ودلالة العنونة :

نجد من خلال قراءتنا لروايات التكرلي وللموقف من المرأة أن أغلفة الروايات ودلالة عناوينها توحي إلى الموقف من المرأة ، ففي رواية (بصقة في وجه الحياة) نرى على الغلاف لوحة تحمل صورة لعدد من النساء المتبرجات ، ولا توجد صورة لرجل

---

(١) البنى السردية دراسة تطبيقية في القصة القصيرة ، عبد الله رضوان ، دروب للنشر والتوزيع ، عمان – الأردن ، الطبعة العربية ، د.ط ، ٢٠٠٩ : ٦٨٤ .

بينهم ، تعتقد الباحثة أنَّه يشير إلى حرية المرأة وخروجها بمفردها من دون أي رقيب، فهو دالٌّ على وجهة النظر التقدمية التي تؤمن بحرية المرأة ومساواتها بالرجل .

وفي رواية (الوجه الآخر) ترى الباحثة اللوحة التي رسمت تشير إلى صورة امرأة من خلف النافذة ، وهي جالسة وتنظر منها ، فتظن الباحثة أنَّ هذا يشير إلى المرأة في ذلك الوقت أنّها كانت مظلومة من قبل المجتمع وهي ممنوعة من الحرية، ويرى الرجل أنَّ محلها المنزل وإنَّ واجبها هو رعاية الرجل وأسرتها ووظيفتها هي الإنجاب ، أي تكوين الأسرة ، فهذا يمثل اتجاه وجهة النظر السلفية الرجعية التي تنظر إليها بأنها ناقصة عقل ودين .

أمّا رواية (الرجع البعيد) فنلحظ اللوحة المرسومة على الغلاف تبين صورة امرأة تجلس مع رجلين وهي في إطار أسري وتشاركهما الحديث ، فتظن الباحثة أنّ مشاركتهما الحديث يدلُّ على إعطائها بعض حقوقها ، ولكن لا ترتفع بمستوى الرجل فهذه من وجهة نظره الليبرالية التي تعطي المرأة جزءًا من حقوقها .

أمّا رواية (خاتم الرمل) فنرى لوحة رسمت على الغلاف وتخللتها صورة لمطربة عراقية ، أي ممارستها موهبة الغناء ، وهذه الموهبة كانت من أكثر الأمور المرفوضة في المجتمع بوصفها مخلة بالتقاليد الاجتماعية ولكننا نشاهدها على الغلاف ، فبحسب ظن الباحثة قد سُمِحَ للمرأة بممارسة هذه الموهبة ومدى احترام صوتها ؛ لذلك وضعت صورة المطربة على الغلاف فهي إشارة إلى النظرة التقدمية التي تعطي المرأة كافة حقوقها وتساويها بالرجل .

أمّا الكلام الذي كُتب على غلاف الرواية الذي يخصّ خطوبة هاشم والذي يتحدث في كلامه عن الدكتورة سلمى التي يتحدث معها في أمور تخصه مع خطيبته، فنرى أنَّه يشير إلى حرية المرأة ، وذلك من خلال مشاركتها الرجل بالوظيفة ، وكذلك حريتها بالحديث مع الرجل ، ولكن بحدود أخلاقية .

أمّا رواية المسرات والأوجاع فنرى لوحة رسمت لنساء خارجات من المنزل ربما للتبضع أو لزيارة الأقرباء أو غيرها من أسباب ، فالمجتمع يسمح لها بالخروج من المنزل ، ولكن لأمور المنزل فتظن الباحثة أنّه أراد ان يشير إلى الحرّية الجزئية للمرأة، أي الخروج فيه هنا من الانصياع للتقاليد ، فهي وجهة نظر ليبرالية تعطي للمرأة جزءًا من حقوقها .

أمّا عنوانات الروايات فيتبين من خلالها الموقف من المرأة ، ترى الباحثة أنَّ رواية (بصقة في وجه الحياة) يوحي عنوانها إلى تمرد المرأة على هذه الحياة التي لا تعطيها حقوقها وتسلبها كل ما تملك من حقوق فهي كائن مستلب من المجتمع ؛ لذا تبصق على هذه الحياة .

أمّا رواية (الوجه الآخر) فتظن الباحثة أنَّ عنوانها يشير إلى تمرد المرأة على المجتمع الذي ظلمها فهي تظهر وجهاً راضياً على الواقع الذي تحياه كي تتفاعل مع المجتمع ، ولا تظهر بموقف شاذ يؤدي إلى انتقادها ، وتضمر وجهها الآخر الذي لا يرضى بالقوانين الظالمة لهذا المجتمع وهو متمرداً عليه .

وفي رواية (الرجع البعيد) ترى الباحثة أنَّ العنوان يشير إلى إنَّه مهما حدث من تطور في النظرة إلى المرأة ومساواتها مع الرجل في الحقوق والواجبات ، إلا أنَّها في النهاية يُحكَم على أفعالها من خلال الرجوع إلى العادات والتقاليد البعيدة التأصل في ذهن المجتمع .

تظن الباحثة أنَّ في رواية (خاتم الرمل) ، أثراً للمرأة في العنوان ؛ لأن الخاتم هو ارتباط الرجل بالمرأة ومادام من رمل فذلك ربما يدل على نظرة الرجل المستبدة للمرأة بوصفها كائناً أقل أهمية منه ، وإنَّ ما عليها هو إطاعته وتلبية رغباته فقط ، وهي النظرة الرجعية السلفية لها ، وهو بهذه النظرة إليها يمكنه أنْ يتركها متى ما يريد ويمكنه استبدالها بامرأة أخرى ؛ لأن الرمل سريع الزوال ويدلُّ على انتهاء العلاقة الزوجية .

أمّـا روايـة (المسـرات والأوجـاع) فتـرى الباحثـة أنَّ العنـوان يشـير إلـى المـرأة فالمسرات تشير إلى الأفراح التي منحتها حقوقها ومارست حقها الطبيعي في الحياة، أمّا الأوجاع فربما تشير إلى الأوجاع التي تعانيها المرأة جراء اضطهاد المجتمع لها وظلمه إياها راجعاً إلى التقاليد البالية في ذلك ومحتكماً إليها .

أمَّا رواية (اللا سؤال واللا جواب) فتظن الباحثة إنها خير دليل على استلاب المرأة حقوقها وعليها الطاعة فقط ولا حق لها في أنْ تسأل عن حقوقها حتى في أبسط الأمور وإنْ سألت عن حقها في الحياة فلا أحد يجيب عن سؤالها أي لا أحد يسمع لها ويلبي ما تريده فهي مستلبة من الجميع فما عليها إلا التضحية فقط .

قـد أولنـا هـذه التـأويلات للعنـوان والغـلاف لمـا وجـدناه مـن المعرفـة الواسـعة والمتنوعـة للتكرلـي الـذي جعـل أعمالـه شـاملة وترمـز إلـى أُمـورٍ عـدّةٍ كـذلك عنواناتـه أختارها مرنة ومشتملة على أمورٍ عدةٍ .

- المثقف والموقف من المرأة :

تعددت النظرة إلى المرأة وتباينت من شخص لآخر لاسيّما المثقفين منهم ، نظراً لاختلاف ثقافاتهم وطبقاتهم وبيئاتهم فكلّ منهم نظر إليها نظرة مختلفة عن الآخر ، وتجنبنا الخوض في تفاصيل كثيرة عن قضية المرأة والموقف منها في الثقافة العربية قديمها وحديثها ، لما كتبه الكثيرين عنه .

ومن خلال قراءتنا لروايات التكرلي تلحظ الباحثة ظهور ثلاثة مستويات للنظر إلى المرأة وسنتناول موقف المثقف من المرأة بحسب هذه المستويات الثلاثة :

المستوى الأول : النظرة السلفية الرجعية :

نلحظ هذا المستوى قد ورد في رواية (الوجه الآخر) إذ طرحت هذه الرواية النظرة الرجعية إلى المرأة من قبل المجتمع الذكوري الذي ينظر إلى المرأة بوصفها وسيلةٍ لإشباعِ اللذة لدى الرجل ، وكذلك لتكوين الأُسرة عن طريق الإنجاب ، ويمثل

الرجل السلطة الآمرة والناهية بالنسبة للمرأة ، والرواية مثلت الحياة الزوجية بكلِّ معانيها وبينت وظيفة الرجل وموقفه من المرأة بصورة واضحة ورغبته في تكوين الأُسرة ، كما نلمسه في حديث محمد جعفر وهو يقول : ((لم يتصل بزوجته منذ عشرين يوماً أو تزيد ، أخبروه إن ذلك يسبب لها وللجنين أذىً لا مبرر له ، فأخذ نفسه بالابتعاد عنها ، رغم إنها لم تكن تعارض في أي عمل يريده منها ، كم تبدو بسيطة رائقة النفس في بعض الأحيان ، وهو يحبها لهذه الساعات الطيبة من حياتهما، حين يحس أنها تقدم إليه كيانها كله ليمتلكه ، وكان ذلك دون سبب))[١] ، نلحظ موقف محمد جعفر من زوجته سعدية من عدم قدرته الاتصال بها على الرغم من رغبته الجنسية فيها ، ولا يلبي نداء هذه الرغبة من أجل الحفاظ على مولوده الجديد المتأمل به ؛ لأن بولادته سوف يكتمل بناء الأُسرة ، وقد تزوج ليكون مثل غيره من الرجال ليملك أُسرة وزوجة وأولاد ، فهو ينظر إليها نظرة رجعية على الرغم من ثقافته فما هي إلا آلة إنجاب وإشباع الرغبات ، فكانت تريد عمل أي شيء لإرضائه، باعتبارِهِ سندها في الحياة ، إذ إنّها مستعدة لإشباع رغباته ، ومن دون أي مقابل فهو يشعر بالحبِّ نحوها وما هذا إلا حب التسلط والاستبداد ، والذي يقوم على استلاب المرأة بكلِّ ما لها من مشاعر وجسد ، وهي خاضعة لقيم المجتمع هي ذلك المخلوق القوي الذي يضعف أمام إرادة الرجل وطغيانه ، وبزواجه منها تكون ملكاً له .

تكون العلاقة بين الزوجين على أساس الملكية الخاصة للرجل وتفرض هذه الملكية إنجاب الأبناء ليرثوهم[٢] ، أي تقوم العلاقة من أجل إثبات الوجود في المجتمع وتلبيةً لتقاليده .

---

(١) الوجه الآخر : ٧ .

(٢) ينظر : المرأة في التراث الاشتراكي ، مجموعة مؤلفين ، ترجمة : جورج طرابيشي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٧م : ٩١ .

إنَّ النظرة الرجعية للمرأة تظهر واضحة في موقف محمد جعفر وطريقة تعامله مع زوجته[١] .

فهو شخصية ضعيفة مهزومة تعاني من أزمة نفسية ؛ لأن المجتمع لا يلبي احتياجاته ، وعلى الرغم من كلّ ذلك يمارس تسلطه على زوجته بوصفه الأقوى وبيده زمام الأُمور ، فهو خاضع لسلطة الدولة ويتمرد على حالة الفقر ، وإنّ خضوعها هذا يجعله يثبت رجولته على الطبقة الأضعف منه والمتمثلة بزوجته ، على الرغم مما تعانيه من تحمل شظف العيش معه وهي تحمل جنيناً من أجل إسعاده بوصفه العمود الساند لها وما يهمها في الحياة إرضاؤه فقط ، فهو يجد في هذه المخلوقة الضعيفة وسيلة لسدِّ احتياجاته المنزلية ووسيلة للإنجاب ، ويجردها من إنسانيتها .

نرى النظرة الرجعية واضحة إلى المرأة بوصفها مصدراً للذة ، وذلك من خلال نظرته إلى زوجته وملابسها التي تبرز مفاتنها وهي تبتسم أمام عينيه فهو على وشك أن يفقد رقابته على نفسه وأخبرها بإمكانية ذهابها إلى التبضع وشراء ما تحتاجه فشعرت بفرح[٢] .

إنَّ محمد جعفر ينظر إلى زوجته نظرة جنسية فهو لا يبالي لما تقوله ، إذ انه منشغلٌ بمنظرها الجذاب ، أي أنّه يفقدها قيمتها فلا يسمع لما تقول ؛ لأنّه لا يبالي به ولا يعطي لحديثها عناية ؛ لأن ما يفعله هو فقط ضمن تفكيره وإرادته ، فلا حقَّ لها بالتدخل في آرائهِ ، إنَّ ما يشغله هو الحصول على غايته ، وهي إشباع لذته منها ، فالروائي يسرّب إلى شخصياته ذلك الإرث الذي تنوء به الثقافة العربية الذكورية التي حولت الأنثى إلى جسد موضوع في هامشها المحترم[٣] .

---

(١) ينظر : الوجه الآخر : ٢٨ ، ٢٩ .

(٢) ينظر : المصدر نفسه : ٤٠ ، ٤١ .

(٣) ينظر : أدب الجسد – قراءة في المدونة النسوية ، محاضرة ألقاها د. علي متعب جاسم ، في اتحاد الأدباء والكتاب – فرع ديالى – بتاريخ ٢٠١٣/٦/٧ .

ونلحظ التكرلي يحاول أنْ يعرض موقف المثقف من المرأة ، من أكثر من زاوية ، فهو يسوقهُ إلى أن يكون شاهداً أو حَكَماً على استلاب المرأة حقوقها ، بل وبيعها من خلال ما تعرض عليه جارتهم بوساطة زوجته فهي تقول : ((تدري شتريد منك أُم سليم ؟ أحزر [...] خير انشالة ، شتريد ؟ – إتكول بلكي تقنع سيد هاشم يأخذ سليمة فتوقف لحظة : – شنو ؟ سيد هاشم يتزوج سليمة ؟ مجنونة هاي ؟ فاندفعت زوجته في كلامها ووجهها مليء بإمارات سرور خفي : – شمدريني ، تكَول ولو ينطينا خمسين دينار بس متقدم ، كان مشمئزاً منزعجاً إلا انه شعر أن حالته النفسية تسمح له بتقبل هذا الأمر))[1] ، ونرى محمد جعفر يتردد في قبول الوساطة ، ثم يصمت راضياً وهو ما يدلُّ على إنه متردد غير حاسم لأمره ، بل أنَّه مثقف لا يبدو عنده الموقف واضحاً ، فيُلحظ إنَّ أُم سليم تحاول بيع ابنتها وإنّها استلبت سابقاً وترى إن ابنتها على سيرتها فلا حقَّ لها في ممارسة حقوقها ؛ لأن واجبها هو التضحية فقط وإن ما دعا والدتها لبيعها إلى المرابي البخيل هو حاجتها المادية ، وعدم قدرتها على توفير وسيلة العيش لأبنائها فاتخذت من بيع سليمة وسيلة لإنقاذها من الفقر والجوع وان سعدية تبتسم لهذا الأمر ؛ لأنها تجده أمراً طبيعياً في مجتمع يقوم على استلاب المرأة وتسلط الرجل وإنَّ محمد جعفر شعر بالانزعاج والاشمئزاز في بادئ الأمر ؛ لأنها فتاة صغيرة فيكون ظلماً تزويجها من هذا الرجل المسن على الرغم من نظرته الرجعية للمرأة ، إلا أنَّه يجد أنَّ لها الحق أن تتزوج ممن يلائمها ، ولكن ظروفه النفسية تجعله يتراجع عن هذا التفكير الذي ينصّ بإعطاء المرأة ولو حقاً بسيطاً من حقوقها أي أنه مثقف محكوم بالظروف المحيّطة به ، فإن ما يعانيه من حالة فقر وعوز جعله مشغولاً في أموره ، ويرى إن أم سليم مثله تحاول التخلص من هذه الحالة ببيع ابنتها كما هو حاول الحصول على المال عن طريق رهن ذهب زوجته ، فكلاهما استلبا المرأة هو استلبها

---

(١) الوجه الآخر : ٤١ .

اقتصادياً وجسدياً ، وهي استلبت حقّ ابنتها في اختيار شريك حياتها وهو بالنهاية صاحب فكر رجعي .

إنَّ كلا الروايتين (بصقة في وجه الحياة) و(الوجه الآخر) قامت على تصوير حالة المرأة البائسة التي لا تملك أي طموح سوى خضوعها للرجل ، وإن محلها هو منزل أهلها أو زوجها ، وإنَّ كليهما عانت المرأة فيه من حالة الفقر لكن في (رواية بصقة) وجدت المرأة الخروج مع الرجل ليسد احتياجاتها المادية كما في (فاطمة وساجدة) أمّا صبيحة فحاولت الزواج للاستقرار وأخذ مكانها الطبيعي أمّا (الوجه الآخر) فكانت المرأة تباع للحصول على المادة ، وكذلك تخضع لتسلط الزوج وتلبية ما يريد وما هي إلا وسيلة أيضاً لإشباع الرغبة الجنسية ، وما إن تفقد مفاتنها أو تعاب بخلقها يسعى الرجل لتركها ويأتي بأخرى تكمل هذا الإشباع كما في طلاق محمد جعفر لزوجته بعد عماها .

أمّا رواية (الرجع البعيد) فتجد الباحثة أثر السلطة الذكورية واضحاً على المرأة من خلال طريقة تعامل الرجل معها على الرغم من شيوع الثقافة في هذه الرواية وتعدُّ أكثر اهتماماً بالمرأة من رواية (الوجه الآخر) إلا أنَّها لا تخلو من تسلط الرجل، ونرى سلطة الرجل في الرواية من خلال حديث أُم مدحت مع ولدها عبد الكريم حول عدم رضاها برؤية حسين لإبنتيهِ كما جاء في الرواية ، كرومي إنموذج مثقف ، يحاول كرومي في (الرجع البعيد) أنْ يتخذ موقفاً تجاه زوج أُخته حسين مراعياً أو متفهماً لنمط العلاقة التي يمثلها حسين مع عائلته ، وهي علاقة مقطوعة لأسباب عرضنا لها في أماكن أخرى ، كرومي لا يلتفت إلى ما تفترضه تقاليد العائلة التي تمثلها الأُم وهي

تقود فكرة معاقبة حسين صهرها من رؤية بنتيه، ولذلك يحاول كرومي إقناع أُمه بالتراجع عن رأيها وبأسلوب خشن فتراجعت عن رأيها وبصوت مرتجف[١] .

إنَّ موقف كرومي هنا ينطلق من ثقافته ويعكس موقفه المتحضر لنمط العلاقة أياً كانت بين الزوج والزوجة ، ولكن موقفه التسلطي على المرأة واضح من خلال طريقة كلامه مع والدته فهو يحدثها بأسلوب خشن على الرغم من أنَّها والدته وعليه التحدث معها برفق إلا إن ما توارثه من أجداده من سلطة الرجل ومكانته الأرقى من مكانة المرأة بوصفها أقل وعياً منه ، أمّا هي فترددت في كلامها وتراجعت عن فكرتها احتراماً منها لسلطة الرجل ومكانته الأرفع في المجتمع على الرغم من تمردها على تصرفات صهرها من عدم مبالاته لاسرته وهجرها وقت ما يريد واتخذ من زوجته وسيلة لتكوين الأسرة وإشباع لذاته لفترة ما ، وله الحرّية في هجرها ؛ لأن فكره الرجعي يرى أنَّ المرأة سلعة أو حاجة يسعى لامتلاكها لإثبات رجولته ، وقد اضطهدت من قبله ولم يراعِ مشاعرها وطريقة عيشها بعده ، أمّا عبد الكريم فيرى أنَّ ليس للمرأة حقاً في أنْ تشارك الرجل في آرائه وتبدي رأيها بل لها الحقوق البسيطة فقط ، فهي ناقصة وقاصرة ، تعدُّ هذه النظرة الرجعية للمرأة مشابهة للنظرة التي في رواية (الوجه الآخر) باستلابها حقوقها في إبداء آرائها ، وحديث عبد الكريم بخشونة مع والدته مشابه لموقف محمد جعفر عندما سألته زوجته عن إمكانية إعطائهم السيد هاشم المبلغ الذي طلبوه عندما أجابها بأسلوب خشن وبدا انزعاجه على الرغم من ملاحظته انكسار صوتها.

تطرح رواية (خاتم الرمل) الموقف من المرأة بما يمكن أنْ يكون موقفاً انتهازياً إلى حد ما ، إذ يبدو ذلك من موقف هاشم إزاء خطيبته التي لم يتعامل معها وفقاً لمواثيق الشرف والإنسانية التي تقتضي باحترام مشاعرها بوصفها إنسانة، ذلك ما يجري على لسان العمة قادرية : ((آمال يا إبني ، آمال .. لا يمكن أن تبقى

---

(١) ينظر : الرجع البعيد : ٨٠ ، ٨١ .

هكذا، تريد أن تتزوج ولعل عريساً .. أو لا أدري .. تقدّم لخطبتها أو .. أو أيّ شيء آخر))[١] ، تشير العمة قادرية إلى موقف هاشم المتسلط على خطيبته فهو مثقف انتهازي متسلط ، يجد أنَّ للرجل من القوة والمكانة التي تجعله حراً في تصرفاته إزاء المرأة وان المرأة إنسان قاصر عاجز على أن يخرج عن سلطة الرجل .

أمّا رواية (المسرات والأوجاع) فتعدُّ أكثر روايات التكرلي إظهاراً لموقف الرجل من المرأة وتظهر أكبر عدد من النساء وبصفات مختلفة وكلّ واحدة منهن تحمل ميّزة خاصّة ويلبسهن التكرلي ثوب الجمال ويضفي على بعضهنَّ صفة الثقافة، ويبين موقف توفيق المثقف الرئيس في الرواية ، وكذلك مواقف الشخصيات الذكورية المثقفة الأخرى منهن ، فمنهم من نظر إليها نظرة رجعية على العكس من توفيق صاحب نظرة تقدمية للمرأة .

تلحظ الباحثة ذلك واضحاً من خلال موقف إبنْ عم توفيق كاسب برهان من المرأة وذلك متمثلٌ بموقفه الرجعي بالنظرة إليها فهي ملكية خاصّة ، بوصفها سلعة تباع وتشترى كما في كلام توفيق عن أنوار زوجة إبنْ عمه فهو يقول : ((لم أكن أفكر بالنوم ، بل كنت أفتش عن ذلك الوجه الصبوح الذي افتقده ، علمت خلال الأيام الماضية ، أنها زوجة كاسب برهان الدين حفيد عمي سمر الدين ، وأنها كردية من الجبال خطفها ذلك الحفيد الشجاع بعد أن أرضى أهلها الفقراء المشردين بماله ، وجاء بها إلى حارتهم فبثت الاضطراب في نفوس الرجال بجمالها فاضطر إلى إلباسها الحجاب))[٢] ، ثمة شخصيات مثقفة وقفت من المرأة موقفاً رجعياً ، وذلك من خلال استلاب أنوار حقها في اختيار الزوج فقد تاجر بها أهلها على الرغم من جمالها ورقتها فباعوها إلى المثقف كاسب برهان مقابل إرضائهم بمبلغ ينقذهم من حالة الفقر والتشرد فقرروا التضحية بها ، فخرجت أنوار من سلطة الأب إلى المؤسسة الزوجية تحت

---

(١) خاتم الرمل : ٣١ .

(٢) المسرات والأوجاع : ١٣٩ .

سلطة الزوج بوصفها وسيلة لإشباع اللذة الجنسية وآلة للتكاثر ، وإنها لجمالها أثارت رغبة واهتمام الرجال مما أدى إلى استلاب حقها أكثر وممارسة ضغوط السلطة الزوجية بقوة أكبر عن طريق إلباسها الحجاب ليخفي جمالها عن عيون الناظرين إليها ، ولا حقَّ لأحد أنْ ينظر ويتعرض إليها ، إنَّ معاملة كاسب لأنوار معاملة نابعة من الفكر الرجعي ، وهذا الضغط من زوجها أدى بها إلى محاولة التحرر من هذا القيد ، وذلك من خلال إعجابها بتوفيق ومالت بقلبها نحوه ، إذ أنَّها أسمت إبنها توفيق على اسمه لكنها لم تفعل ما فعلت زوجة الرسام عبد الاله فبقيت محافظة على المؤسسة الزوجية ومقرةً ومعترفة بسلطة زوجها وخاضعة له ، فهي من حيث كونها سلعة تباع وتشترى مشابهة لموقف فتحية.

التي قام والدها بتزويجها ، وقد دخلت السادسة عشر من عمرها ، وزوجها يقترب من السبعين ومتزوج أربع مرات وطلق مرتين[١] .

إنَّ التكرلي صور حالة المرأة في مختلف الحقب الزمنية ، كما صوّر نظرة الرجل إليها فنجدها في أغلب الأحوال خاضعة لسلطة الرجل ولا طموح لها غير رعاية بيت الزوجية وتلبية متطلبات الزوج ، وأنْ حدث تطور في وضعها بالنظر إليها مساوية ببعض الحقوق مع الرجل ، وكذلك النظرة التقدمية إليها بمنافستها للرجل ، إلا أنَّها تبقى بحاجة إليه ويعدُّ نصفها الثاني وهو أيضاً بحاجة إليها ؛ لأنَّه يجد فيها الإنسانية وأنْ تسلط عليها .

أمّا (اللا سؤال واللا جواب) فنجد المستوى الرجعي واضحاً من خلال موقف والد عبد الستار من والدته ، وذلك من حديث عبد الستار فهو يقول : ((كان يعتدي على والدتي ، تلك المخلوقة البالغة الضعف ، دون سبب وبشكل لا يحتمل ، وكانت تكتم صرخاتها وتتحمل ضرباته باكية بسكون ، لم أفهم الأسباب [...] كيف يمكن لهذا

---

(١) ينظر : المسرات والأوجاع : ٨٠ .

المتعلم أستاذ اللغة العربية في الثانوية المركزية أن يقترف مثل هذا العمل الوحشي))[١] ، وترى الباحثة أثر السلطة الذكورية بشكل واضح وقاسٍ من خلال ظلم والد عبد الستار واضطهاده زوجته ومحاولة إثبات رجولته من خلال استعراض عضلاته على هذه المخلوقة الضعيفة بوصفها تابعة للرجل ، وإنَّ وظيفتها هي خدمته فقط ، وإشباع لذته وإنجاب الأولاد له وعلى الرغم من كلّ ما تفعله فهو يوجه ظلمه وقسوته عليها ولا يبالي لمشاعرها وما يتسبب لها من ضرر ، فعلى الرغم من ثقافته وهو مدرس اللغة العربية ، فعليه أن يحترم المرأة ؛ إلا إنَّ ما توارثه من أفكار عن المرأة وكيفية النظرة إليها دفعته إلى التعامل معها بهذا الشكل وإثبات سلطته الرجولية ، فقد سلب زوجته أبسط حقوقها وهي كرامتها ، وإنَّ عبد الستار لم يستطع التدخل لإنقاذ والدته؛ لأنَّ سلطة الأب هي المسيطرة على البناء الأُسري ، ولا يمكنه معارضة هذه السلطة ، أمّا والدته فعليها القبول بكلِّ ما يفعله زوجها ، ولا حقّ لها حتى في الصراخ .

تبين نظرة الرجل إلى المرأة كوسيلةٍ لإشباعِ ملذاته من خلال حوار عبد الستار مع زوجته : ((سألته هل سيخرج الليلة للعمل كالعادة . فأجابها بالإيجاب. بقيت تنظر إليه نظراتها الموسيقية تلك دون كلام ، كانت الساعة تقارب الرابعة ، فأمسك بذراعها البظة وقادها إلى غرفة نومها))[٢] ، يقف عبد الستار من المرأة موقفاً رجعياً فهو يرى جسد المرأة نبعاً يفيض لذة وشهوة ، وهي وسيلة اتصال إنسانية وهي المكان الذي يلجأ إليه بعد مواجهة الظروف القاسية ، وهي الشخص الذي يمكنه من خلاله ممارسة سلطته الرجولية وإثبات قدراته ، ولكن مكانها هو المنزل وإنجاب الأولاد وتكوين الأسرة ، إذ إنّ شخصية عبد الستار تتميّز من خلال عرضنا لموقفها من المرأة بانها شخصية مأزومة ومهزومة ؛ لذا وجد في جسد المرأة تعويضاً له عن بؤسه وفقره ، لكنه لم

---

(١) اللا سؤال واللا جواب : ١٠ .

(٢) المصدر نفسه : ٩٩ .

يستعمل القسوة في معاملتها كما فعل والده ، إذ إنّه سخرها لخدمته وتحقيق رغباته ، ونجد زكية ترحب بسلطة الزوج وتسعد بالمؤسسة الزوجية وتحاول الحفاظ عليها بكلّ ما يمكنها فعله ، فهي تلبي رغبته الجنسية بقبول ورضا ، ومهما تعانيه من ظروف قاسية ، إلا إنَّ همها إرضاؤه ؛ لأنَّه السلطة التي تعتمد عليها في حياتها وكذلك لأنهما أحبا بعضهما منذ الصغر ، وإنَّ هذا الحب لم يمنع عبد الستار من ممارسة سلطته على زوجته بل بقي على سيرة والده من تسلطه على والدته ونظرته الرجعية للمرأة بأنَّ مكانها هو المنزل والخضوع لسلطة الزوج .

تبرز سلطة الرجل وموقفه القاسي من المرأة حتى بعد كبر سنه من خلال حديث عبد الستار : ((تلك الأيام قبل وفاته فقد الكثير من اتزانه ، خاصّة بعد إحالته على التقاعد لبلوغه السن القانونية ، أراد يوماً أن يعتدي على والدتي أمامنا جميعاً ، أنا وزكية والبنات ، وجد سبباً تافهاً في زيادة الملح قليلاً في الطعام ، رفع صحن المرق ورماه باتجاه تلك المرأة الهرمة والدتي وقام كالمجنون يريد ان يضربها))[1]، يتبين موقف الرجل السلطوي من المرأة بصورة قاسية حتى بعد كبر سنه ، فهو يمارس قوته وسلطته عليها ، ويحاول إطفاء غضبه من خلال معاملته القاسية للمرأة بمحاولة ضربها ؛ لأنّه يتمرد على الواقع المؤلم بممارسة سلطته على الأضعف منه، وهي المرأة فيمارس قوته عليها باعتبارها المخلوقة الضعيفة التابعة له والتي تخضع لسلطته ، وإنَّه يجد أتفه الأسباب لمعاقبتها وهي وضعها (ملحاً زائداً في الطعام) ، وقد حاول ضربها لولا منع ولده عبد الستار من ذلك عن طريق إقناعه؛ لأنه لا يستطيع معارضة سلطة الأب وقد أهان كرامتها كإنسانة عندما رمى صحن المرق باتجاهها ، ولم يكتفِ بالإهانة بل يصر على معاقبتها جسدياً كما اعتاد في شبابه ، وما عليها إلا القبول بكلّ ما يفعل ؛ لأنَّه من يعيلها مادياً وهو من يأويها في المنزل فعليها عدم المعارضة

---

(١) اللا سؤال واللا جواب : ٣٥ .

لـه ، أنَّ والد عبد الستار رمزاً للسلطة الرجعية في نظرته للمرأة فلا يكتفي بتسخيرها لخدمته ، وتكوين الأسرة بل يتعداها إلى وسائل التعذيب الجسدي جراء أي ظرف خارجي يزعجه فيوجه غضبه على المرأة على العكس من عبد الستار الذي كان يلجأ إلى زوجته عند انزعاجه من الظروف الخارجية ، فعلى الرغم من اتفاق الأب والابن في النظرة الرجعية إلا إنهما يختلفان في طريقة تعاملهما مع المرأة .

يمكن القول إن هذه المواقف التي مثلها المثقف تجاه المرأة والتي تباينت ما بين الرضا والقبول بواقعها ، أو اضطهادها والتجاوز على حقوقها ، وقابله موقف آخر يتمثل بالنظرة الليبرالية المنفتحة شيئاً ما مما سنتناوله في هذا المفصل .

المستوى الثاني : النظرة الليبرالية :

في هذا المستوى يدعو المثقف إلى الحرية الجزئية للمرأة إلا إنَّها على الرغم من حريتها الجزئية ، تجد نفسها تابعة للرجل بدوافع داخلية تربطها به يفرضها عليها واقعها الاجتماعي .

من خلال تتبعنا لمواقف المثقف من المرأة نرى (النظرة الليبرالية) واضحة في رواية (بصقة في وجه الحياة) مما نجده على لسان الشخصية المثقفة محيّ : ((غير أني لم أكن خالياً من كل هم وانزعاج كنت ألحظ بين وقت وآخر النظرات الخفية التي تتبادلها الاختان إثر رؤيتهما بعض الشبان المتأنقين ، فأحاول أن أغضي الطرف عنهما ، لكنها كانت تترك أثراً يلبث يحزنني ويعصر فؤادي وقتاً طويلاً))[1]، يكشف الحوار الداخلي لمحيّ عن موقفه (الليبرالي) من المرأة فهو بحكم ثقافته يسمح لها بالخروج خارج نطاق المنزل ، لكنه لا يسمح بنيلها كامل حريتها من خلال رفضه وانزعاجه لنظرات ابنتيه المتبادلة لرؤية الشبان ، إلا إنَّه يضطر إلى السكوت ؛ لأنه

---

(١) بصقة في وجه الحياة : ٧٦ .

في بيئة وثقافة اجتماعية لا تسمح له بموقف رجعي تجاه المرأة، وسكوته هذا عن فعل بناته إنما يدلُّ على سكوت المثقف عن أُمور أخرى في المجتمع ، وإنه يرى المرأة إنسانة فيها القوة والضعف وهي تحاول الخروج من شرنقتها بحريتها هذه ، ذلك نتيجة لاحتياجها إلى الجنس الآخر ورغبتها فيه ، وكذلك لسدِّ احتياجاتها .

في رواية (الرجع البعيد) ترى الباحثة مواقفاً مغايرة للمرأة فهي تتجه نحو الثقافة، وذلك من خلال مطالعتها للكتب ، وكذلك إشغالها وظيفة في المجتمع ، فتختلف النظرة إليها من الرجل فهي متنوعة بين النظرة الرجعية والنظرة الليبرالية ، وموقفها بين القبول بسلطة الرجل وبين التمرد عليه ، ونلمس ذلك من خلال مواقف في الرواية ، منها مرض عبد الكريم إذ أثار اهتمام من في المنزل وإنَّ منيرة همت بتقديم الطعام إليه ، وكذلك ساعدتها أُم مدحت وكانت منيرة بمنظرها الجميل تجذب انتباه مدحت وهي تبتسم وتقول لعبد الكريم إنَّ مديحة هي التي صنعت الشوربة ، وإنَّ عبد الكريم يشكرها ويقول لها ما أدري شوكت راح أخدمكم آني هم ، وإنَّ هذا الكلام أثرَ على منيرة وأثار حزنها ، أمّا مدحت فكان ينظر إلى منيرة ويتمنى أنْ يتحدث معها[١] .

إنَّ عبد الكريم مثقف ينظر إلى المرأة نظرة (ليبرالية) وهي إعطاؤها بعض حقوقها ، لكنه لا يساويها بالرجل فهو يعطيها قيمتها كإنسانة تحمل من العاطفة ما تُحيّ به قلب الرجل ، فهي مصدر للحبِّ ، وإنَّ منيرة بكلامها وأسلوبها في معاملة أبناء خالتها كانت مفتاحاً لقلب الرجل فاستطاعت أنْ تنفذ إلى قلب كلٍّ من الأخوين ، إنَّ نظرة عبد الكريم إلى منيرة نظرة احترام وتقدير ، وذلك من خلال شعوره بأنَّه قد أثقل على منيرة وعلى والدته وأخته مديحة فهو يقول (متى راح أخدمكم) أي إنَّه ينظر إليها إنسانة لها قيمة وإنَّ خدمتها له هي عملية إنسانية وليست نظرة تسلطية تقوم على الفكر الرجعي ، إنَّ المرأة تقوم على خدمة الرجل فهي وظيفتها الأساسية، وبالمقابل

---

(١) ينظر : الرجع البعيد : ٧٢ ، ٧٣ .

نرى موقف مدحت فهو ينظر إلى منيرة نظرة إعجاب بها فهو يتمنى الحديث إليها ، أي أنَّ نظرته للمرأة مشابهة بنظرة عبد الكريم من خلال تمنيه للحديث إليها ؛ لأنها إنسانة لها قيمتها في المجتمع وهي ليست جارية عند الرجل يحدثها متى يريد وكيفما يريد بل لها آراؤها بالتعامل والتحدث مع الجنس الذكوري .

تلحظ الباحثة (الاتجاه الليبرالي) بالنظرة إلى المرأة من خلال الحوار الداخلي لمنيرة بعد حادثة اغتصابها فهي تقول : ((قبل سفرتنا إلى بعقوبة اعتدت أن أحسّ إنّي بمعزل عن العالم ، وذلك بمعنى إنّ ما يخصّ الناس ويحدّد مصائرهم وأسباب معيشتهم ، لا يمكن أن يؤثّر على المستقبل الذي ضمنته لنفسي لعلّ الباعث على هذا الشعور مجهول الأساس ، أو لا يمكن معرفته بسهولة ، ولكنيَّ ؛ اعتماداً على شكلي وراتبي ، كنت أجد من حقي أن أثقّ بحصولي على شاب موسر مثقّف ذي مركز ، كزوج لقد قيل لنا ، من أفواه غامضة أحياناً ، إنَّ الزواج هو كلّ شيء في حياة الفتاة هنا ، كخطّة حياتية وكغاية إنّه يحوي الجنس المشروع والأطفال ، ثمّ الأشياء الجميلة الأخرى ، وكذلك الرجل))[1] .

إنَّ منيرة مثقفة مهزومة ويتضح ذلك من خلال حوارها مع نفسها ، فحادثة اغتصابها أثرت على مستقبلها فأصبحت في صراع مع ذاتها ، وعقلها ، وجسدها ، عقلها الذي لم يتقبل هذه الحادثة ، وجسدها الذي وجدت في جماله جذب أفضل الرجال فقد انتهك وزال رونقه وذاتها بوصفها إنسانة لها مشاعرها الشفافة ، فكلّ هذا الصراع أدى إلى شعورها بالانهزام ، فهي قبل هذه الحادثة كانت بمعزل عن الناس، ولا داعي للبحث عن الأمور التي تحدد المستقبل ؛ لأنها ضمنت لنفسها مستقبلاً متميزاً من خلال الوظيفة التي تشغلها وحصولها على راتب فضلاً عن جمالها ، فهذا يدلُّ

---

(١) الرجع البعيد : ٢٦٠ ، ٢٦١ .

على النظرة الليبرالية للمرأة في ممارسة حقوقها في التوظف والمشاركة الاقتصادية فهي تتحمل كل مصاريفها ، وقادرة على إعالة عائلتها فهي مشاركة للرجل في هذا الحقّ ، فضلاً عن جمالها ، أنَّ ما يشدُّ الرجل إلى المرأة هو جمالها ، وأسلوبها ، وشخصيتها ، فالمرأة تربط الجسد بالحبِّ .

أمّا رواية (خاتم الرمل) فهي لا تختلف عما قبلها من الروايات في تصوير مواقف مختلفة للمرأة ، وعلى الرغم من بعض التطور في أفكارها فهي تتجه نحو التحدي للرجل إلا إنَّها امتداد لموقف المرأة ، ففي رواية (الرجع البعيد) التي تمثلها الشخصية الرئيسة منيرة ، إذ تركها مدحت بعد معرفته اغتصابها ، غير أنَّ الموقف يبدو مختلفاً في نهاية الأمر بعد قرار الرجوع إليها .

إنَّ هاشم حاول إشباع رغبته الجنسية عن طريق الزواج ، لكن أزمته النفسية منعت هذا الزواج وترك آمال معلقة فلم يفسخ عقد زواجه بها ولا يقبل الاتصال بها، كما في قول الدكتورة سلمى : ((ابنة عمي .. أستاذ هاشم .. لا تقبله الأديان.. كلاّ ، ينافي الأعراف البشرية))[1] ، تظهر هنا سلطة الرجل فهاشم يمارس سلطته في استلاب حرية المرأة بممارسة حقها الطبيعي في الزواج وتكوين أسرة ، فهو يُبقي آمال تحت عصمته ولا يتصل بها ولا يتركها تتزوج بمن يريد الزواج منها ، ويجد أنَّ له الحق في ذلك، وهو على الرغم من إعجابه بثقافة آمال وثقافة أسرتها يسمح للمرأة بالعمل بالوظيفة والخروج من المنزل أي يمنحها جزءًا من حريتها ؛ إلا إنَّه لا يسمح لها أنْ تتدخل في آرائه على الرغم من إنَّها تُحتكر حرّيتها في الزواج ، فهو يسلبها أهم الحقوق وهي الزواج منه ؛ لأنَّه كان يعاني أزمة نفسية ، لما وجده من ظلم والده لوالدته وماتت بسبب ظلمه ، وكذلك كان يخشى أنْ يرث العجز الجنسي عن والده فيظلم آمال

---

(١) خاتم الرمل : ٣٧ .

لكنه بدافع التسلط والأنانية الفردية لم يسمح لها بالزواج من غيره ، فهو صاحب نظرة ليبرالية للمرأة .

يرى الدكتور عبد الله إبراهيم أن شخصية هاشم ((بقيت عاجزة عن الاندماج في عالم الأسرة والمجتمع ؛ لأنها ورثت نوعاً من القلق الذي صاحب نشأتها، وهو قلق أدى إلى تنميط سلوكها بين التعلق المرضي بالأم سناء وعداء الأب ، فهو يعزو وفاة أمه إلى تسلط أبيه وقسوته فتظهر صورة الأب وهي ملتبسة ومشوهة في وعي هاشم وهذه الفكرة تسمم علاقاته بالآخرين))[1] ، إنَّ ما مرَّ به هاشم كان نتيجة عوامل متوارثة ، وكذلك أُمور تتعلق بتربيته جعلته يتصف بهذا السلوك ، فأنَّ موقف هاشم مشابه لموقف حسين في رواية الرجع البعيد من خلال هجره لزوجته مديحة وعدم رغبته بالاتصال بزوجته وإبنتيه فهي دليل على ممارسة السلطة الذكورية واستلاب الحرّية النسوية على الرغم من ثقافة المرأة .

بعد أنْ أنهينا الحديث عن المستوى الثاني بالنظر إلى المرأة والذي تمثل بإعطاء المرأة نصيباً بسيطاً في الحياة ويضع لها حدوداً لا تتجاوزها وهو ما نراه سائداً في مجتمعنا ننتقل بالحديث عن المستوى الثالث .

المستوى الثالث : النظرة التقدمية للمرأة :

بعد أنْ ذكرنا الاتجاه الثاني الليبرالي في النظرة إلى المرأة نجد بعض الشخصيات المثقفة في روايات التكرلي تدعو إلى تحرير المرأة ومساواتها بالرجل وتحريرها من سيطرة المجتمع ؛ لذا نتوجه لتحليل بعض المواقف التي تمثل اتجاه المتقدمين في النظر للمرأة والتعامل معها عن طريق منحها الحرّية .

---

(١) موسوعة السرد العربي : ٢/١٦٠ .

نلحظ ذلك في روايات عدة بينها التكرلي من خلال أفعال وأقوال شخصياته، ففي رواية (بصقة في وجه الحياة) نشأت الفكرة حول حرّية المرأة في فعل ما تريد، وتنص الرواية في أغلب أحداثها عن المرأة ونظرة الرجل إليها ، واستعملت جسد المرأة والرغبة فيه ودعوة المرأة إلى إباحته عن طريق منحها الحرّية ، فإنه يعلي جسد المرأة ليكون أسرع سقوطاً في الهاوية بالمقابل انتهاكه واستلابه من الرجل .

نلحظ ذلك واضحاً في كلام محيّ فهو يصف إبنته فاطمة فيقول : ((كانت تحتضن اللحاف بصورة شاذة كعادتها منذ كانت صغيرة ابنة أربع سنوات ، وكانت ساقها اليمنى عارية حتى نهايتها ، وقد مددتها على اللحاف بارتخاء فبدت بلونها الأسمر الخفيف وشكلها الرائع الفذ ، تأخذ بمخانق العقل وتؤجج نار العاطفة المحرقة، اضطربت أنفاسي وتسارعت))[١] ، إنَّ محيّاً ينظر إلى جسد إبنته نظرة إعجاب ؛ لأنّه صاحب فكر متحرر ، فيحاول الحصول عليه على الرغم من الموانع، فهو يرى في الجسد مركزاً للإثارة ، وفي حركاته يتضمن نداءً للرجل ، ونتيجة الجوع للمرأة يتخذ من التحرر وسيلة لإشباع هذا الجوع ، وأنَّ جمال إبنته وحركاتها المغرية أثارت الغريزة الجنسية لديه ، وأنَّ جمالها وحركاتها المثيرة تكون السهم النافذ إلى قلب الرجل ، فنفذت إلى قلبه بسهولة ، ويرى في ذلك سبباً لانجذاب الجنس الآخر إليها ، فمحيّ كان يعاني من أزمة من خلال واقعه المعيشي وعدم ملائمته مع المجتمع وجد في المرأة تعويضاً عن بؤسه ومحاولة خروجه من أزمته عن طريق اللذة والرغبة ، وهو بذلك يجد في المرأة مجرد جسد لإشباع الغريزة الجنسية مع منحها الحرّية في فعل ما تريد ، فهو يقوم على استلاب جسد المرأة لغايته الخاصّة وهو بهذه النظرة صاحب فكر متحرر يدعو إلى التحرر من كلِّ الأعراف والقيم ، والدعوة إلى تحرر المرأة ، ولكن هذا التحرر يؤدي بالمرأة إلى السقوط في الهاوية، فكما يرفعها الرجل إلى القمة لرغبته

---

(١) بصقة في وجه الحياة : ٢٢ .

الجنسية فيها يكون سقوطها أكثر وخماً فمحيّ مثقف يرى في المرأة محل الاشتهاء واللذة ، ويسمح لها بممارسة حرّيتها من دون قيد .

إنَّ نظرة محيّ إلى المرأة نظرة متحررة ويرفض إباحته كسلعة مقابل مبلغ، فيقول: ((بقيت ساعة أو بعض ساعة أهرع من هنا إلى هناك ؛ انظر بفزع لا باشمئزاز ، إلى المخلوقات العجيبة ، التماثيل المصبوغة ، التي جلست متحفرة باعياء في كل مكان تنادي عليّ وترمقني كأنني فريسة ضعيفة ، انظر إليها وأرطب شفتي وأمسح العرق عن جبيني))[١] ، إنَّ محيّ على الرغم من ادعائه الحرّية إلا إنَّها لا تعني عنده أنْ ترمي المرأة بجسدها إلى أيٍ كان من أجل الحصول على المال لتتمكن من العيش بسبب حالة فقرها ، فهي تعرض نفسها للبيع المؤقت مقابل حصولها على المال وبالمقابل يستغل ذلك الرجل لإشباع غريزته ولذته الجنسية ، فهو يرى المرأة لا تحمل معنى الإنسانية في موقفها هذا ، فهي مجرد تماثيل صماء لا تحمل مشاعر الحب التي تمثلها المرأة وتعتبر رمزاً لها ، وهي تحمل مشاعر القوة والضعف ، بل هي مصدر الخوف والفزع بدلاً من أنْ تكون مصدراً للحب ، ويشعر بأنَّه فريسة لها أي إنَّها بفعلها هذا لا تختلف عن الحيوانات ، واي المفترسة منها ؛ لأن العاطفة هي ما تميّز الإنسان عن الحيوان ، وهي خالية من العاطفة فهو يرغب بالمرأة بوصفها مصدراً للإنسانية؛ لأن المرأة تربط الجسد بالحب وهي تقذف بكلمات الحب قذفاً بركانياً تحرق به قلب الرجل وتملكه ، وإنَّ علاقة الرجل بهذه المخلوقة هي علاقة إنسانية وتمثل علاقة طبيعية ، وهي تمثل الثقافة ؛ لأن الثقافة تقوم على علاقة الإنسان بالإنسان ، (وإنَّ المرأة تمثل الجانب الإنساني الذي يرتبط به الرجل فمدى اتصاله بالمرأة يدلُّ على مدى ثقافته)[٢] ، وهنا يرفض محيّ الاتصال بمثل هؤلاء النساء اللاتي يبعن أجسادهن

---

(١) بصقة في وجه الحياة : ٣٧ .

(٢) ينظر : المرأة في التراث الاشتراكي : ١١ .

؛ لأنه لا قيمة إنسانية فيهن ، والاتصال بهن هو مجرد إشباع غريزي ، فهو لا يعبر عن ثقافته وهو صاحب نظرة تقدمية متحررة ، فهو يؤمن بأن تمنح المرأة نفسها للرجل عن قناعة وحب وليس لكسب المال .

نلمس نظرة محيّ المتحررة وهي نظرة المحدثين من خلال كلامه عن ابنته صبيحة فهو يقول : ((إلا أنها لم تكن تستطيع أن تدع نفسها دون أن تتقصى أخبار جيراننا الشبان كل يوم . ولم تكن رغبتها ، كما يبدو من تظاهرها بالاحتشام وغير ذلك ، إنها تريد أن تنشئ معهم علاقة فقط ، كانت فكرة الزواج تحضر في بالها ، وكانت تجد من يساعدها ويشجعها على الأمر تلك كانت الأم المحترمة))[1] ، إنَّ محيّاً ينظر إلى المرأة بوصفها وسيلة لإشباع غريزة الرجل وهي تحمل معالم الإنسانية هي القلب النابض بالحب وهي حرّة في أفعالها إن كانت تحب ، وهو ينتقد تصرف ابنته صبيحة ووالدتها التي كانت تبحث عن الاستقرار وبناء الأسرة ، فهي ووالدتها تساندان الفكر السلفي الرجعي للرجل في نظرته للمرأة هي مجرد وسيلة لتكوين الأسرة وتلبية رغبات الرجل ، فهو ضدّ هذه الفكرة فهو صاحب فكر تحرري يجد في المرأة شمساً تدور حوله الكواكب ، وإن المسألة لا تتعلق بتعدد هذه الكواكب، ولكن بنوعية العلاقة التي تربط الكوكب بالشمس ، أي لها الحرية في اختيار الرجل الذي تحب ، ولا يقيدها بهذا الحب طوق الزواج الذي يعدّه قيداً للمشاعر الحقيقة ، بينما صبيحة كان همها هو الزواج والزوج هو الحبيب وهي تعتبر من هموم المرأة الخاصّة : ((الهموم التي تتمحور حول الرجل (الحبيب ، الزوج) وفي ذلك تضييقاً لهموم المرأة فقضايا المرأة ليست هماً خاصاً بل هي قضايا وطنية واجتماعية ، ولاسيما القضايا المتعلقة بالطلاق والتحرر والمساواة

---

(١) بصقة في وجه الحياة : ٤٥ ، ٤٦ .

، وهي ليست مفصولة بحال من الأحوال عن القضايا المجتمعية والثقافية))[١] ، يعاكس محيّ بنظرته للمرأة نظرة المرأة نفسها لنفسها فيراها طيراً طليقاً حراً في طيرانه، أمّا المرأة فتحب أنْ تدخل القفص وتجد فيه الحامي لها من قساوة الحياة .

نرى التكرلي يبين الفكر المتحرر في النظرة إلى المرأة في رواية أخرى ، ومواقف وأفعال مختلفة من المثقف والمرأة ، ونرى ذلك واضحاً من خلال النظرة التقدمية للمرأة في رواية (خاتم الرمل) ونجده من حيث تحدي والدة هاشم سناء لزوجها ، وذلك عن طريق الحوار الداخلي لهاشم فهو يقول : ((والآن ماذا كان يستقرّ في أعماق مخلوقة من نوع أُمّي سناء ، بالغة الرّقة واللّطف والضعف والاستكانة والتعاطف والانهيار ، فيجعلها ، على غير توقّع ، تقف بمواجهته أربع مرّات أو أكثر في الشهر ، تجيب على صراخه بصراخ أعلى وعلى غضبه بغضب أشدّ وأعتى ، وعلى كلماته النابية بصمت مهين ؟!))[٢] ، تلحظ الباحثة نظرة المثقف التقدمية للمرأة واضحة من خلال وصف هاشم للشجار الذي يقع بين والديه ، وأنَّ والده على الرغم من صراخه على والدته ، إلا إنها لا تبقى ساكتة بل تجيبه بتحدٍ ، وهي تنطلق من مبدأ مساواة الرجل بالمرأة ، إذ لها الحق في تصرفاتها ، وزوجها يشاركها بهذه النظرة ؛ لأنه يسمح بتصرفها ولم يقمعها ، وهي تصرفت بهذا الشكل لعلمها أنَّ زوجها (مثقف) صاحب فكر تقدمي يسمح لها بتحديه ، وتتحداه بحدود حقوقها ولا تتجاوزها ، وهو ينظر إليها نظرة تقدمية ؛ لأنه لو نظر إليها نظرة رجعية لمارس وسائل القسوة في الرد عليها ؛ لأن النظرة الرجعية تقوم باستلاب المرأة حقوقها ولا تسمح لها بمواجهة الرجل على العكس من الموقف التقدمي ، الذي يسمح بمساواة المرأة بالرجل ، ووالدة هاشم بموقفها

---

(١) رواية المرأة العربية من ١٩٩٠-٢٠٠٧ في ضوء النقد النسوي ، هدى حسين زوير الشيباني، رسالة ماجستير، إشراف : أ.م.د قيس حمزة فالح ، م.د. حسين عدنان مهدي ، جامعة كربلاء – كلية التربية – قسم اللغة العربية، ٢٠٠٩م : ٦٤ .

(٢) خاتم الرمل : ٢٠ .

هذا تشذ عن مواقف من سبقتها من نساء في روايات التكرلي من القبول بسلطة الرجل عدا منيرة التي تتمرد أخيراً بعد وفاة زوجها وتصرخ على عبد الكريم بأن يتركها ، وهي لن تموت ولن تستسلم فكلا موقفهما متشابهان ، إنَّ نظرة المتقدمين تقوم على التنافس والصراع بين الرجل والمرأة .

أمّا رواية (المسرات والأوجاع) فتجد الباحثة مواقفاً مختلفة للمرأة بين متحررة، ومتسلطة، وخاضعة لسلطة الرجل، وتوفيق هو الشخصية الرئيسة والعمود الفقري الذي تعتمد عليه الرواية ، فهو صاحب نظرة متحررة تجاه المرأة ويبيح لنفسه الاتصال بها ، وإنْ كانت تَمتُ له بصلة قرابة أو زوجة صديق ، فنرى النظرة التحررية إلى المرأة من خلال موقف توفيق من آديل زوجة صديقه سليم مروان التي رآها في منزل زوجها عندما ذهب للعب البوكر بعد فراق طويل ، فأطالت النظر إليه ثم أعطته قصاصة ورق فاتصل بها هاتفياً ، واتفقا على موعد لقاء وعلى الرغم من ارتباطها هي بوصفها زوجة وأم ، وانهما موظفين يملكا الدوام الرسمي استطاعا أنْ يلتقيا ويختليا ببعضهما واتصلت به ، وقامت بالخيانة الزوجية[١] .

إنّ آديل موظفة في المصرف فهي متحررة اقتصادياً وهي زوجة صديقه سليم مروان وهو في حالة مادية ممتازة ، وهو يبيح لزوجته فعل ما تريد نظراً لفكره المتحرر حتى أنّها تتعرف على زملائه في سهرات لعب البوكر ، ولكنها استغلت هذا التحرر بالخيانة الزوجية ؛ لأنها تعدّ امتلاك زوجها لجسدها هو رغماً عنها ؛ لأنها تشعر بالاغتراب عنه فهي لا تحبه ، ولكن زواجها منه لغناه ، فهي تمنح نفسها لمن تحب وهي بفعل الخيانة تُعدّ قد كسرت قيود السلطة الزوجية التي تعدها انتهاك لحرية المرأة وهي (زوجة وأُم) فهذه الأمور تشير إلى موقع المرأة الأساسي في المجتمع هو بيتها

---

(١) ينظر : المسرات والأوجاع : ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٧ .

وأسرتها وعلى الرغم من ذلك لم تبالِ وحطمت هذه القيود ، وكذلك توفيق الذي أباح لنفسه الاتصال بها ؛ لأنه يرى أنَّ المرأة حرّة في فعل ما تريد وما الزواج إلا مؤسسة تقيد وتحطم الحب ، فنرى مثقفي التكرلي يجدون الحب عند النساء الأخريات وليس الزوجات ، إنّ توفيق ينظر إلى المرأة نظرة اتجاه المتقدمين الذين يرون المرأة حرّة في أفعالها بل حتى تكون عنصراً منافساً للرجل .

نجد حالة توفيق متمثلة ((بالازدواج الداخلي فقراءاته ، وتأملاته ، تجعله ينتمي إلى عالم ، وسلوكه وممارسته تدرجه في الانتماء إلى عالم آخر ، ولم يستطع أبداً أن يوفق بين العالمين ، ويحل التعارض القائم بينهما ، ولهذا عاشهما معاً ، فهو مخلص لطبائعه وغرائزه ، مادامت تشبع ، وبذلك يتصل بسلالته ، دون أن يكشف سرّ التمايز والاختلاف بين النساء اللواتي يشبعن رغبته ، (آديل ، وكميلة ، وفتحية، وأنوار) وهن جميعاً لا ينتمين إلى سلالته ، وجميعهن يُصبن أو يتعرضن لإضرار يتصل جانب منها به ، فهو راغبٌ مدفوع بغريزة الطبع الموروث من سلالته يجد نفسه معهن جميعاً دون أن يكون قادراً على اكتشافهن ، فلذته تنبثق من الطبع ، وليس المشاركة وهن فقط كن قادرات على تحديد العلاقة معه أو تنظيمها إعلان البداية وتقرير النهاية))[1] ، إنَّ علاقاته الجنسية المباحة بالنساء كانت نابعة من أمور وراثية توارثها من سلالته ذات الطابع الحيواني والشهوة الحيوانية .

ونرى استمرار توفيق في نظرته التقدمية للمرأة ، بانتقاله من الحبيبة آديل إلى كميلة الزوجة المناسبة ، ((لقد جهزت كل شيء كما تقول ، من الفاتحة حتى (لام ألف لا) والسلام . ولكن لا أحد يبدو على استعداد للركوع حتى الآن . وهذا أمر غريب لو بحثنا عن الحق . فماذا يروم هذا الولد المحظوظ توفيق أكثر من ذلك؟ لا شيء

---

(١) موسوعة السرد العربي : ١٥٧/٢ .

مطلوباً منه غير أن ينتقل إلى المشتمل الجديد المجهز بأحدث التجهيزات والمؤثث على آخر وأجمل موديلات الأثاث مع سيارة أمام الباب تحت الطلب وزوجة شابة مطيعة [...] عُقِدَ العقد في بداية تموز من تلك السنة وجرت حفلة الزفاف))[1] ، إنَّ كميلة شابة جميلة ، ومثقفة ، ومعلمة ومن عائلة ميسرة اقتصادياً ، وهي تملك منزلاً وسيارة ، وعلى الرغم من كلِّ ما تملك فهي لا تستغني عن فكرة الزواج؛ لأنَّ أفكار الأجداد غرست في ذهنها بأن المرأة مهما بلغت من مكانة ، إلا إنَّ مكانتها في المجتمع تكون من خلال زواجها وتكوينها أسرة بإنجابها للأولاد ، فهي تساند النظرة الرجعية التي تجد أنَّ منزلة المرأة هي بإنجاب الأولاد وزواجها ، وإنَّ أملها الوحيد كان الزواج من توفيق ، فقدمت له كلّ المغريات حتى أنها اختلت به أكثر من مرة ، ولا تبالي لما يقولونه عنها ، فالمهم إغراؤه ؛ لأنها تجد في جسد المرأة القدرة السحرية لامتلاك الرجل ، وقدمت له كلّ إمكانيات الراحة الاقتصادية فما عليه سوى الزواج منها ، وفكر توفيق بالأمر فوجده ملائماً فتزوج منها ، وهو لم ينتقد تصرفاتها عندما كانت تختلي معه ؛ لأنه يؤمن بحرية المرأة، ولكنه تزوجها ليس بدافع الحبِّ ، ولكن بدافع الراحة الاقتصادية ، فكانت فكرته تقوم على استلابها مادياً ؛ لأن حالته المادية كانت لا تبيح له العيش في مثل هذا المستوى ، وبالمقابل منحها رغبتها بالزواج من شاب جميل ، ومثقف ومحام ، وإنَّ كميلة كانت تحبّ أنْ تعيش تحت سلطة الزوج وإنجاب الأولاد ، الحلّم الذي سعت إلى تحقيقه وإنَّ زواج توفيق من كميلة هو نفس الدافع الذي دفع آديل من الزواج بسليم مروان .

نلحظ النظرة المتحررة إلى المرأة من خلال موقف توفيق من حديث والدته وكميلة وثريا عن هروب زوجة الرسام عبد الاله كمال أحد جيرانهم مع عشيقها الغني ،

---

(١) المسرات والأوجاع : ٥٦ ، ٨٧ .

تاركة إبنها غسان ذو السنوات الست وزوجها ، وكن يتحدثن عن قسوة قلبها وفجورها واستهتارها بينما (توفيق) تراوده فكرة الهروب مع آديل إلى آخر الدنيا[١].

إنّ زوجة الرسام لم تحب العيش تحت سلطة الزوج وأرادت تحقيق حريتها عن طريق التخلص من هذه السلطة والعيش بحرية مع مَن تحبّ ، ولا يمكنها تحقيق هذا التحرر من هذا القيد إلا بهروبها مع من تُحب ، وإنّها لم تفكر حتى بابنها الصغير الذي يبلغ (ست سنوات) لأنها ترى وجودها داخل إطار الأسرة يعني حكما عليها بالموت ؛ لأن الحياة من دون حبّ لا قيمة لها ، وأن نظرة كل من والدة توفيق وزوجة إبنها ثريا وكميلة نظرة نابعة من القيم الأخلاقية ؛ لأنها تدينها على تصرفها وتصفها بالفجور والقسوة، ولا يراعون ما تشعر به ، إذ أنَّها لا يمكن أنْ تترك ولدها الذي يكون أغلى شيء ، إلا إذا عانت حالة نفسية صعبة أجبرتها على تركه وتحطيم مؤسسة الزواج ، أمّا توفيق فهو لا يدين تصرفها لأنه ينظر إلى المرأة باتجاه المتقدمين وفكر متحرر ، إنها إنسانة ولها الحرّية في اختيار العيش مع من تريد ، وهو يعاني ما عانته ، ويحلم أن يملك الشجاعة ويفعل كما فعلت ويهرب مع حبيبته آديل .

إنَّ جبن توفيق من تحقيق طموحه بالهرب مع آديل يعني جبنه عن تحقيق أهدافه الداخلية ومواجهة المجتمع بشجاعة ، فاختياره بالاختلاء مع آديل خلسة لممارسة الحب وتحقيق رغبتهما هو دليل على أن توفيق يحاول تغيير ما في الواقع من أمور لا يرضى بها المثقف بصورة سرية وغير مباشرة ، ربما يرتبط هذا بالتكرلي الذي يحاول تغيير ما في المجتمع عن طريق الكتابة وليس بصورة مباشرة.

يمكن إجمالاً القول بأن الباحثة تناولت في هذا الفصل تحليلاً لسينوغرافيا الغلاف ودلالة العنونة ، ومن ثم تناولنا الاتجاهات التي تنظر إلى المرأة وقد حددناها بثلاثة مستويات هي : النظرة الرجعية ، ونجدها واضحة في رواية (الوجه الآخر)

---

(١) ينظر : المسرات والأوجاع : ٦٤ ، ٦٥ .

و(اللا سؤال واللا جواب) أكثر من غيرها من الروايات ، أمّا المستوى الثاني الليبرالي الذي يقوم على إعطاء المرأة بعضاً من حقوقها ، وعدم مساواتها بالرجل ، فهو واضح في رواية (الرجع البعيد) و(خاتم الرمل) ، أما المستوى الثالث النظرة التقدمية الذي ينظر إلى المرأة من حيث تحررها ، ونجده أكثر ظهوراً في رواية (بصقة في وجه الحياة) و(المسرات والأوجاع) .

لرُبَما التكرلي نظراً لمروره بمراحل تاريخية مختلفة وهو يعمل قاضياً ، قد شاهد المرأة في مواقف مختلفة ونظر إليها بحسب الحقب الزمنية ، والسياسات التي أُستُخدِمَت في ذلك الوقت ، وبحسب الثقافة التي استمدها المجتمع وكل ذلك أدى إلى اختلاف وظيفة المرأة واختلاف تعامل الرجل معها .

لقد اقتصرت دراستنا في هذا الباب على المثقف والموقف من التراث والسلطة السياسية والمرأة ، فقد تمثل موقفه من التراث الذي شمل التراث العربي والتراث الشعبي ، فكان موقفه بين متمسك بالتراث وبين ثائراً عليه ، وكانت نهاية من يثور عليه هي الموت ، أمّا الموقف من السلطة السياسية فتمثلت بقمع السلطة للمثقف بصورة مباشرة عن طريق قتله ووسائل تعذيبه وموقفها بصورة غير المباشرة من خلال سلبها حقوقه في العيش ، ففي كلا الحالتين نجد موقف المثقف رافضاً للسلطة ، لكنه لم يجهر بهذا الرفض ؛ لأن السلطة السياسية هي الأقوى ، أمّا الموقف من المرأة فتمثل بموقفه الرجعي المتسلط على المرأة وهي الراضخة له وبين موقف ليبرالي يعطيها جزءًا من حريتها مع إبقاء السلطة للرجل ، وموقف تقدمي تمثل بإعطائها كامل الحرّية ومساواتها للرجل فكانت النظرة الليبرالية هي الأكثر شيوعاً في مجتمعنا .

الخاتمة

الخاتمة إيذانٌ بإنجاز الرسالة مهمتها ، والانتهاء من فرضياتها التي أعلنتها في المقدمة ، ومن ثم فإن ما قرَّ في ذهن الباحثة من نتائج يُعدُّ خلاصة وعيها بالموضوع وقناعتها برسالتها ، وقد توافرت لديها من تلك الاستنتاجات ما يمكن توصيفه أو وضعه في قسمين : الأول هو أن طروحات التكرلي في كلِّ رواياته ، إثبات عما يُظن به ويؤمن ، وقد تسرب ذلك الظن والإيمان إلى رواياته فحملتها شخصياتها المثقفة التي آمن بها دليلاً على تعميم فكره ومعتقده ، وهو فكر تحدر من أصول وجودية وظل مسيطراً عليه ، ومن المناسب القول إن ما يؤمن به التكرلي، هو انهزامية الثقافة ، وعدم جدواها ، إذ إنَّها لم تستطع تخطي ثوابت راسخة ومعتقدات قارة ومن ثم فإن الموقف الذي أسند للمثقف على الرغم من أهميته بقي مترددا سلبياً في معظم الأحيان ، وهي نقطة مهمة جداً من الجدير الوقوف عندها ، ذلك أن مجتمع التكرلي مجتمع ضيق راسخ في عبوديته للتقاليد ، وهو ما اتضح في رواياته جميعها ومن ثم لم يكن التكرلي طوباويا في تفكيره ليسند إلى المثقف أثراً فوقياً بالتعامل .

تبدو الثقافة في عُرف التكرلي تعميق الوعي وتحويل المعرفة إلى سلوك ذي بعد اجتماعي ، ومادام المجتمع العراقي ، وهو أنموذجاً للمجتمع العربي ، امتدت به سبل التخلف فإنّهُ لا مناص من الغوص في بنيته العميقة ، في أقصى ما يمكن فعله ، وهذا ما يفسر أنَّ شخصياته المثقفة وهي نتاج ذلك المجتمع باستثناء قدرتها على الاستجابة وتشكيل الوعي نقول إن تلك الشخصيات نابعة من الطبقة الوسطى ؛ لأنها الأقدر كما يفترض على التأثير والقيادة ومع ذلك فشلت أو انهزمت.

يمكن تلخيص استنتاجاتنا حول شخصياته المثقفة ببعدها الاجتماعي وتفاعلها وأثرها في النقاط الآتية :

١- تلحظ الباحثة التسلسل التاريخي في رواياته فهو يتتبع المثقف في شتى الحقب الزمنية لكننا نجدها هي الشخصية المثقفة نفسها ، أو تحمل الفكر نفسه على

الرغم من اختلاف المواقف والظروف ، وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدلُّ على ثبات فكر التكرلي وفلسفته الحياتية على الرغم من إنه شهد تحولات تاريخية وسياسية متعددة.

٢- ترى الباحثة أن مثقفي التكرلي ينتمون إلى الطبقة الوسطى (الانتجليسيا) وهم الشخصيات البارزة في رواياته ؛ لأنهم ممثلو هذه الطبقة وحاملوا صوتها، وقد اختارهم التكرلي ليَحملوا أفكاره ويَنقلوها إلى أفراد المجتمع ، وتُعَد هذه الطبقة هي الأساس في المجتمع ؛ لأنها الأغلبية فيه وأغلبهم من المثقفين وهم الطبقة الفقيرة والمعدمة والتي تعاني أزمة مادية ، وكان غرضه أن يسترعي الانتباه لهذه الطبقة ومحاولة إصلاح وضعها الاجتماعي .

٣- إنَّ مثقفي التكرلي لم يحظوا بمكانتهم التي يجب أنْ يحتفي بها المثقف ، بل كانوا شخصيات مستلبة ومغربة عن الواقع ومهزومة ، وقد كانت نهاية مثقفيه في رواياته الأربع الموت عدا روايتي (الوجه الآخر) و(المسرات والأوجاع) ؛ لأن المجتمع لم يرضَ بأفكارهم ولم يجدوا الأرض الخصبة لزرع هذه الأفكار ؛ لأن المجتمع من حولهم أُمّي وفي النهاية يستلبون حياتهم ، أما كُلّ من محمد جعفر وتوفيق فلم يجعل نهايتهم الموت ؛ ربما لأنه أراد أنْ يبين للمجتمع أنه يمكن للمثقف أنْ يحقق غايته وأفكاره في تحقيق مجتمع يقوم على أسس ثقافية جديدة ، إنْ أصر على ذلك ولم يبالِ لما حوله من معارضات وتسنح له الفرصة لإقامة حياة سعيدة متحررة من الأحكام والتقاليد .

٤- إنَّ مثقفي التكرلي الرئيسيين يرفضون الوضع الراهن ويحاولون التغيير فهم عضويون ، أمّا مثقفوه الثانويون فكانوا يرفضون الخروج عن التقاليد والتراث ، وهم يقتنعون بالوضع الراهن ، فهم المثقفون التقليديون والتراثيون فالعضويون ناقمون على العادات والتقاليد ورافضون لمقولات الآباء والأجداد ويدعون إلى الحرّية منها .

٥- نلحظ أنَّ التكرلي هو ذاته في مثقفي رواياته ؛ لأنه شخصية مثقفة ، وقد جسد أفكاره في شخصياته وكتب رواياته لإيصال صوته إلى أفراد شعبه ليعوا ما يحيط بهم ويحاولوا التغيير من وضعهم السيء في المجتمع ، فقد استطاع أنْ ينقل أفكاره ويؤثر في أفكار أفراد المجتمع عن طريق أدبه .

٦- أما التراث فنلحظه واضحاً في روايات التكرلي فبعض شخصياته المثقفة متمسكة به وبعضها ثائرة عليه ؛ لأن التراث نسقاً ثقافياً ، وقد جعل التكرلي الاقتباسات القرآنية واضحة على لسان شخصياته المثقفة ، ليشير إلى إنَّ مثقفيه يملكون ثقافة عالية تميزهم عن باقي المثقفين ؛ لأن (القرآن الكريم) كتاب الثقافة الأول ، وتشير هذه الاقتباسات أيضاً إلى الثقافة الدينية للتكرلي ذاته ، ونرى أنّ مثقفيه يبدؤون متمسكين بالتراث بما يخصّ العادات والتقاليد، ومن ثم يتحول موقفهم إلى ثائرين عليه ؛ لأنهم تربوا عليه وغرست مفاهيمه في أذهانهم منذ الصغر ، وتوارثوه من الآباء والأجداد ، لكن بعد ممارستها لكيانها في المجتمع وتوسع ثقافتها وخضوعها لتجارب في الحياة ثارت عليه ، فهم مثقفون غير مستقرين في ثقافتهم بل متحولين ، وإن مثقفيه الثائرين على مواقف معينة من التراث وبحسب أفكارهم الخاصّة بهم سواء أكان هذا الرفض للتراث صائباً أم خاطئاً قد كانت النهاية واحدة وهي الموت ، أراد التكرلي أن يبين إن التراث يجري بدمائنا وإن من يحاول تغيره سيواجه الصعاب وربما يكلفه ذلك حياته، ونجده ناقماً على رجالات الدين المتسترين به ، ذلك ما لاحظناه من خلال عرضه لبعض شخصياته وموقفها السلبي مثل شخصية الشيخ الذي يغتصب إبنته في رواية (بصقة في وجه الحياة) وشخصية المرابي السيد هاشم الذي يدعي التمسك بالدين فيضعهم في دائرة سلبية .

٧- الموقف من المرأة بدأ متخذاً أشكالاً عدة يمكن إجمالها بأنها قد استعملت رمزاً لأمُور معينة في ذهن الروائي ، أو أُستعملت وسيلة لتحفيز القراء ، أو لأنه

يعمل قاضياً ويرى الكثير من القضايا التي تتعلق بـ(المرأة) فالمثقف على الأغلب نظرته للمرأة كانت (ليبرالية) ذلك ربما لطبيعة ثقافته الشرقية أو للبيئة التي يعيش فيها وهو ما يسود إلى وقتنا الحالي ، وإن من الملاحظ على مثقفي التكرلي لم يجدوا الحب والآمان عند الزوجات بل عند الحبيبة المغربة عنه فيجدها الملاذ الآمن ، وتلحظ الباحثة إن معظم العلاقات بين الرجل والمرأة تنتهي بالفراق ، مما يبين خلل فهم الشخصيات للعلاقة المشتركة ، وإن السبب الأساسي هو هيمنة أحد الشريكين على الآخر ، ومن خلال ما قرأناه في روايات التكرلي نراه لا يجد المرأة التي تحمل الصفات الكاملة ، فلا يوجد في نظره المرأة المتكاملة كما لاحظناه في حديث توفيق عن النساء عندما ينسب لكلٍّ واحدة من اللاتي يعرفهن صفة تنماز بها عن الأخرى .

أما القسم الثاني من النتائج فقد خصصناه إلى توصيف المثقف وأقسامه وطرائق تقديمه ، إذ لاحظنا ما يأتي :

١- دلالة العنونة وسينوغرافيا الغلاف في روايات التكرلي كانت تحتمل أبعاداً واسعة ، فقد اختارها بكلِّ ذكاء وفطنة ويجعلها تحتمل معاني عدّة وأبعاداً مختلفة يمكن للباحثة أنْ تؤولها بصور مختلفة .

٢- احتوت روايات التكرلي على ثلاثة أنماط من المثقفين ، العضويين والتقليديين ، والتراثيين ، وإن العضويين منهم كانوا يبدؤون بدايةً تقليديةً ، ومن ثم تتزاخم الأفكار داخلهم ، ويعانون صراعاً داخلياً بين ما يريدونه وبين ما يحيط بهم من ظروف فتنفجر رغباتهم ويحاولون إثباتها على أرض الواقع .

٣- إن الشخصية المثقفة الرئيسة في رواياته هي (مثقف عضوي) وإن بدأ بداية تقليدية من خلال وظيفته وكتبه التي يطالعها ، إلا إنَّه تحول عن طريق تطور أفكاره سواء بالمطالعة أو بالخبرة تحول إلى مثقفٍ عضوي ؛ لأنه حاول التغيّر في المجتمع وإن صُدِمَ به ولم يلقَ ترحيباً بأفكاره ؛ لأن المجتمع من حوله لا

يملك الثقافة الكافية التي تستوعب أفكار المثقف ، وإنَّ شخصياته المثقفة تبنت الفكر الوجودي ، فقد اتخذت طابعاً أخلاقياً يعارض الأخلاق السائدة في المجتمع ؛ لأنها تجد أنَّ الإنسان غير مجبر على مسايرة المجتمع ليلقَ القبول منه ، بل إنَّه حُرّ منذ ولادته وهو حرٌّ بتصرفاته فهو ينطلق من جوانبه الداخلية في إظهار ما يريد فالوجودية تبحث عن قيم أصيلة وترفض الالتزام بالقوانين والقيود ، ونجد أنَّ أغلب روايات التكرلي تقوم على مبدأ الصدفة وهي تشير إلى (الفكر الواقعي) لدى التكرلي ؛ لأنها من الأسس التي تقوم عليها (الفلسفة الواقعية) واتخذها وسيلة لسير الأحداث ولم يختار الصدف في رواياته اعتباطاً بل جعلها ركيزة أساسية تُنمي الأحداث في الرواية كما أشرنا إليها في خاتمة الباب الأول .

٤- الموقف من (السلطة السياسية) ، بعد أن بيّنا استنتاجاتنا لموقف المثقف من السلطتين الاجتماعية والدينية ، استنتجنا موقفه من السلطة السياسية ، وقد رأيناها مستلبة للمثقف وملاحقة له ، وبشتى الوسائل ؛ لذلك كان رافضاً لها وإن لم يستطع أنْ يبدي ذلك الرفض ظاهرياً ، إلا إنَّه كان رافضاً لها في قرارة نفسه ، وإن قسوة السلطة السياسية واستلابها حقوق المواطنين في العيش بحياة هنيئة جعلت (المثقف) يتخلى عن بعض قيمه الأخلاقية كما في عبد الستار الذي رضيَّ بأن يأخذ كيس المجوهرات الذهبية ، وهي ليست ملكاً له ، فتخلى عن قيم الأمانة وعدم السرقة على الرغم من عمله مدرساً ، وهو من يُعلم القيم الأخلاقية فتخلى عن ثقافته الروحية ، وإنصرف إلى الثقافة المادية ، وإن السلطة كانت مستلبة (للمثقف) لكنها طيلة ارتباطه بها وعمله في مجالاتها السياسية احتضنته وتلافت عن اخطائه ، لكن بعد انفصاله عنها تخلت عنه وعاش حالة الفقر والحرمان مثل الباقين من أفراد الشعب ، ويبين التكرلي تقصير السلطة السياسية وموقف المثقف منها على مختلف الحقب الزمنية

وحسب تسلسل رواياته ففي (بصقة في وجه الحياة) يبين انتشار الفساد الإداري (الرشوة) ، أما (الوجه الآخر) فيبين تقصير الدولة في توفير وسائل العيش للمواطنين لدرجة أنَّه لا يملك ما يكفيه لعلاج مريضه، وفي (الرجع البعيد) يبين حقبة الانقلاب السياسي والصراع على السلطة الذي أدى بحياة مواطنيه ، ودون أية مبالاة من قِبلها ، أما (خاتم الرمل) فتمثل حقبة انتشار الأمن والاستخبارات واتخاذ وسيلة القتل أيسر الوسائل لحل المشاكل ، وفي (المسرات والأوجاع) نجد التحولات السياسية التي أدت إلى التحكم بحياة المثقف وعزله من الوظيفة من قبل رجالات الدولة ، ورواية (اللا سؤال واللا جواب) بينت حقبة الحصار الاقتصادي واستلاب حقوق المواطنين ومحاولة قتلهم جوعاً ، وقتل الثقافة لأنها كانت حصاراً ومحاربةً للثقافة بالدرجة الأُولى من قبل السلطة الداخلية والسلطة الخارجية المتمثلة بدول العالم ، إذ إنَّ موقف المثقف من سياسة الدولة رافضٌ لها ويرفض الانخراط بها ويقع ضحيتها .

يمكن الإشارة إلى نتائج أُخرى مبثوثةٍ في الرسالة :

١- إن مثقفي التكرلي يحملون فكراً فلسفياً متنوعاً فهو الفكر الواقعي والوجودي، وكذلك التراثي وأكثرهم بروزاً هو الفكر الوجودي .

٢- أدركت الباحثة أنّ روايات التكرلي مغلفة بالواقعية ولاسيّما الواقعية السوداوية، وقد حاك أحداثها بأسلوب مؤثر وألبس شخصياته لباس الواقعية وصور أماكن واقعية وأحداثاً تناصاً من الحياة في الواقع وأسماء شخصياته متداولة بين الناس لدرجة إنَّ القارئ يشعر بأنه يعيش أحداث الرواية .

٣- إن السرد في رواياته أغلبه على شكل المونولوج الداخلي ، وذلك للجوء الشخصيات إلى السرد الذاتي يشير إلى قصديتها في الكشف عن الانفعالات والشكوك والاستقصاءات النفسية ، وتشير إلى إنَّ الشخصية المثقفة متوترة

وغير منتمية للمجتمع ، وهي شخصية إشكالية ومهزومة نظراً لما تلقاه من ظروف خارجية تتعارض مع أفكارها .

وأخيراً وليس آخراً ، فهذا ما أفضى إليه جِدّي واجتهادي ، فإن كنتُ قد وفيتُ الموضوع حقّه من الدرس والتحليل فهو ما قصدت – والخيرَ أردت – وإنْ كنت قد قصرتُ في عملي فقد جُبِلَ المخلوق على التقصير والكريمُ من عَذَرَ .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .

أولاً : الروايات :

١- بصقة في وجه الحياة ، فؤاد التكرلي ، منشورات الجميل ، كولونيا ، المانيا، ط١ ، ٢٠٠٠ .

٢- خاتم الرمل ، فؤاد التكرلي ، دار الآداب ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٥م .

٣- الرجع البعيد ، فؤاد التكرلي ، دار الآداب ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٣م .

٤- اللا سؤال واللا جواب ، فؤاد التكرلي ، دار المدى ، دمشق ، ط١ ، ٢٠٠٧م .

٥- المسرات والأوجاع ، فؤاد التكرلي ، دار المدى ، ط١ ، دمشق ، ١٩٩٨م .

٦- الوجه الآخر ، فؤاد التكرلي ، دار الآداب ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٩م .

ثانياً : الكتب :

(أ)

١- اتجاهات نظرية في علم الاجتماع ، د. عبد الباسط عبد المعطي ، عالم المعرفة ، سلسلة كتب شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، (د.ط) ، ١٩٩٨م .

٢- أثر الشخصية في الرواية ، فانسون جوف ، ترجمة : حسن احمامة ، دار التكوين ، ط١ ، ٢٠١٢م .

٣- الأدب القصصي في العراق منذ الحرب العالمية الثانية ، د. عبد الاله أحمد، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، د.ط ، ٢٠٠١م .

٤- الأدب تعريفه – أنواعه – مذاهبه ، د. أنطونيوس بطرس ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، لبنان – طرابلس ، ط١ ، ٢٠١١م .

٥- الأعمال الكاملة المقالات ، فؤاد التكرلي ، المدى ، ط١ ، ٢٠٠٢م .

٦- إشكالية العلاقة بين الثقافي والسياسي (المثقف العراقي شاهداً) ، فاضل ثامر، دار آراس ، اربيل ، ط١ ، ٢٠١١م .

٧- أُصول علم النفس الفرويدي ، كلفن هال ، ترجمة : محمد فتحي الشنيطي ، دار النهضة العربية ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٩٧٠م .

٨- الاغتراب في الثقافة العربية (متاهات الإنسان بين الحلم والواقع) ، د. حليم بركات ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٦م.

٩- الإنسان المتمرد ، البيركامو ، ترجمة : نهاد رضا ، منشورات عويدان ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٩٧٥م .

١٠- الإنسانية والوجودية في الفكر العربي ، عبد الرحمن بدوي ، دار القلم ، بيروت – لبنان ، د.ط ، ١٩٨٢م .

١١- أنماط الشخصية المؤسطرة في القصة العراقية الحديثة ، د. فرج ياسين ، دار التنوير الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ٢٠١٠م .

١٢- أوراق للريح ، صفحات للنقد والأدب ، د. عبد الستار جواد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٩٢م .

١٣- أوهام النخبة ونقد المثقف ، علي حرب ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط٥ ، ٢٠١٢م .

(ب)

١٤- البنى السردية دراسة تطبيقية في القصة القصيرة ، عبد الله رضوان ، دروب للنشر والتوزيع ، عمان – الأردن ، د.ط ، ٢٠٠٩م .

١٥- بناء الرواية ، د. سيزا قاسم ، مكتبة آفاق ، بغداد ، د.ط ، ٢٠٠٤م .

(ت)

١٦- التأويل والحقيقة ، قراءات تأويلية في الثقافة العربية ، علي حرب ، دار التنوير ، بيروت – لبنان ، د.ط ، ٢٠٠٧م .

١٧- التراث العربي ، طراد الكبيسي ، دار الحرية للطباعة ، د.ط ، ١٩٧٨م .

١٨- تفسير الأحلام الكبير ، الإمام الهمام ابن سيرين ، خرّج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله المنشاوي ، مكتبة الإيمان بالمنصورة ، ط١ ، ٢٠٠٠م .

١٩- تقنيات تقديم الشخصية في الرواية العراقية (دراسة فنية) ، أثير عادل شواي، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٩م .

٢٠- تمثيلات المثقف في السرد العربي الحديث (الرواية الليبية انموذجاً دراسة في النقد الثقافي) ، د. محمود محمد املودة ، عالم الكتب الحديث ، اربد – الأردن ، د.ط ، ٢٠١٠م .

٢١- توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة ، د. محمد رياض الوتار ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، د.ط ، ٢٠٠٢م .

(ث)

٢٢- الثابت والمتحول ، أدونيس ، دار العودة ، بيروت ، د.ط ، د.ت .

٢٣- الثقافة المعاصرة وهموم الشباب ، د. رياض الجابري ، دار المعارف ، حمص ، ط١ ، ١٩٩٥م .

٢٤- الثقافة والامبريالية ، ادوارد سعيد ، ترجمة : كمال أبو ديب ، دار الآداب ، بيروت ، ط٣ ، ٢٠٠٤م .

٢٥- ثلاث نظريات في الجنس ، سيجمند فرويد ، ترجمة : محمد عثمان نجاتي ، مكتبة أصول التحليل النفساني ، القاهرة ، ط٤ ، د.ت .

(خ)

٢٦- الخصائص ، صنعة أبي الفتح عثمان بن جني ، تحقيق : محمد علي النجار، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٥٢م .

٢٧- خيانة المثقفين النصوص الأخيرة ، ادوارد سعيد ، ترجمة : أسعد الحسين ، دار نينوى ، سوريا – دمشق ، د.ط ، ٢٠١١م .

(د)

٢٨- دراسات في علم السياسة ، د. يوسف محمد عبيدان ، دار الكتب القطرية ، ط١ ، ١٩٩٠م .

٢٩- الدولة والقوى الاجتماعية في الوطن العربية (علاقات التفاعل والصراع) ، د. ثناء فؤاد عبد الله ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط٣ ، ٢٠٠٨م .

(ر)

٣٠- الرواية في العراق (١٩٦٥-١٩٨٠) وتأثير الرواية الامريكية فيها ، د. نجم عبد الله كاظم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط١ ، ١٩٨٧م .

٣١- الرواية والتراث السردي ، سعيد يقطين ، المركز الثقافي العربي ، بيروت– الحمراء ، ط١ ، ١٩٩٢م .

(ز)

٣٢- زمن الشعر ، أدونيس ، دار العودة ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٨م .

(س)

٣٣- السرد العربي مفاهيم وتجليات ، د. سعيد يقطين ، رؤية للنشر والتوزيع ، ط١ ، ٢٠٠٦م .

٣٤- سلطة الاستبداد والمجتمع المقهور ، صاحب حداد ، صفحات للدراسات والنشر ، دمشق – سوريا ، ط١ ، ٢٠٠٧م .

٣٥- سؤال الثقافة أزمة المثقف قراءة وتعقيب في دراسة الناقد عقيل صاحب ، الثقافة العراقية أزمة الوجود ، د. علي متعب جاسم ، بحوث ودراسات مهرجان الكميت الثقافي الثاني والتعقيبات المعدة عنها من إصدارات اتحاد الأدباء والكتاب العراقيين في ميسان ، ط١ ، ٢٠١٢م .

٣٦- سوسيولوجيا المثقفين ، جيرار كليرك ، ترجمة : د. جورج كتورة ، دار الكتب الجديدة المتحدة ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٨م .

(ش)

٣٧- شخصية المثقف في الرواية العربية الحديثة (١٨٨٢-١٩٥٢) ، د. عبد السلام محمد الشاذلي ، دار الحداثة للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ، ط١، ١٩٨٥م .

٣٨- شخصية المثقف في الرواية العربية السورية ، محمد رياض الوتار ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، د.ط ، ١٩٩٩م .

٣٩- شرح المعلقات السبع ، أبو عبد الله الحسين بن أحمد حسين الزوزني ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، د.ط ، ٢٠٠٩م .

٤٠- شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار احياء الكتب العربية ، ط٢ ، ١٩٦٧م .

(ص)

٤١- صورة المثقف في التراث العربي ، د. رسول محمد رسول ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ٢٠١١م .

٤٢- صورة المثقف في الرواية الجديدة ، هويدا صالح ، رؤية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠١٣م .

(ض)

٤٣- ضعيف الترغيب والترهيب ، محمد ناصر الدين الألباني ، باب العلم ، مكتبة المعارف ، الرياض ، د.ط ، د.ت .

(ط)

٤٤- طريقة التحليل النفسي والعقيدة الفرويدية ، رولان البيز ، ترجمة : د. حافظ الجمالي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بغداد ، ط٢ ، ١٩٨٤م .

(ع)

٤٥- عالم النص دراسة بنيوية في الأدب القصصي ، فؤاد التكرلي أنموذجاً ، د. سليمان كاصد ، دار الكندي للنشر والتوزيع ، الأردن ، د.ط ، ٢٠٠٣م .

٤٦- عتبات جرارجنت من النص إلى المناص ، عبد الخالق بالعابد ، تقديم : سعيد يقطين ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٨م .

٤٧- علاقات الحضور والغياب في شعرية النص الأدبي (مقاربات نقدية) ، د. سمير ناظم الخليل ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٨م .

٤٨- علم النفس ومشكلات الفرد ، عبد الرحمن محمد عيسوي ، منشأة المعارف بالاسكندرية ، د.ط ، د.ت .

٤٩- العنوان وسيموطين الاتصال الأدبي ، د. محمد فكري الجزار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، د.ط ، ١٩٩٨م .

(ف)

٥٠- الفساد والسلطة أركيولوجيا المنشأة المزدوجة التمفصل الوقائعي للسلطة في العصور الوسطى ، د. قصي حسين ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٩٩٣م .

٥١- الفكر الاجتماعي في فلسفة ابن رشد ، دراسة تحليلية مقارنة ، د. خديجة الحريري ، المكتبة الوطنية ، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٢م .

٥٢- فكر غرامشي السياسي ، جان مارك بيوتي ، ترجمة : جورج طرابيشي ، دار الطليعة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٥م .

٥٣- في القصص العراقي المعاصر ، د. علي جواد الطاهر ، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت ، د.ط ، ١٩٦٧م .

٥٤- في سبيل الموسوعة النفسية ، الجنس عند فرويد ، عرض وتقديم : د. مصطفى غالب ، مكتبة الهلال ، بيروت ، د.ط ، ١٩٧٨م .

(ق)

٥٥- قال الراوي البنيات الحكائية في السيرة الشعبية ، سعيد يقطين ، المركز الثقافي العربي ، ط١ ، ١٩٧٧م .

٥٦- قاموس علم السياسة والمؤسسات السياسية ، ترجمة : هيثم اللمع ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٥م .

٥٧- قضايا القصة العراقية المعاصرة ، عباس عبد جاسم ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، د.ط ، ١٩٨٢م .

٥٨- القيم الثقافية في القصة العراقية ، مجموعة أبي والشيخ انموذجاً ، دراسة نقدية تحليلية ، د. شوكت علي عبد الرحمن درويش ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، عمان ، د.ط ، ٢٠٠٩م .

(ك)

٥٩- الكلام والخبر (مقدمة للسرد العربي) ، سعيد يقطين ، المركز الثقافي العربي، ط١ ، ١٩٩٧م .

(ل)

٦٠- لسان العرب ، للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري (ت٧١١هـ) ، دار صادر ، بيروت ، د.ط ، ١٩٥٦م .

(م)

٦١- ما بعد اللا منتمي فلسفة المستقبل ، كولن ولسون ، ترجمة : يونس شرور وعمر يمن ، مؤسسة جواد للطباعة ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٧٨م .

٦٢- الماركسية ، هنري لوفير ، ترجمة : حسين نصر الله ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت – الحمراء ، ط١ ، ٢٠١٢م .

٦٣- مبادئ علم السياسة ، د. نظام بركات ، د. عثمان الرواف ، د. محمد الحلوة، دار الكرمل للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط١ ، ١٩٨٤م .

٦٤- المثقف الإشكالي بين نارين أوراق نقدية ، مهدي النجار ، دار المرتضى للطباعة والنظر والتوزيع ، بغداد – العراق ، د.ط ، ٢٠٠٨م .

٦٥- المثقف السياسي بين تصفية السلطة وحاجة الواقع ، عادل عبد الله ، دار فارابي ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٨م .

٦٦- المثقف والسلطة ، ادوارد سعيد ، ترجمة : د. محمد عناني ، دار الرؤية ، ط١ ، ٢٠٠٦ .

٦٧- المثقفون في الحضارة العربية محنة ابن جميل ونكبة ابن رشد ، محمد عابد الجابري ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠٢م .

٦٨- المجتمع اللا اجتماعي ، دراسة في أدب فؤاد التكرلي ، علي حاكم صالح ، تنوير للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، د.ط ، ٢٠١١م .

٦٩- مدارات نقدية في إشكالية النقد والحداثة والإبداع ، فاضل ثامر ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٧م .

٧٠- مدخل سايسلوجيا الثقافة ، ديفد انغلز وجون هيوسون ، ترجمة : لمى نصير، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٣م .

٧١- المرأة في التراث الاشتراكي ، مجموعة مؤلفين ، ترجمة : جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٧م .

٧٢- المسألة الثقافية في الوطن العربي ، د. محمد عابد الجابري ، مركز دراسات الوحدة العربية ، الحمراء – بيروت ، ط٣ ، ٢٠٠٦م .

٧٣- معجم علم الاجتماع ، دينكن ميشيل ، ترجمة : د. احسان محمد الحسن ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، د.ط ، ١٩٨٠م .

٧٤- معجم العلوم الاجتماعية ، تصدير ومراجعة ، د. إبراهيم مدكور ، إعداد نخبة من الأساتذة المصريين والعرب المتخصصين ، مطابع الهيئة المصرية العلمية للكتاب ، د.ط ، ١٩٧٥م .

٧٥- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مجدي وهبة ، كامل المهندس، مكتبة لبنان ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٩٨٤م .

٧٦- المعجم النقدي لعلم الاجتماع ، بودون وف ، يوريكو ، ترجمة : د. سليم حداد ، ط٢ ، ٢٠٠٧م .

٧٧- المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، مكتبة الشروق الدولية ، جمهورية مصر العربية ، ط٤ ، ٢٠٠٤م .

٧٨- المعجم الوسيط ، د. صلاح الدين الهواري ، دار هلال ، بيروت ، د.ط ، د.ت .

٧٩- المعرفة والسلطة ، ميشال فوكو ، عبد العزيز العيادي ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٤م .

٨٠- مفاهيم نقدية ، رينيه ويلك ، ترجمة : محمد عصفور ، الكويت ، د.ط، ١٩٨٧م .

٨١- مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية ، د. نيس كوشي ، المنظمة العربي للترجمة ، د.ط ، د.ت .

٨٢- منهج الواقعية في الإبداع الأدبي ، د. صلاح فضل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، د.ط ، ٢٠٠٤م .

٨٣- المواقف النقدية بين الذات والموضوع ، دراسة نقد القصة القصيرة العراق ، كريم الوائلي ، العربي للنشر والتوزيع ، د.ط ، ١٩٨٦م .

٨٤- موسوعة السرد العربي ، د. عبد الله إبراهيم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، طبعة جديدة موسعة / ٢ ، بيروت ، ٢٠٠٨م .

٨٥- موسوعة المصطلح النقدي ، الواقعية ، ديمن كرانت ، ترجمة : د. عبد الواحد لؤلؤة ، دار الرشيد للنشر ، العراق ، د.ط ، د.ت .

(ن)

٨٦- نزعة الحداثة في القصة العراقية (مرحلة الخمسينيات) ، د. محسن جاسم الموسوي ، دار آفاق عربية ، بغداد ، د.ط ، ١٩٨٤م .

٨٧- نظرية الثقافة ، تأليف : مجموعة من الكتاب ، ترجمة : د. علي سيد الصاوي ، مراجعة الأستاذ الدكتور : الفاروق زكي يونس ، سلسلة كتب ثقافية شهرية ، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت، د.ط ، ١٩٩٧م .

٨٨- النظرية الجنسية ، فرويد ، ترجمة : أحمد طلعت ، مكتبة النهضة ، بغداد ، د.ط ، ١٩٧٩م .

٨٩- نهاية الداعية ، الممكن والممتنع في أدوار المثقفين ، عبد الاله بلقزيز ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط١ ، ٢٠٠٠م .

(و)

٩٠- الواقعية في الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام ، سوريا ، لبنان ، فلسطين، الأردن (١٩٣٩-١٩٦٧م) ، إبراهيم حسين عبد الهادي الفيومي ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان – الأردن ، د.ط ، ١٩٨٣م .

٩١- الواقعية في الفن ، سدني فلنكشين ، ترجمة : مجاهد عبد المنعم مجاهد ، مراجعة: د. يحيى هويدي، الهيئة المصرية العامة للتأليف ، د.ط ، ١٩٧١م.

٩٢- الوجودية الجديدة عند كولن ولسون ، د. سليم عكيش الشمري ، شبكة المعارف ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٠م .

٩٣- الوجودية ، جون ماكوري ، ترجمة : د. إمام عبد الفتاح إمام ، مراجعة : د. فؤاد زكريا ، مطابع الابناء ، الكويت ، سلسلة عالم المعرفة ، د.ط ، ١٩٨٢م .

٩٤- الوجودية ، جون ماكوري ، ترجمة : د. إمام عبد الفتاح ، المجلس الوطني للثقافة والفن والآداب ، الكويت ، ط١ ، ٢٠٠٥م .

٩٥- الوجودية منزع إنساني ، جان بول سارتر ، ترجمة : محمد نجيب عبد المولى ، زهير المدنيني ، التنوير للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠١٢م .

ثالثاً : الدوريات :

١- أبطال الرجع البعيد بين الإحباط والاغتراب ، الأقلام ، صبري مسلم ، العدد ١٣ ، العراق – بغداد ، ١٩٨٣م .

٢- أدب الجسد ، قراءة في المدونة النسوية ، محاضرة ألقاها د. علي متعب جاسم ، في اتحاد الأدباء والكتاب ، فرع ديالى ، ٢٠١٣/٦/٧ .

٣- الأدب والاديولوجيا ، فصول ، المجلد الخامس ، العدد الثالث ، د.ت .

٤- أزمة الفرد ... أزمة الوجود ، رواية خاتم الرمل فؤاد التكرلي ، المدى ، د. نجم عبد الله كاظم ، العدد ٤ ، ٢٠٠٣م .

٥- إشكالية العلاقة بين المثقفين والسلطة ، الثقافة الجديدة ، العدد ٣٥٥ ، ٢٠١٣م .

٦- تمثيلات المثقف ، حريات الديمقراطية المستقلة ، ادوارد سعيد ، ترجمة : فخرية صالح ، ٨/ آذار / ٢٠١٢م .

٧- دراسة الرجع البعيد إمكانية البقاء والتجديد ، صوت اليسار العراقي ، كاثرين كوبهام ، ترجمة : زيد العامري الرفاعي ، ٢٠٠٩م :

٨- دراسة في بنية التأثير الايديولوجي لنصوص عراقية معاصرة ، خفايا الحكمة ، د. علي متعب جاسم ، مخطوط مُعد للنشر .

٩- رؤية الوجود مقاربة بنيوية تكوينية ، قصة السمباثي لفؤاد التكرلي ، إمضاء، خالد علي ياس ، ع ٥ ، ٦ ، كانون الثاني ، ٢٠١٤م .

١٠- الشعر والفكر الثوري ، د. علي متعب جاسم ، آب ٢٠١٠م ، مخطوط معد للنشر .

١١- عن الثقافة والمثقفين ، النبأ ، سعود المولى ، العدد ٦٣ ، تشرين الثاني، ٢٠٠١م .

١٢- النمط والوظيفة ، الجسرة الثقافية ، طه وادي ، ٢٠١٢/٨/١٥م .

رابعاً : الرسائل والأطاريح :

١- توظيف الموروث الحكائي العربي في الرواية العربية المعاصرة ، علي كاطع خلف ، إشراف : أ.د. عبد الاله أحمد ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب – جامعة بغداد ، ٢٠٠٠م .

٢- رواية المرأة العربية من (١٩٩٠-٢٠٠٧) في ضوء النقد النسوي ، هدى حسين زوير الشيباني، إشراف: أ.م.د. قيس حمزة فالح الخفاجي ، م.د. حسين عدنان مهدي، رسالة ماجستير، كلية التربية-جامعة كربلاء، ٢٠٠٩م.

٣- صورة اللغة في روايات فؤاد التكرلي ، وسام عباس جعيجع ، رسالة ماجستير ، إشراف : د. خالد علي مصطفى ، كلية الآداب – الجامعة المستنصرية ، ٢٠١٢م .

٤- فاعلية السلطة في الرواية العراقية – فؤاد التكرلي أنموذجاً ، محمد عبد الحسين هويدي الخزاعي ، أطروحة دكتوراه ، إشراف : أ.د. لؤي حمزة عباس ، كلية الآداب – جامعة البصرة ، ٢٠١١م .

خامساً : مواقع الانترنت :

١- تعريف السينوغرافيا وتطور مفهومها عبر التاريخ ، موسوعة البحوث الشاملة : http:// baht 21. blogspot . com .

٢- تعريف المثقف والثقافة ، عباس النوري ، الحوار المتمدن ، العدد ٢١٠٧ ، ٢٠٠٧/١١/٢٢م : www . ane war . ora / index . asp

٣- تعريف الواقع لغة واصطلاحاً ، عبد الرحمن رأفت الباشا ، شبكة الألوكة الأدبية اللغوية : www.alukah.net .

٤- تنوير النص – ملاحظات في بنية العنونة والإهداء في شعر خالد السعدي ، د. علي متعب جاسم، الشبكة العنكبوتية للاتصالات: www . alhewur.org

٥- الجنس بين الرغبة والاشتهاء والتابو المحرم ، أسعد الامارة ، الحوار المتمدن ، العدد ١٣٤٩ ، ٢٠٠٥/١٠/١٦م .

٦- الحصار في الرواية العراقية دراسة موضوعية مقارنة بين التكرلي وبتول الخضري ، م.د. عبد الكريم خضير عليوي السعيدي ، كلية الآداب – جامعة ذي قار ، قسم اللغة العربية ، د.ت : www.docjax .com

٧- رواية سانين ، ميخائيل ارتز يباشيف ، ترجمة : إبراهيم عبد القادر المازني، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة : hindawi . org

٨- الصراع الطبقي في المجتمع المصري، عمرو عمر: www.sina.org/hom

٩- عقدة الكترا ، غسان لافي طعمة ، العروبة ، ٢٠٠٦/٣/١٥ : Email:ouroba athawra . com

١٠- الفرويدية ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي : www. Said . hes , ferau

١١- الفرويدية ، قناة الديار الفضائية ، ٢٠١٣/٦/٩ : www.aldixar sat . net

١٢- فـؤاد التكرلـي وسـر عقـدة آوديـب ، نجـاة تمـيم ، الحـوار المتمـدن ، ٢٠١٢/٢/٢٠م : www . ahewaror

١٣- لمحة في خصوصية المكان لدى الروائي فؤاد التكرلي ، جمال كريم ، الحوار المتمدن ، العدد ٧٨ ، ٢٠٠٨/٢/١م .

١٤- مالينو فسكي (الانتروبولوجيا البريطانية) : http//in fasnap . org

١٥- مثقف السلطة السورية ، ياسين عبد اللطيف ، الانتفاضة الشعبية في سوريا، صفحات سوريا : Syria . al safahat . net

١٦- المثقف والموقف ، أبو الحسن السلام ، الحوار المتمدن ، ٢٠١٠/١١/٢٠م .

١٧- الموسوعة الحرة ويكيبديا : ar . wikipedia . org/ wiki

١٨- الموسوعة العالمية المجانية (زهلول) : ١٣/يوليو/٢٠٠٦م : From Zuhlool

١٩- موقع الدكتور : عباس النوري : http // www . abbas . kyani . net

٢٠- موقع لُجينات : http // Lajainiat . com / main / content

٢١- الوجودية ، يوحنا بيداويد ، اعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، صيد الفوائد ، ٢٠٠٩/٦/٢٥م : www . said . net

الملحق

أغلفة الروايات

أولاً : رواية بصقة في وجه الحياة :

هذه الرواية

«.. قبيل الفجر، حين تتلاشى الانسانية ولا يعود البشر إلا أشباحا وصورا في ذهني، أجلس في فراشي دون رفيق غير نسائم رقيقة باردة وغير بعض النجوم الصافية النور، أفكر في بضع أمور سوداء هي كل ما تبقى من حياتي.

ماهي حريتي الإنسانية؟

أهي نزولي من السطح صباحا؟ أهي تناولي ما أشاء من الطعام؟ أهي عملي ما أريد دون حساب للآخرين؟

أهي الذهن المتسع؟ أهي الإيمان العميق بما يصل إليه الفكر؟ أهي الموت؟

آه، هذه الحرية، أهي موجودة حقا؟

هل أفتش عنها أكثر في أعماقي الدفينة؟

إني أخاف أحيانا. أخاف إن نبشت قيعان نفسي المظلمة أن أجد...»

منشورات الجمل

ثانياً : رواية الوجه الآخر :

وكان يسير بخطوات بطيئة ثقيلة دون أن ينظر إلى وجوه المارين رغم شعوره بوطء وجودهم . لا شيء يريح في هذه الوجوه . آلمه ، في المستشفى ، ذلك الانطباع الذي كان يصدمه في وجوه معارفه وبعض موظفي المستشفى . انطباع يائس بانعزالهم عنه وعن محنته . كان يرى بفزع في عيونهم صمتاً موحشاً لنداءاته ، وكان يشعر بفزع أشد حين يخطر له أن زوجته ، في نوبات صحوتها ، قد ترى مثل هذا الصمت في عينيه . هذه الـ « قد » ، كم أرقته ليالي ولم تزل . إنها الشكل المستديم في ألا نكون بشراً . ومن يدري ، فقد لا نستطيع ، كلنا ، أن نثبت حقيقة أخرى تنقض هذا الشك . إنه الوجه الآخر ، الهارب منا على الدوام .

دار الآداب
هاتف ٨٠٣٧٧٨ - ٨٦١٦٣٣
ص. ب ٤١٢٣ - ١١ بيروت

تصميم الغلاف
نجاح طاهر

ثالثاً : رواية الرجع البعيد :

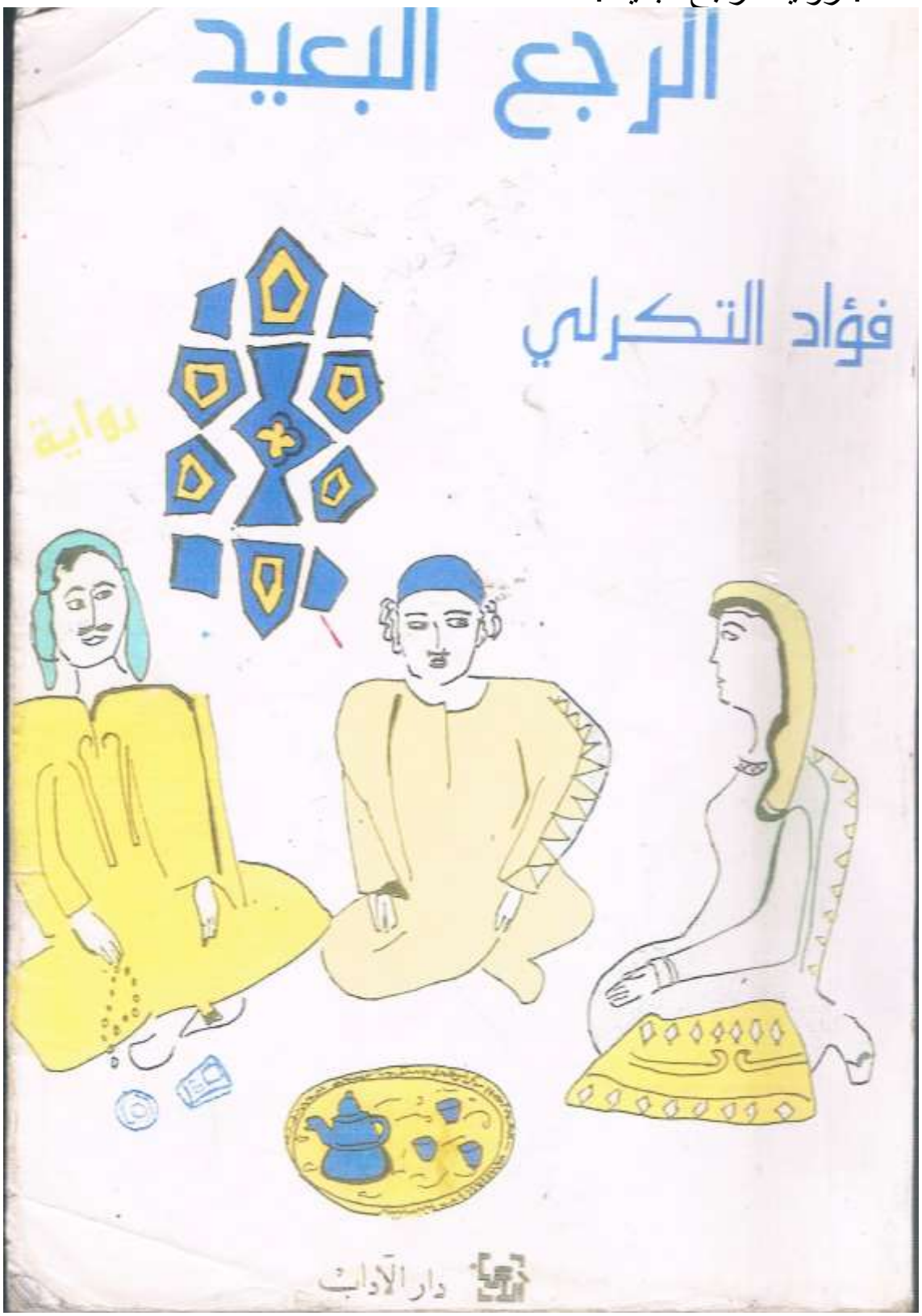

تنفتح الرّواية على عائلة متعبة ذات مساء، وتنتهي في ليلة ماطرة في شارع خالٍ ترقد عليه جثّة صرعها الرّصاص. تتشكّل الرّواية في المسافة الواصلة بين التّعب والموت، بين دفء العائلة وبرودة الشّارع، بين البيت العتيق الحالم والعاجز والجثّة الهامدة التي صرعها الرّصاص خطأً في يومٍ دامٍ.

... ترسم «الرّجع البعيد» أبعاد التراجيديا الكاملة التي تصدر عن عناصر عدّة: اللّقاء الفاجع بين الوعي الفردي والجماعي والتاريخ، مسيرة المأساة التي تتكوّن وتتشكّل بدون أن ترى إلاّ في لحظتها الأخيرة، ثمّ استسلامه في لحظة الانهيار بدون أن يدري مصدر المأساة أو نهايتها. إنّ ما يجعل «الرّجع البعيد» رواية كبيرة كاملة التميّز والصّوت، هو التقاطها صوت التاريخ المحتجب في العلاقات اليوميّة، الذي تعيد الكتابة تركيبه كي تحجبه من جديد، أو الذي لا تظهره الكتابة كاملاً إلاّ إذا احتجب.

د. فيصل درّاج
الهدف ١٩٨٥/١٢/٢

دار الآداب
هاتف ٨٠٣٣٧٨ ـ ٨٦١٩٣٣
ص.ب ٢١٣٣ ـ ١١ بيروت

رابعاً : رواية خاتم الرمل:

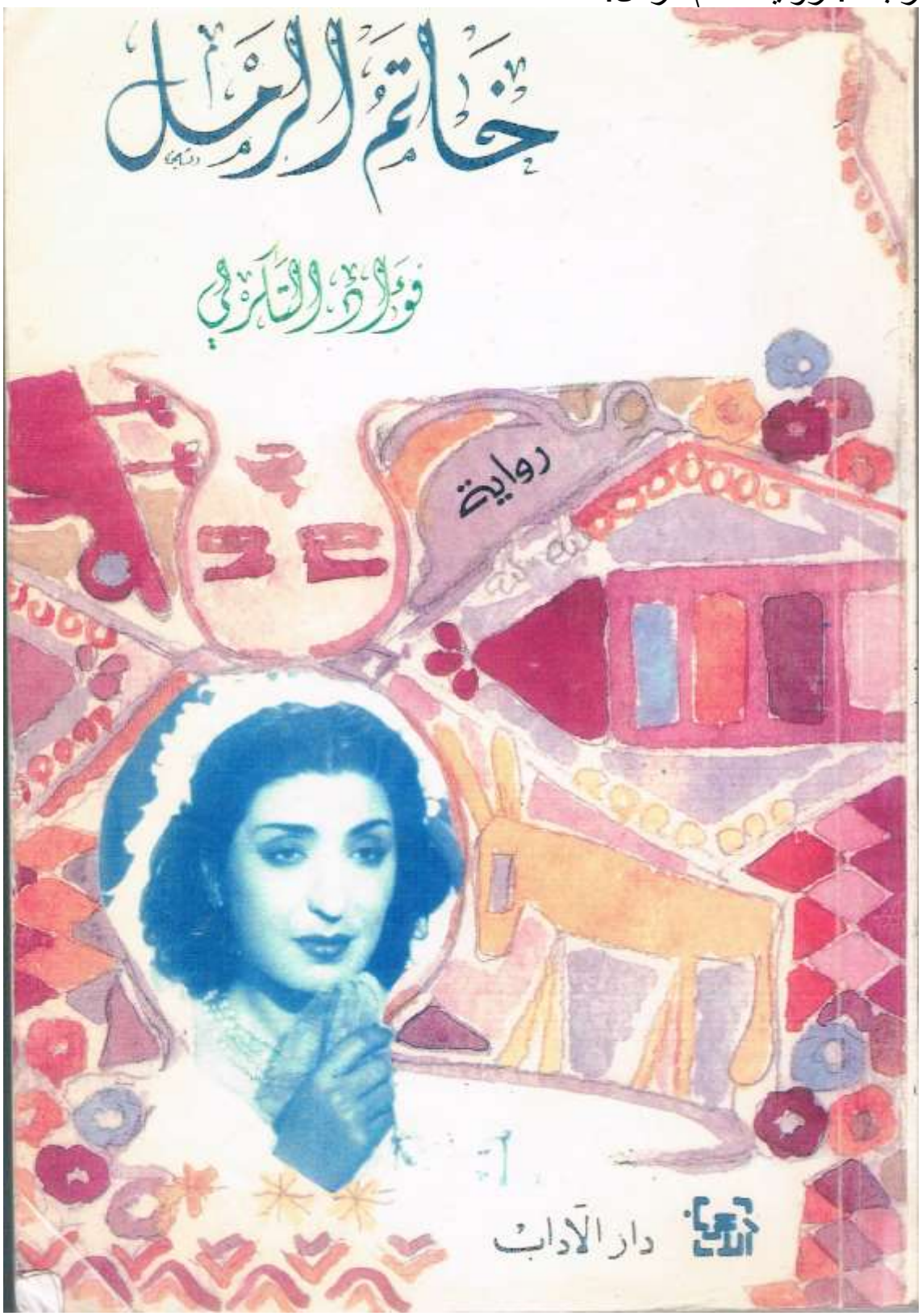

أمر آخر.. أمر آخر؛ هكذا ألفّ وأدور ثم أرجع لأموري الأخرى. نعم، هو أمرٌ من الأمور الأخرى، وهو أمرٌ ثمين نادر الوجود عسير المنال. حدّثتها قليلاً عنه في جلستنا الفريدة قبل أيّام. بدتْ لي على وشك الفهم، ثمّ قلبتْ وجهها وانصرفتْ عنّي تكلّمني عن شؤون الدّنيا الرّخيصة. إنّها.. ما أقساها! اضطربنا، أنا وآمال، وسط معمعة الأهل والأقارب وصراخ الأطفال وزغاريد النّساء، فلم يستطع أيٌّ منّا وضع أحد خاتَمي الخطوبة في أصبع الآخر فانبرت هي لها، برزتْ من تحت الأرض وهتفتْ بابنة عمّها أن تدفع أصبعها بقوّة لإدخال الخاتم!

وبسبب هذه النَّظْرة الّتي تفسّر نظام الأشياء الطبيعيّة من أجل أن تحشره في نظامها المصطنع، يتحوّل خاتم الذهب الخالص إلى خاتم من رمل، وتفسد العلاقات.

دار الآداب
هاتف ٨٠٣٧٧٨ - ٨٦١٦٣٣
ص.ب ٤١٢٣ - ١١ بيروت

تصميم الغلاف: نجاح طاهر

خامساً : رواية المسرات والأوجاع :

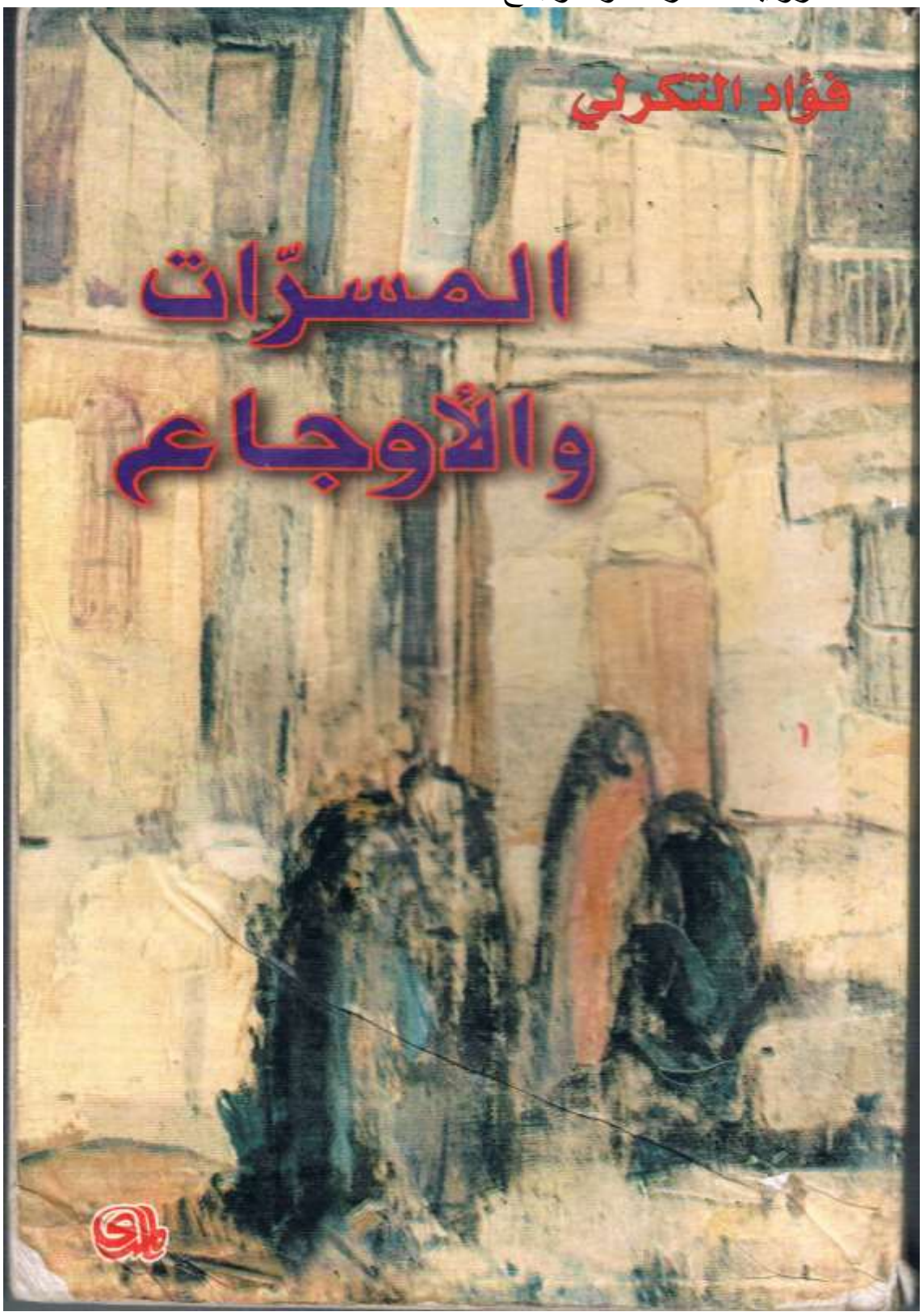

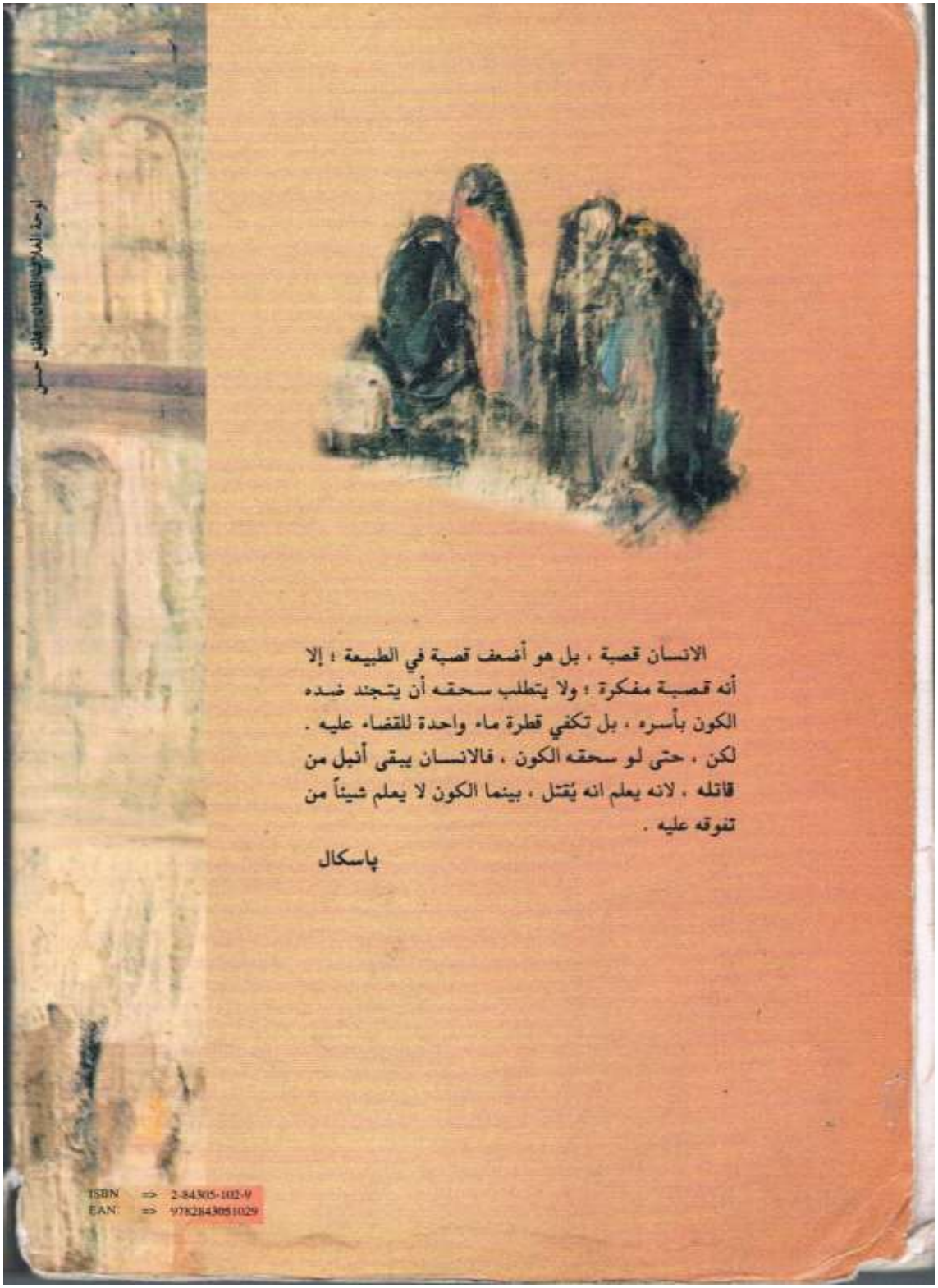

سادساً : رواية اللا سؤال واللا جواب :

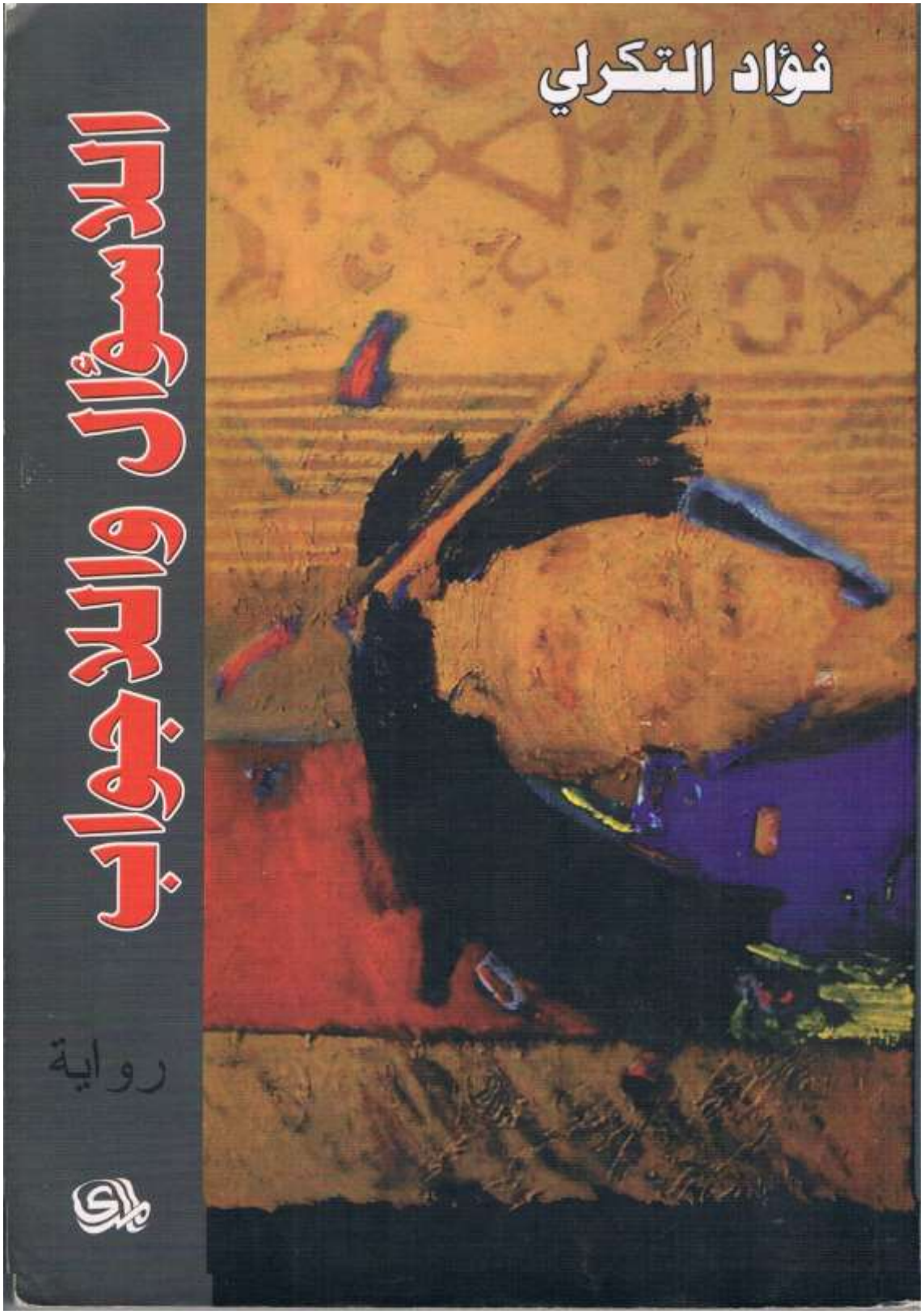
فؤاد التكرلي
السؤال والجواب
رواية

فؤاد التكرلي

اللاسؤال واللاجواب

يقتحم الروائي الكبير فؤاد التكرلي المشهد العراقي بجرأة ، ويرسم لوحة روائية مبهرة ، عن تحولات عائلة عراقية صغيرة منذ الثمانينيات الماضية الى منتصف التسعينات، هي تحولات العراق كله ،لأحد يطرح الإسئلة عما يحدث ولا أحد يجيب!

ISBN:2-84305-858-X
9 782843 058585

Abstract

Fu'ad Al Tkrli (1927 - 2008) is one of the prominent Iraqi novelists . His novels have been marked by their critical issues . They reveal the political , economical and social issues of Iraqi society .

Fu'ad al-Tkrli adapts the intellectual as a main character through which he exposes his ideas and views . Two parts and a conclusion .

The preface is divided into two sections . They study the concept of culture and the definitions of the intellectual from a critical point of view .

First part is divided into three chapters . chapter one studies realism and its impact on the intellectual . Chapter two deals with existentialism and its impact on the intellectual . Whereas Chapter three concerns with Freudian theory and its impact on the intellectual .

Part Tow falls into three chapters . Chapter one studies the intellectual and his attitude towards the heritage . Chapter two deals with the intellectual and his attitude towards the authority . Chapter three studies the intellectual and his attitude towards woman .

Finally the conclusion sums up the findings of the study .

Researcher

Alaa Qahtan Abdel-Rahman AL-Anbaky